الشيخ أبو الحسن الندوي

قائداً حكيماً

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الناشر

دار الرشيد

لكناؤ - الهند

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

اسم الكتاب : الشيخ أبو الحسن الندوي قائداً حكيماً

مؤلف الكتاب: الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

اعتنى به: محمد وثيق الندوي

الصفحات: ١٨٤

النسخ: ١١٠٠

ثمن النسخة: ١٢٠ روبية هندية

يطلب من:

(١) المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ .

(٢) المكتبةُ الندوية، ندوة العلماء لكناؤ

(٣) مكتبة إحسان، مكارم نغر لكناؤ

(٤) مكتبة دارين، مكارم نغر لكناؤ

(٥) مكتبة الشباب الجديدة، مكارم نغر لكناؤ

الناشر

E- mail: daralrasheed786@gmail.com.

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد فإن هذه الفترة التي تمر بها الأمة الإسلامية، هي من أشد الفترات قلقاً واضطراباً، دقة وخطورة؛ ثورات تندلع نيرانها، حكومات تقمع شعوبها، وشعوب تتمرد على حكامها.

هتافات، اعتصامات، مظاهرات، مسيرات، تفجيرات، اعتقالات، محاكمات، واشتباكات بين السلطة والشعب، توقف عجلة الرقي والتقدم في تلك البلاد.

كل ذلك يعود إلى طبيعة استخدام القوة، وتوجيه التهديد، واللجوء إلى العنف والقيام بما ينافي الحكمة ومصلحة الأمة والبلاد.

إذا كان هذا العنف من قبل الحكام حرصاً على بقائهم على كراسي الحكم، فيدفع الشعب إلى التمرد والنزول إلى الشوارع، وإذا كان هذا العنف من قبل الشعب لممارسة الضغوط على من يتولون مقاليد الأمور، وإكراههم على تحقيق ما يطالبونه منهم، فإنه يدعو رجال الحكم إلى استخدام القوة، واللجوء إلى أساليب القمع، واختيار طرق التعذيب المختلفة لمنع العناصر المتمردة من الاعتلاء إلى سدة الحكم وأماكن النفوذ، مما يزيد الوضع توتراً، ويجعل الصراع عنيفاً، ينتهي إما بقلب النظام والإطاحة بالحكومات، وإما بتكدس الجثث وامتلاء المعتقلات.

هذا الوضع الذي يشهده اليوم معظم دول العالم الإسلامي هو وضع مؤلم للغاية يحتاج في تغييره إلى تغيير، تغيير في التفكير، تغيير في الطبيعة، تغيير في المنهج، تغيير في التعامل مع الآخر.

www.abulhasanalinadwi.org

وهذا الكتاب يدعونا إلى كل ذلك، ويعطينا أسلوباً رائعاً لحل الأزمات، ومعالجة القضايا، وإخماد نار الفتن، وإزالة سوء التفاهم، والتواصل بين رؤساء البلاد وشعوبها، والتوصل إلى نتيجة ترضى الجميع، وتضمن الخير والسعادة.

فعالمنا الإسلامي - حكومة وشعباً - في أشد حاجة إلى مثل هذا الكتاب الذي يتناول جانباً مهماً من حياة القائد الإسلامي الحكيم الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، وهذا الجانب من أبرز جوانب حياة العلامة الندوي، وهو الفراسة الإيمانية والقيادة الحكيمة، فقد دعا إلى الدين على بصيرة، وقاد المسلمين إلى الحق عن بينة.

فنشكر من أعماق قلوبنا مؤلفه الفاضل وهو ابن أخت سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي على عنايته بهذا الموضوع، وتناوله بالدراسة، وعرض بعض القضايا المعقدة التي حقق منها الشيخ الندوي نجاحاً بأسلوبه الحكيم وموقفه الملاءم للظروف، ومنهجه المعتدل في حل القضايا، ليكون نبراساً لنا في هذه الأيام التي تشهد الفتن والثورات والمحن والأزمات.

وقد صدرت لهذ الكتاب الطبعة الأولى من مجمع أحمد بن عرفان الشهيد برائي بريلي، فتسعد الآن دار الرشيد للنشر والتوزيع بإصدار الطبعة الثانية له بإذن من المسئولين عن ذلك المجمع، فجزاهم الله خيراً، وندعو الله أن يتقبل للمؤلف - حفظه الله - هذا العمل ويجزيه أحسن الجزاء ويجعله في ميزان حسناته.

جعفر مسعود الحسني الندوي

٢٠١٢/١/٢١م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،. وبعد.

فقد صدرت كتب لعدد من المؤلفين في سيرة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بعد وفاته، استعرض فيها المؤلفون جوانب مختلفة من حياته التي كان يتميز بها، ونالت هذه الكتب القبول لدى القراء، وكان من بين هذه الكتب كتاب ألفه الدكتور محمد اجتباء الحسيني الندوي، وكتاب "أبو الحسن الندوي كما عرفته" للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي، وكتاب الدكتور محمد أكرم الندوي باسم " أبو الحسن الندوي: العالم المربي والداعية الحكيم" وكتاب الأستاذ عبد الماجد الغوري، وأخيراً صدر كتاب الأستاذ تركي عبد المجيد السلماني "الفكر والسلوك السياسي عند أبي الحسن" وسبق أن صدر كتاب "أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً" للأستاذ نذر الحفيظ الندوي، وكانت لهذه الكتب أهمية وقيمة لأن المؤلفين ركزوا عادة على حياته العلمية والدعوية، ومزاياه الشخصية التي تتعلق بالسيرة العامة، ولم يبرز دوره في مواجهة القضايا الوطنية، والقضايا التي تخص بالمسلمين في بلاده، وقضايا المسلمين عامة في العالم، والقضايا العالمية، مع أن حياة

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ الندوي كانت حياة جامعة شاملة لجوانب متعددة، بل متناقضة أحياناً، فهو جامع بين القلب والفكر، وبين العلم الحديث، والعلوم الشرعية، وبين الدعوة بسائر وسائلها، ومناهجها، وهو يخاطب المسلمين، وغير المسلمين معاً، والجماهير والحكام، سواء كانوا مسلمين أم غير المسلمين، وكلمته تسمع، وتنفذ إلى القلوب، لأسلوبه الخاص، ومنهجه الخاص، وتناول القضايا السياسية والاجتماعية والاتجاهات الفكرية في وطنه، وفي العالم الإسلامي، وأسهم في معالجتها.

يشتمل هذا الكتاب على مقالات تخص بالجانب السياسي من حياة الشيخ الندوي ونشاطه، وجهاده على الصعيد القومي، وتلقي الضوء على منهج معالجته للقضايا الوطنية التي تمس المسلمين مباشرة أو بصورة غير مباشرة، لأن المسلمين كما قال سماحته جزء من شعب هذه البلاد، فكل ما يحدث في هذه البلاد سياسياً، تعليمياً، أو اقتصادياً يمس المسلمين، وهناك قضايا خاصة للمسلمين ولم يدعها فضيلته أو أغمض عنها بصره، بل تصدى لها، وبذل ما كان في وسعه من قوة وحكمة لمعالجتها، وكان منهجه في ذلك يختلف عن منهج زعماء الحركات الإسلامية الأخرى، وهو منهج المواجهة أو المقاومة، بل كان منهجه منهج الإقناع والتفهيم، والكفاح في إطار الدستور، والحقوق الديمقراطية، والاحتراز عن كل حركة تحدث شحناء أو رد فعل، لذلك كان ينال الشعبية العامة واحترام سائر القادة والحكام، مهما كانت انتماءاتهم الحزبية حتى الحزب الذي عرف بعدائه للمسلمين، كان زعماؤه يثقون به، ويتوددون إليه، ويحترمون رأيه، ويقدرونه، ويغيرون من مواقفهم إذا عرفوا موقف الشيخ الندوي، كما حدث في قضية نشيد

www.abulhasanalinadwi.org

"وندي ماترم"

يشتمل هذا الكتاب على هذه المواقف والقضايا التي نشأت في حياة الشيخ الندوي، ووجه إليها الشيخ اهتمامه، وقام بمعالجتها رغم اشتغاله بالتأليف والدعوة، وقيادته للنشاطات الإسلامية الأخرى، وهي مقالات نشرت في صحيفة " الرائد" في حياته، وبعض المقالات كتبت ونشرت في "الرائد" بعد وفاته، وتلقي هذه المقالات الضوء على دوره في معالجة قضايا المسلمين في الهند، وتركز عليها، وقد جمعها ورتبها الأخ العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي، مساعد رئيس إدارة الرائد، واعتنى بطبع هذه المجموعة الأستاذ بلال عبد الحي الحسني الندوي، فجزاهما الله خير الجزاء، ونفع الله بها الإسلام والمسلمين، وجعلها نموذجاً صالحاً للعمل الإسلامي، فإن منهج الشيخ الندوي في معالجة القضايا يختلف عن المناهج المتبعة هو يتسم بالاعتدال، والتسامح، والتفهيم، وكسب الود، وهو في الواقع منهج وسطي لا يثير ردود فعل، ولكنه أكثر تأثيراً ووقعاً.

والله هو الموفق وبه يستعان.

٢٣/٤/١٤٢٦هـ — محمد واضح رشيد الحسني الندوي

أول يونيو ٢٠٠٥م — دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ — الهند

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم: فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء لكناء(الهند)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى أهله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإن الله تعالى جعل الدين الإسلامي هو الدين المختار عنده إلى يوم القيامة، وقضى بأن يبقى هذا الدين محفوظاً لا يتغير وإن تغيرت الأحوال والأوضاع، فهو يهيىء لحفظه عوامل ورجالاً ينشأون في أوضاع وظروف مختلفة، ولكن تتهيأ لهم مؤهلات إنسانية ممتازة بكرم من ربهم فيقومون بنصرة الدين الإسلامي، وإعادة ما انحرف من بعض خصائصه أو حاد عن الجادة المستقيمة الصحيحة منه، وإن نشأة هؤلاء الرجال لا تكون بصورة عامة وواسعة، بل إنما تكون عند ما تعم ظروف مضادة لبقاء هذا الدين على أصالته، وتقتضي الحال أن يظهر فيها من ينصر الدين ويحفظه من الانحراف عن الجادة، فيهيئ الله تعالى أحوالاً وعوامل لتكوين شخصية أو شخصيات تنشأ على أسباب تؤهلها لمقاومة الظروف وتنمية قواها الإنسانية والعلمية للحصول على

www.abulhasanalinadwi.org

الاستعداد المطلوب لمقاومة الشر والضلال، والذب عن الدين المتين في الجوانب التي دخل فيها انحراف، وتقوم بأداء دور مطلوب لنصرة الدين في الأحوال المتغيرة فيعود الدين نقياً صافياً.

فلقد قضت الأمة الإسلامية قرونها السابقة بهذه الصورة الخاصة لصيانة الدين واستبقائه على أصالته، وهي حاله لم تحصل لدين آخر، فقد كانت الأديان الأخرى عند ما كان يساورها تغيير لم تكن تحصل لها ما يعيدها إلى جادتها الصحيحة، بل إنما كان يرسل الله لها أنبياء ورسلاً يقومون بالدعوة على أساس الوحي من السماء إليهم، أما الدين الإسلامي فإنما يهيىء الله له شخصيات من بين أقرانها، وقد نبعت من هذه الشخصيات التي هيأها الله تعالى في السابق شخصيات كانت كبيرة وعظيمة جداً، ينطبق عليها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[1] فتسمى هذه الشخصيات المجددين، وقد أفرد سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - تأليفاً في مجلدات عديدة استعرض فيها هذه الشخصيات كنماذج ممتازة لهذا القبيل من الشخصيات.

ولكن هناك شخصيات نشأت وتنشأ في مختلف العصور ومختلف الظروف، هي دون تلك الشخصيات، ولكنها تقوم بالعمل على نفس الصورة، وتؤدي دوراً لائقاً في نصرة الدين المتين، ومن قبيل هذه الشخصيات كان سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي نفسه، فقد أدى دوراً عظيماً بارزاً، فنصر الدين في مجال الفكر الإسلامي والاتجاهات الإسلامية التي ساورها تأثير من الخارج،

---

[1] أبو داؤد رقم الحديث: ٤٢٩١.

www.abulhasanalinadwi.org

وأصابتها لوثة الانحراف في أشكال مختلفة، وبذلك أدى سماحته مسئولية ذات قيمة في مجال الذب عن الدين الحنيف وتصحيح مساره في جوانب مختلفة من أحوال الحياة واتجاهات الفكر، بتأثير تيارات جديدة بمقتضى تطور الحياة بناءاً على طبيعة الإنسان بمرور الزمان، ولقد أدى سماحته هذ العمل بخطبه ومحاضراته وبحوثه العلمية ومؤلفاته الدسمة القيمة، وباتصالاته برجال القيادة والحكام، كما أنه أدى هذا العمل بكريم أخلاقه وحسن سلوكه مع الناس، وبذلك كله عُدَّ علماً من أعلام المسلمين الذين قاموا بأداء عمل عظيم في مجال دعم الفكر الإسلامي، وتصحيح المفاهيم المنحرفة للمسلمين في مجالات الفكر والاجتماع والسلوك واتجاهات الحياة المختلفة ومجالات شتى للحياة، فكان بذلك مفكراً إسلامياً عظيماً، وداعية إسلامياً، وعالماً ومرشداً ربانياً وخبيراً تعليمياً، وقائداً حكيماً، وخطيباً بارعاً وكاتباً أديباً، فلقد امتاز بنبوغه في هذه المجالات المختلفة التي قلما تجتمع البراعة فيها في شخصية واحدة.

ولقد ألف عدد من الباحثين والمؤلفين كتباً منفردة في اختصاص سماحته في مختلف هذه الجوانب، أبانوا فيها ميزته في جانب واحد، أو أكثر من هذه الجوانب المختلفة، وصدرت هذه الكتب من مختلف البلدان الإسلامية والعربية، ذكر بعضهم جانبه الفكري، وبعضهم الجانب الأدبي، وبعضهم جانبه في السياسة الإسلامية، ولقد كانت جوانبه العقلية والعلمية المختلفة المذكورة فيما أعلاه متسمة بالفكر الديني القويم الذي كانت فيه مراعاة للظروف والأوضاع الراهنة، ولم تكن بينها مفارقات فكرية أو نفسية، بل كان بينها امتزاج بارع لا يشعر به القارئ أو المشاهد إلا تكييفاً حسناً يستحسنه ولا يرى فيه مجافاة، ولذلك كله أعجبت شخصيته جميع من قرأوا له

www.abulhasanalinadwi.org

أو سمعوا منه أو اتصلوا به، واعترف الجميع بذلك[١].

وإن الذين ألفوا كتباً عن جوانب شخصيته كانوا من غير أقاربه و أدانيه، فكانت الحاجة إلى أن يؤلف على خصائصه كاتب كان متصلاً به اتصالاً طويلاً وقريباً، فقام بذلك أخي العزيز الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي، عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم ندوة العلماء، وهو ابن أخته، وقد درس وتربى تحت إشرافه، فأعد كتاباً قيماً عن شخصية سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي الجليلة في خصائصه القيادية وأعماله الحكيمة، واستعرض بصورة خاصة أعماله في وطنه الهند، ومواقفه السديدة الحكيمة نحو القضايا العالمية والمحلية بصفة خاصة، واتخاذه لأسباب مؤثرة في تصحيح مسار المسلمين في هذا البلد العلماني الذي المسلمون فيه في أقلية كبيرة، ولهم ظروف وإمكانيات كثيرة كانت تقتضي عملاً قيادياً حكيماً، ويسرني أن أقدمه بكلماتي هذه، وأبدي تقديراً لائقاً لهذا الجهد العلمي والإسلامي الطيب، أرجو أن هذا الكتاب سيملأ فراغاً في تعريف شخصية هذا العلم العظيم من أعلام الإسلام في العصر الراهن، والله ولي التوفيق.

٧/محرم ١٤٢٧هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٠٠٦/٢/٦م — الرئيس العام لندوة العلماء لكناؤ

---

[١] وأحدث كتاب حول شخصية الشيخ الندوي كتاب"أبو الحسن الندوي:العالم المربي والداعية الحكيم"للدكتور محمد أكرم الندوي الذي صدر أخيراً من دار القلم دمشق.

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: د/ محمد اجتباء الندوي

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه، وجعله في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بث السماحة والشهامة والخلق الكريم، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد!

فإن القرن المنصرم (القرن العشرين الميلادي) كان قرناً حافلاً بالقضايا العجيبة المتنوعة المتلونة المتطورة، وحاشداً بالثورات والنزعات الفكرية والعلمية، والأدبية، والحركات العقدية، والدينية، والحضارية، والسياسية، والاقتصادية، تطورت إلى مذاهب ونظرات وتيارات واتجاهات، وتبلورت إلى صراعات في جانب من جوانب الحياة فهزت العالم واضطرمت على إثرها حربان كونيتان غيرتا جغرافية دنيا الإنسانية، ووجهة نظر الإنسان نحو العالم، فكان صراع، وكان استعمار، وكان خصام وتوتر، ثم كان تحرر واستقلال، وتشكل كل ذلك إلى حرب باردة، ثم خمدت وتجمدت، واتجهت إلى شره السطوة والسيطرة، والهيمنة، وحدث كل هذا على هذا التراب، التراب الذي نعيش نحن عليه الآن، وكانت هذه التطورات كلها ترتبط بحياة الإنسان عامة وبالمسلمين

www.abulhasanalinadwi.org

خاصة، وبرزت لها شخصيات من أقصى العالم إلى أقصاه، تقدم حلولاً ناجعة للقضايا التي تهم الدنيا كلها، كانت من بينها شخصية سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله، الذي يتحدث عنها هذا الكتاب القيم الذي يقدمه الآن شخصي الضعيف إلى قراء اللغة العربية الأفاضل بكل فخر واعتزاز، شاعراً بقلة علمه وزاده وقصر يده وباعه، فإن شخصية أبي الحسن شخصية عالمية جامعة شاملة تتميز بسمات يندر أن يعثر على مثيلها في الذكاء الوقاد والفكر العميق والبصيرة النافذة، والتحرق لآلام المسلمين والإنسانية، فكانت تهم له قضاياهم جميعاً وأراد لهم جميعاً الخير والفلاح، والسداد والنجاح، فقضى ليله ونهاره ساهراً متألماً حزيناً باكياً تذرف عيونه الدموع، ومكافحاً مجاهداً مضحياً مؤثراً القناعة والكفاف والتقشف والزهد والحياة الجشبة الخشنة، فلم يمد طول حياته عينيه ويديه إلى الثروة والغناء والعيش الرغيد الهنئ، ولا إلى أصحابه وذويه، لأنه تربى بين أحضان العقيدة النقية الزكية، وبين الإخلاص والتضحية والفداء، ورضع بلبان العلم، والدعوة، والقناعة، والولاء، ولو أن الثروة والغناء لم يغب عن عينيه، ولم يبتعد عن منالها، ولكنه غض بصره وسار على درب الصلاح والتقى، وساير ركب الدعاة الصادقين المؤمنين بغناء القلب الناشدين بقول: " ألا إن الغنى غنى القلب"، فقدم خدمات جليلة عظيمة للإسلام والمسلمين، وللإنسان والبشرية جمعاء، وتميز وفاق على أقرانه بإحاطته وشموله في كتابته وخطابه، وخلف مكتبة غنية ضخمة لنا، وللأجيال القادمة عبر الأزمان، والعصور، كما أشار إليه المؤلف الفاضل لهذا الكتاب، فقد ألفت كتب حول سيرة الشيخ الندوي وتحدثت عن مزاياه الشخصية تتعلق بالسيرة العامة، ولكن

www.abulhasanalinadwi.org

لعمله العظيم الشامل جانباً آخر لم يوجه إليه ريشة أقلام المؤلفين الآخرين، وهو كما يقول المؤلف الكريم:

"يشتمل هذا الكتاب على مقالات تخص بالجانب السياسي من حياة الشيخ الندوي ونشاطه، وجهاده على الصعيد القومي، وتلقي الضوء على منهج معالجته للقضايا الوطنية التي تمس المسلمين، مباشرة أو بصورة غير مباشرة، لأن المسلمين كما قال سماحته جزء من شعب هذه البلاد، فكل ما يحدث في هذه البلاد سياسياً، تعليمياً، أو اقتصادياً، يمس المسلمين، وهناك قضايا خاصة للمسلمين، ولم يدعها فضيلته، أو أغمض عنها بصره، بل تصدى لها، وبذل ما كان في وسعه من قوة وحكمة لمعالجتها".

ويقول متحدثاً عن منهجه: "وكان منهجه في ذلك يختلف عن منهج زعماء الحركات الإسلامية الأخرى، وهو منهج المواجهة، أو المقاومة، بل كان منهجه منهج الإقناع والتفهيم، والكفاح في إطار الدستور، والحقوق الديمقراطية، والاحتراز عن كل حركة، تحدث شحناء أو رد فعل، لذلك كان ينال الشعبية العامة واحترام سائر القادة والحكام، مهما كانت انتماءاتهم الحزبية حتى الحزب الذي عرفت بعدائه للمسلمين، كان زعماؤه يثقون به، ويتوددون إليه، ويحترمون رأيه، ويقدرونه، ويغيرون من مواقفهم إذا عرفوا موقف الشيخ الندوي، كما حدث في قضية "وندي ماترم".

فالكتاب كله يعرض المواقف المشرفة الحازمة لسماحة الشيخ الندوي نحو قضايا العصر التي تهم حياة المسلمين في بلادنا الهند، ولم تكن مواقفه هذه تختلف قيد شعرة عن مواقفه الحازمة الواضحة البينة، نحو قضايا العالم عامة وقضايا المسلمين خاصة في

www.abulhasanalinadwi.org

العالم الإسلامي كله، فقد كان له نفس المنهج وذات الأسلوب حينما كان يكتب أو يخطب في الأوساط العربية، ويتحدث مع زعماء الحركات والجماعات في بلاد العرب وقادتها وحكامها أو يبعث رسائله إليهم، فلم يكن له منهج وأسلوب يخصان العرب والمسلمين، ومنهج وأسلوب آخران يخصان الشعب الهندي، وقادته، وحكامه في الكتابة والخطابة، كان كمرآة صافية جلية نقية تعكس شخصيته في موقفين اثنين على السواء، لا يختلفان أبداً، وكان الحب والتودد والتقدير له ـ رحمه الله ـ في كل بلد ومصر وفي كل جو وبيئة، ولا يزال كالنبع المتدفق يبل الغل ويذهب الظمأ، بمؤلفاته القيمة الثرية.

والكتاب بأسلوبه الموضوعي الهادئ الرزين المؤثر البسيط الجميل يقدم القضايا التي مثل فيها سماحة الشيخ الندوي دوراً حيوياً مثمراً وعالجها بكل نجاح وتوفيق، فكان العصر، عصر المحن، والفتن، والقضايا قضايا خطيرة، مرهفة مرت أحيانا بظروف قاسية شديدة، وكان سماحة الشيخ شديد التأثر، مرهف الحس، شديد الحساسية، فكان لها وقع شديد على قلبه، فيحزن وتدمع العيون، ولكنه لم يستسلم أمام هذه المحن والظلم البواح، وبعد تقسيم البلاد بخاصة الذي كان أشد وأدهى وأمر للمسلمين، ففي جنب المجازر الدموية والاضطرابات الطائفية التي اشتعلت نيرانها في أرجاء البلاد، وأحرقت الرطب واليابس، وبرزت مشاكل وأزمات وقضايا تحتاج إلى حلول ناجعة، مثل رفع المعنويات وشحذ الهمم والإسكان والتعليم والإعلام، فقام سماحة الشيخ رحمه الله مع زملائه كالشيخ محمد منظور النعماني والقاضي محمد عديل العباسي، والدكتور محمد اشتياق حسين القريشي، والمحامي ظفر

www.abulhasanalinadwi.org

أحمد الصديقي، وبذل جهوداً مشكورة في تركيز الأمور وبث الوعي واليقظة بين المسلمين، واتجه إلى الشعب الهندي وأنشأ جمعية رسالة الإنسانية، وخاطبه من منبرها، وأجرى لقاءات مع زعماء الهندوس واجتماعات مع رجال الأديان والمذاهب، وتحدث معهم حول التمسك بالقيم في السلوك ورعاية كرامة الإنسان والارتفاع عن النزعات والعصبيات، وكان دائماً نصب عينيه "إن كسب الود والعطف خير من العداء والكراهية لحل المشاكل"، وكان فضيلة الشيخ عبد الكريم باريكه والشيخ إسحاق جليس الندوي، يرافقانه في اجتماعات رسالة الإنسانية، وكان يتلاءم مع سماحة الشيخ الندوي في الفكر والعمل والإثمار والإنتاج ابن أخيه الأستاذ الكاتب العبقري محمد الحسني، مؤسس ورئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي" وكان له مع المؤلف الفاضل الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي وشائج قرابة وروابط المبادئ والقيم والإصدارات القيمة ومساهمة كبيرة حيوية في الدعوة والكفاح بكتابته الفكرية الأنيقة الساحرة.

وأثيرت قضايا ومشاكل نحو التدخل في قانون الأحوال الشخصية الإسلامية والمسجد البابري وأخيراً النشيد الوثني للمدارس (وندي ماترم) و(سروتي وندنا) فواجهها بلياقة ولباقة وحكمة وحنكة، وكانت خطواته الحكيمة دائماً "لين في حزم ورفق في صلابة"، ووافته المنية وهو قرير العين هادئ البال، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة سيراً على سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، والشعب الهندي كله، بكى عليه وحزن كثيراً، فإنهم فقدوه وأي شخصية فقدوها، نشأت بعده قضايا للمسلمين، فقالوا متحسرين: " قضية ولا أبا حسن لها، وفي الليلة

www.abulhasanalinadwi.org

الظلماء يفتقد البدر".

فالكتاب الذي أنا بين يديه يتحدث بأمانة ودقة، وعلى علم ومعرفة عن تلك الوقائع والمعارك التي خاضها سماحة الشيخ الندوي بإيمان وعقيدة راسخة وإخلاص ووفاء، وعالجها معالجة واعية حكيمة، يعرضها كلها بكتابات جميلة هادئة، ويقدم تحليلات موضوعية رائعة تتبين جلية كأنها صور متمثلة أمام العيون، نشأت القضايا فإذا بسماحة الشيخ رحمه الله يتصدى لها ويعالجها، وكان القارئ يراها ويشهد ويحس ويشعر، إنه من مميزات الكتاب الآخذة المؤثرة بجنب أسلوبه الرزين، ومنهجه الواقعي ولغته السهلة السلسلة المستساغة، وقد زادت الكتاب قيمة وأهمية ومكانة مرموقة بين المؤلفات التي صدرت في الموضوع، كتابة شيقة، أدب جم، وفن رفيع، وفكر إسلامي، صاف نقي.

وأما المؤلف الفاضل فضيلة أخي الشيخ محمد واضح رشيد الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها في دار العلوم لندوة العلماء بالهند، ورئيس تحرير صحيفة "الرائد" الصادرة من ندوة العلماء، له قدم وخبرة واسعة في مجالات الكتابة والصحافة والأدب، فهو أستاذ قدير، وأديب ألمعي، وصحافي بارع، بجنب فكره النير المشرق، وتذوقه العالي وخلقه النبيل، وسلوكه الهادئ الرزين، وصوته الرخيم العذب، وحياته الصالحة التقية، أدرى الناس بشخصية صاحب الكتاب فهو ابن أخته، رآه منذ أن رأت عينه النور فعرفها وعرف كل ما يمت بصلة لهذه الشخصية العظيمة من ظاهر وخفي، وصغير وكبير، وجولات وابتكارات في القراءة والمطالعة والدراسات، وتقديم الثمار والإنتاجات، وتجشم المصاعب والمتاعب في كل ما لقي في حياته، وتقديم حلوله للمشاكل

www.abulhasanalinadwi.org

والأزمات والقضايا، فحكاها في هذا الكتاب وهو شاهد عين، ومن أقرب الناس إليه قرابة، وعلماً ومعرفة وإدراكاً، فماذا أكتب أنا عنه وعن الكتاب، وقد كلفني بهذا التقديم، وهو عزيز علي، حبيب إلى قلبي، ولكن لم يكن كتابه ولا هو بحاجة إلى هذا التقديم مني، وهو أقدر وأعرف وأشهر، فهل من حاجة إلى مثل هذا التقديم، ليس هذا إلا امتثالاً لأمره، وحباً لأستاذنا وشيخنا الراحل أبي الحسن علي الندوي رحمه الله تعالى، فالله أرجو أن يعذرني ويعفو عني، ويجزي أخانا العزيز الفاضل خير الجزاء، وأوفره على إخراج هذا الكتاب الجيد ويتقبله بقبول حسن، وهو نعم المولى ونعم النصير.

كتبه

١٤٢٦/٥/٦هـ — د/ محمد اجتباء الندوي

٢٠٠٥/٦/١٤م — رئيس المركز العلمي - دهلي الجديدة

ورئيس قسم اللغة العربية والفارسية

بجامعة إله آباد الهند سابقاً

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فقد تناول الباحثون في حياة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في حياته من خلال التقديم لكتبه والتعريف به في مناسبات تكريمه في حفلات الاستقبال، أو التعريف به قبل محاضراته في الاجتماعات والندوات، وبعد وفاته في كلمات التأبين والعزاء، نشأته ومؤهلاته العلمية وعوامل تكوين أفكاره ومؤلفاته وإسهاماته في المنظمات والحركات والمؤسسات العلمية، وما أكرم به من قبل مختلف المنظمات من الجوائز، وما نالت حياته ومؤلفاته من القبول، ولا شك أن هذه المعلومات تشكل مواد ترجمة شخصية، ويركز عليها المؤلفون في تراجم الرجال عادة، وهي عادة مألوفة ومنهج مقرر للتعريف بأي شخصية لها دور ملحوظ في مجال العلم، والفكر.

وقد سارت المقالات التي دبجها يراع المحبين لسماحته على هذا المنهج، ولذلك يجد المتصفح لهذه المقالات مماثلة وأحياناً تكراراً فيها، وقد تعرض بعض الكتاب المتصلين بسماحته والدارسين

www.abulhasanalinadwi.org

لشخصيته للمزايا الشخصية، وحاولوا أن يكتشفوا سر نبوغه وما لقيه من تكريم وإجلال في العالم كله، وتفوقه على أقرانه ومعاصريه من العلماء والدعاة، وعصره غني بالنبغاء من أصحاب الدعوات، وقادة الحركات، وعلماء العلم، ورجالات الفكر.

لا شك أن النشأة والتعليم والنشاطات والتحركات في الحياة والسلوك مع الناس، واتخاذ المواقف في مختلف مراحل الحياة، والسلوك مع مختلف أفراد المجتمع، والمجتمعات والطبقات المختلفة لها أهمية ينظر في منظورها إلى الشخصيات التي لعبت دوراً رائداً في أي مجال من مجالات الحياة، ويركز عليها الباحثون في دراستهم، وقد يحمل الإنسان مواهب وطاقات كامنة تدفعه إلى تسخير كفاءاته العلمية، والميول، والنزعات، واتخاذ مواقف تفوق مستوى علمه وتصورات غيره من أمثاله من أصحاب الكفاءات، ويصعد حاملوه أعلى مراتب الكمال، والنفوذ، والتأثير في النفوس.

وقد ذكر سماحة الشيخ الندوي نشأته، وصوّر البيئة التي نشأ وترعرع فيها، وشغفه الزائد بالعلم، وغرامه بالقراءة، وعكوفه على الاستزادة من العلم بتفصيل في سيرته الذاتية بصورة رئيسية، وذكر الشخصيات التي اتصل بها، والحركات التي ارتبط بها ثم انفصل عنها، لكن هناك بعض الجوانب التي تبدو خفية، ولا تذكر عادة في الترجمة الشخصية له، والذي يدرس حياته الشخصية بدقة ويتعمق في عناصر كمالها ونبوغها، ويبحث عن العنصر الحقيقي الباعث على بروز هذه الشخصية يكتشف سمة تتميز بها هذه الشخصية عن غيرها من أقرانها، وأعتقد أن السمة الرئيسية التي تجلت في سائر مراحل حياته كانت الفراسة الإيمانية الثاقبة، والنظر إلى القضايا والمسائل، واتخاذ مواقف في ضوء هذه الفراسة والبصيرة

www.abulhasanalinadwi.org

النافذة، فكانت مواقفه في كثير من الأحيان تختلف عن مواقف غيره من العلماء والقادة، وكانت هذه الفراسة تدفعه أحياناً إلى إصدار أحكام على الأحداث والمواقف تختلف عن أحكام غيره من العلماء في بادئ الأمر، وتبدو في الظاهر ضد الصورة الظاهرة

كان في طبيعته الخاصة في غاية من الحلم والمروءة، والتسامح والتواضع، واحترام رأي مشايخه ومعاصريه، بل مع من هو أدنى منه إلا أنه مع اتصافه بهذه الطبيعة المتسامحة، ورقة الشعور ولين القلب، كان متصلباً وصارماً في مواقفه إزاء بعض القضايا التي تهم مصير المسلمين أو الإنسانية، ولا يحيله، ولا يثني همته، ولا تغير موقفه مواقف غيره من أصحاب الفكر، وقد مرّ بامتحان بهذه المواقف في حياته مراراً، لأن عامة القادة والمفكرين اختلفوا معه وعارضوه وفندوا رأيه أولاً، ومن يتابع حياته يجد له مواقف صارمة، وجرأة وصموداً لا يتزحزح عن مكانه أمام الملوك والرؤساء والحكام في داخل البلاد وخارجها، يقول الحق ويثبت على قوله.

كان موقفه الأول الذي خالف فيه عامة القادة موقفه إزاء مصطفى كمال، وهو معروف ومسجل في كتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية الشرقية والفكرة الغربية، وفي مسيرة الحياة، فقد كان ينظر إليه العلماء والقادة المسلمون في الهند خاصة غازياً حارب الاستعمار، وأنقذ تركيا، وكان يعتبر رمزاً للصمود والمقاومة، فكان نقده لمصطفى كمال بعد عودته من تركيا في عام ١٩٥٦م قد أثار في أوساط العلماء والزعماء المسلمين رد فعل عنيف، عند ما صرح أنه كان عميل الاستعمار، وعدو الإسلام والمسلمين، وبلغ رد فعل بعض أصدقائه من العلماء حد إحراق مقاله الذي نشرته بعض

www.abulhasanalinadwi.org

الصحف، وحدثت ضجة في الأوساط الإسلامية والدينية، لكنه لم يغير موقفه، وتمسك به إلى آخر أيام حياته، وأثبتت الأيام التالية أن موقفه ورأيه كان سديداً، وبرزت حقيقة ما كتبه بعد ما عرف الناس معاهدة "لوزان" وشروطها، وصدر كتاب "وسقط الصنم"، وعرفوا سياسة حكومته وحكومة خلفه عصمت أنونو والإجراءات القاسية التي اتخذت لفرض العلمانية المعادية للدين في البلاد.

وقف سماحته موقفاً متصلباً عند ما نادى بعض القوميين في الهند، باختيار الثقافة الهندية وتمجيد أبطال التاريخ الهندي، فكاد يصبح ذلك دعوة العصر، وكان يقصد بذلك إذابة المسلمين كلياً وسلخهم عن الشخصية الإسلامية، وأدرك سماحته خطورة هذه الدعوة التي انطلقت بعد تقسيم البلاد عند ما كان المسلمون ينتقلون إلى باكستان، وخاصة كان المثقفون وأصحاب النفوذ يهاجرون بنسبة عالية، وكانت الاضطرابات تهز كيان المسلمين، وتخلف فيهم الرعب، وعمّ الارتداد عن الإسلام، أو التهنيد في مناطق حدود الهند، فتصدى سماحته بكل قوة لهذه الدعوة الخطيرة، وكتب الرسائل إلى زعماء هذه الحركة كـ: بر شوتم داس تندن"، و"سمبورنانند"، وألف رسائل لتوعية المسلمين وحثهم على اتباع شريعتهم، وتقديس مقدساتهم، والتمسك بثقافتهم الإسلامية، والاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية.

وننقل هنا ما قاله في خطاب له، وهو يندد بالدعوة إلى إحياء الثقافات البائدة فقال:

"يعم اليوم الاتجاه إلى إحياء الثقافات القديمة في كل بلد وأمة، فيحاول البعض إحياء ثقافة كانت سائدة قبل ألفي سنة، وآخرون يحاولون إحياء ثقافة كانت سائدة قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد،

www.abulhasanalinadwi.org

ويرفع هذا الهتاف في الدول التي تحررت حديثاً من الحكم الأجنبي، كذلك تعم اليوم العصبيات القومية والعنصرية، وهي عصبيات سلبية يعتقد فيها الناس أن ثقافتهم وعنصرهم أفضل من غيرهم".

وقد كان سماحته صريحاً، ومتصلباً في التنديد بالنعرات القومية واللغوية والثقافية في كل مكان، فكان يعتبرها الخطر الأكبر للإنسانية سواء كان هذا النداء يرتفع في بلد إسلامي، أم كان في بلد غير إسلامي، لأن هذه الدعوة تقيم حدوداً، أو حواجز بين مختلف طبقات الجنس البشري، وقد ندد بشدة عند ما ارتفعت هذه الدعوة في البلدان الإسلامية، فتصدى لها، وألف رسائل وكتباً في الهجوم عليها، وألقى خطباً مؤثرة مجلجلة في الاجتماعات، وأبرز خطورة العصبيات اللغوية والثقافية والعنصرية، فقال وهو يتحدث في بنغلاديش:

"إن التاريخ لا يحمل سجلاً كاملاً اليوم للمشاجرات والمخاصمات التي كانت تسود في العهود الغابرة في العالم على أساس العنصر واللون، وعلى أساس الفوارق الاقتصادية من مختلف الطبقات، وبين الغني والفقير، وبين الملاك والفلاحين، وحدوث حروب وخصومات على اللسان والثقافة، فقد كان الإنسان موزعاً، وكانت الدماء تسفك، فأصبحتم بنعمة الإسلام إخواناً متحابين".

لقد كان التقسيم على أساس اللغة والثقافة والعنصرية، يعتبر حلاً للأزمات القومية، لكن سماحة الشيخ الندوي كان يعتبر القومية خطراً على الإنسانية، بل أكبر خطر، فلما عمت دعوة القومية في البلاد العربية بعد حكومات الثورة فيها، وقد نبتت هذه الفكرة قبل ذلك، وكان حملها الشباب المسيحيون العرب الذين

www.abulhasanalinadwi.org

كانت نشأتهم في دول أوربا، وكان من زعماء القوميين العرب ميشيل عفلق، وانتشرت هذه الدعوة في مصر، وسوريا، والعراق، وألف سماحته رسالة بعنوان "الخطر الأكبر على العالم العربي"، فكتب يقول وهو يستعرض تاريخ القومية العربية: "وضع المفكرون من غير المسلمين فلسفة القومية العربية بمكر ودهاء، واستخدموا في إعدادها لباقتهم الفائقة، فمنحوها منهجاً علمياً، وجمعوا في هذه الفلسفة ما يحمل تأثيراً خلاباً على ذهن الشباب العربي المثقف الذي تجيش في قلبه عواطف محاربة الاستعمار".

وكتب يقول:

"كان الزئيس صدام حسين ذات صلة وثيقة بحزب البعث العربي الذي يعرف بدعوته إلى القومية العربية من مقتبل عمره، ويرأس هذا الحزب نصراني سوري وهو الأستاذ ميشيل عفلق.

وتدور فلسفة هذا الحزب الأساسي حول اعتبار العرب وحدة بذاتهم، وأن الفروق التي توجد بينهم على أساس الدين والعقيدة والثقافة والسياسة صناعية وعابرة تزول وتتلاشى بصحوة العرب القومية وغلبة هذا الشعور فيهم، وشعار هذه الحركة والحزب ودستورها "العرب أمة واحدة ذات رسالة خالدة.

وترمي هذه الحركة إلى إعادة العرب إلى عهد ما قبل الإسلام، أي الجاهلية العربية الذي لم يكن لهم فيه دين جديد، وتمجد هذه الحركة أبطال الجاهلية والشخصيات المعروفة في الجاهلية التي يشتمل على ذكر بطولاتها وأيامها الشعر الجاهلي، وتدعو هذه الحركة إلى التفاخر بها وإحياء ذكرها".

وكتب يقول وهو يذكر آثار هذه الحركة في سوريا في عهد حكم "حافظ الأسد" الذي يرتبط بحزب البعث العربي، "دمرت

www.abulhasanalinadwi.org

المساجد، واضطر الغيارى على الدين، وأهل العلم إلى مغادرة البلاد، وفرض الحظر على الحركات الإسلامية، وبدت آثارها في الكويت بعد الغزو العراقي، ويخشى أن تحدث هذه التطورات في كل بلد يخضع لحكم هذا الحزب".

ويقول:

"إن الحركة القومية لأي بلد عربي أدهى وأمر من كل حركة أخرى للقومية لأن من شأن هذه الحركة أن تحملهم على احترام الجاهلية القديمة، وتمجيد الآباء والأمجاد في الجاهلية، وعلى الأقل تقلل من كراهيتهم من قلوبهم"

وقد صرح ذلك سماحته قبل ظهور آثار القومية العربية، وشهد العالم العربي مآسي هذه النعرة الإلحادية.

لقد تفرس سماحته خطر القومية العربية بصفة عامة في كل مكان، لأن القومية توزع الإنسان، وتخلق العصبيات، وتحدث العداءات بين مختلف الطبقات والأمم والشعوب، ويستمر هذا التوزع ولا نهاية له، كما حدث في السنين الأخيرة في مختلف أنحاء العالم، ويستمر تقسيم الدول إلى دول جديدة على أساس تصور القومية والعنصرية، وهو خطر على الإنسانية كلها، وقد نشأ هذا التصور في أوربا كردٍّ فعل لسيطرة الكنيسة، والحكم الاستبدادي، والإقطاعية.

وكان وقوف سماحته ضد خطر القومية التي حلت محل الدين والأخلاق على أساس إدراكه لهذا الخطر، وقد بررت الأصوات التي رفعت في كل منطقة خضعت للقومية موقفه، وكان ذلك بادرة من سماحته، ولم يفهم العلماء والزعماء الآخرون هذا الخطر، ولم يفهموا سداد موقف سماحته إلا بعد أن تفاقم الوضع،

www.abulhasanalinadwi.org

وعمت الآثار السيئة لهذه الحركة.

كان موقفه ضدّ حكم العقيد معمر القذافي مثل موقفه ضد صدام حسين، وجمال عبد الناصر، ومصطفى كمال موقفاً لم يدرك العلماء والزعماء المسلمون سداده، وأهميته إلا بعد فوات الأوان، فقد نال معمر القذافي في أوائل أمره التقدير والإعجاب لإصلاحاته في البلاد وميوله الإسلامية، واعتبره الناس عدو الاستعمار، والتخلف، لكن سماحته كشف حقيقته في أوائل حكمه، فكتب يقول:

" كان الطابع الغالب على فكر القذافي طابعاً ثورياً، وكل ما اتخذ من إجراءات كانت متسمة بروح الثورة، إنه أحس في العالم العربي بعد رحيل جمال عبد الناصر بالفراغ، ورأى أنه لا يسد هذا الفراغ إلا هو نفسه، وقد قدر العقيد القذافي في أول يوم أن هذا العصر هو عصر النهضة الإسلامية، فعرض نفسه كقائد لهذه النهضة أولاً، ولكنه لعقليته الثورية وافتقاره إلى التربية الدينية والتعليم ولتأثير الأفكار الغربية التي نشأ في أحضانها وثروة "ليبيا" وأهميتها السياسية والجغرافية والاقتصادية ولثقته الزائدة بنفسه بدأ يظن أن الإسلام الذي هو عبارة عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لا يقدر على مسايرة هذا العصر، فحاول لأجل ذلك أن يصهر الإسلام في قالبه الثوري ليظهر على العالم بطبعة جديدة للإسلام تساير النظام الغربي في هذا العصر مسايرة تامة.

كان موقف سماحته إزاء حركة الإخوان المسلمين وموقف حكومة الثورة الناصرية أيضاً موقفاً صادراً من فراسته الإيمانية وبصيرته النافذة، فقد عرف الإخوان، وأعرب عن تقديره لتضحياتهم الجسيمة في أحاديثه ومقالاته في الهند بعد عودته من

www.abulhasanalinadwi.org

مصر في عام١٩٥١م، وكان معظم رجال الدين يعتبرونهم عملاء أمريكا، ويبررون موقف جمال عبد الناصر، فواجه موقفه معارضة من كثير من الدوائر الدينية في الهند.

كذلك كان موقف سماحته إزاء الحضارة الغربية موقفاً فريداً فذاً يختلف عن موقف العلماء وأصحاب الفكر الآخرين الذين كان فيهم الرافضون والمؤولون والموفقون والمستسلمون، فكان موقفه موقف البحث والتحقيق، وقبول ما هو صالح للقبول، ورفض ما هو مناف لروح الإسلام، وتعاليمه، ووجه الدعوة إلى اختيار طريق وسط إزاء الحضارة الغربية، فيقول في كتابه الصراع بعد أن ألقى على الحضارة الغربية نظرة فاحصة وبحث عناصرها ومصادرها ونتائج تطبيقها:.

"ليس المقصود من إبراز ناحية خطر الحضارة الغربية واقتباسها على الشخصية الإسلامية وكيان الأمة المسلمة، هو تحريم الاستفادة من الحضارة الغربية في مرافق الحياة، واقتباس بعض ما توصل إليه العلم والصناعة والاختراع في الغرب، من وسائل تسهيل وترفيه، وإغلاق الباب على مصراعيه، فإن ذلك لا يقوله عاقل، فضلاً عن مطلع على روح الدين وتعاليمه، الإسلام لم يزل واسع الأفق، متفتح القلب والنظر في الاستفادة بكل ما يصلح وينفع، ولكن مفهوم الحضارة الغربية في هذا المقام هو أوسع من اقتباس الآلات والمخترعات والتجارب المفيدة في الحياة العامة، إنها تشمل الأفكار والقيم والمفاهيم والمثل، وصبغ الحياة كلها بالصبغة الغربية، والتخطيط المدني الشامل، واقتباس أساليب الحياة التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام".

ويدعو الشيخ الندوي إلى موقف متوسط، فيقول:

www.abulhasanalinadwi.org

"من الميسور جداً الجمع بين التسهيلات المدنية والاستفادة بالآلات والمخترعات وما وصل إليه العلم الحديث وبين ما تمتاز به الحضارة الإسلامية من جمال وبساطة، وجدية، وعناية بالطهارة والنظافة، والابتعاد من الإسراف والتبذير، والإغراق في المظاهر الخارجية، ويقول: إن هذا العمل عملٍ الجمع، والغربلة يحتاج إلى عبقري عصامي، يشق طريقاً مبتكراً، وهو أن يأخذ من الدين الدوافع الخيرة، ويأخذ من الحضارة الغربية الآلات والوسائل، يأخذ من علوم الغرب، ما تحتاج إليه أمته وبلاده وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين".

ويقول: "المطلوب هو العبقري الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد، وإنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض".

ولهذا الجمع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية كان سماحته يدعو إلى تطوير نظام التعليم والتربية في العالم الإسلامي، فكان يدعو إلى إدخال مواد جديدة، وكان يساند كل مجهود لتعليم المرأة والتعليم التكني مع العناية بالتربية الإسلامية.

كان سماحة الشيخ الندوي يتخذ إزاء بعض الأحداث والمسائل موقفاً صارماً واضحاً لا يفهم جديته وخطورته حتى أقرب أعوانه الذين تكيفوا بأفكاره وتصوراته، وكانوا يرون أن موقفاً معتدلاً أو النظر في المسألة والتريث فيها أليق، لأن عواقب ذلك الموقف الصارم قد لا تكون في مصلحته أو مصلحة المؤسسات التي يشرف عليها، أو تكون لها نتائج سلبية، كما كان موقفه إزاء

www.abulhasanalinadwi.org

"وندي ماترم" وتهديده بإخراج الأطفال المسلمين من المدارس الرسمية إذا أصرت الحكومة على النشيد الوثني والسجود أمام تمثال "سرسوتي"، وحدثت ضجة في الأوساط السياسية، وألقى بعض الزعماء بيانات مهددة، واتهموا الشيخ بأنه خائن يجب أن يطرد من البلاد، واعتدت بعض العناصر المتطرفة، وأحرقوا صوره، وحاولوا التوغل إلى مقره بالليل، وأخيراً انتصر الشيخ في هذه المخاطرة وركعت الحكومة أمامه، واعتذر رئيس الوزراء، وصرح وزير الداخلية المركزي بأن هذا القانون ليس بإلزامي، وطرد وزير التعليم من الوزارة وسحبت حكومة الولاية هذا الأمر، ونال الشيخ الندوي اعترافاً عالمياً، وشعر المسلمون في الهند بالعزة والكرامة، وكان ذلك في حالة ضعف، ونقاهة شديدة، كان يمر بها الشيخ، وكان يصعب عليه الكلام، لكنه صرح بما كان يراه أمام الصحفيين بكل وضوح وقوة، وقال: "إن المسلمين لن يقبلوا هذا الأمر"، وكان عدد من الزعماء المسلمين الكبار أدلوا ببيانات للتقليل من أهمية هذا الأمر، وإيضاحات لإزالة المخاطر والشبهات، ولكن الشيخ كان غير مزحزح في الأمر، وقد كان يدرك بفراسته أن هذا الأمر إذا ترك على حالته فإن الأجيال القادمة من المسلمين ستصبح وثنية، وستتحول "الهند" إلى "الأندلس".

ومن أجل صيانة المسلمين من الوقوع في هذا الفخ صعد الشيخ حركة التعليم الديني، وكان يؤكد في آخر عمره أن الكتاتيب الصغيرة في القرى والأرياف أهم من المدارس الكبرى.

لقد كان إنشاء حركة رسالة الإنسانية أيضاً رمزاً للفراسة الإيمانية لسماحة الشيخ الندوي، وقد عبر بعض القادة من المسلمين عن مخاوفهم بهذه الحركة بأنها تؤدي إلى وحدة الأديان، أو أنها تحول

www.abulhasanalinadwi.org

عن عمل الدعوة إلى الإسلام، والواقع أن هذه الحركة كانت مجهوداً لتقويم سلوك الإنسان، وبث المثل الخلقية في المجتمع البشري التي تتفق عليها جميع الأديان، وقد اقتضت ظروف المعيشة التي غزتها المادية الرعناء، وحب المال، وحب الجاه والمصلحة مثل هذه الحركة، وهي حاجة العصر، ولذلك نالت هذه الحركة القبول من سائر الأديان، ووراء هذه الأهداف الإنسانية هناك هدف آخر، وهو ملأ الخليج بين المسلمين وغير المسلمين، وإتاحة فرص اللقاء بين المسلمين وقادتهم وقادة الأديان الأخرى لإزالة الشكوك والشبهات في المسلمين التي تبثها الحركات الطائفية المعادية للإسلام والمسلمين، وعرض الوجه النقي لتاريخ الإسلام، وعرض صور التسامح التي تشتمل عليها تعاليم الإسلام، وقد شوه هذا الوجه وزور التاريخ المستشرقون وتلاميذهم بكتب موجهة تعتدي على الإسلام والمسلمين، وقد حققت هذه الحركة هذا الهدف الكامن، فاعترف بعض القادة من غير المسلمين أنهم ما كانوا يعرفون أن المسلمين أيضاً في قلوبهم محبة للإنسانية وللوطن، وإنما كنا نعرف أنهم حملة السيف.

ونقتبس هنا من كلمة سماحته التي ألقاها في أحد الاجتماعات:

"إن العالم الإنساني يحتاج فيما يحتاج إليه إلى أن توضع أمام الإنسان بالارتفاع عن المصالح الذاتية والعصبيات القومية والمصالح السياسية تلك الحقائق والقيم التي تلزم لنجاته وحياته بأمن وسلام، وهي حقائق إذا أغفلت تعرضت حضارتنا و مجتمعنا لأخطار جسيمة، و واجهت الإنسانية صراعاً عنيفاً، قد بين هذه الحقائق الأنبياء في عصورهم، وجاهدوا في سبيلها، ولا تزال هذه الحقائق تحمل هويتها وتأثيرها ونفعيتها للإنسان، وتقدر أن توصل

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسان اليوم إلى النجاة، لكن الحركات السياسية والمنظمات المادية والنزعات القومية أثارت الغبار الكثيف على الأنظار، ولكن ضمير الإنسان لم يمت رغم هذه العواصف الهوجاء، ولم يجمد ذهن الإنسان، ولم يتعطل عن العمل، فإذا عرضت الدعوة إلى هذه الحقائق بإخلاص وبأسلوب سهل يفهمه الإنسان اليوم، فإن ضمير الإنسان وذهنه سيتجاوبان لهذه الدعوة ويعرف الإنسان أن هذه الدعوة بلسم لجروحه.

وقد حققت هذه الحركة هدف التقارب بين المسلمين وغيرهم، وجمعت على رصيف واحد أعداءهم الذين اعترفوا بعد سماع كلماته أن هذه الحركة حاجة العصر، وتغير تصورهم عن المسلمين، وبذلك أتيحت لهم فرصة دراسة الإسلام، وتغير موقفهم إزاء قضايا المسلمين، بل قدم عدد منهم خدماتهم لحل قضايا المسلمين، وأصبحوا مدافعين عنهم، وكانوا يقومون بزيارة الأماكن التي تحدث فيها الاضطرابات الطائفية، ويشتركون في أعمال الإسعاف، وقد ساعدت هذه الاجتماعات في بعض الأماكن على إخماد الفتن، وتهدئة الأعصاب ضد المسلمين.

وقد عارض بعض العلماء المخلصين العاملين في مجال الدعوة الإسلامية هذه الحركة لعدم فهمهم أهدافها، ونوايا القائمين بها، وناقش بعضهم سماحة الشيخ في هذه المسألة، ولكن سماحته واصل جهوده في هذه الجهة إلى آخر أيام حياته، وكان يثبت همم العاملين في سبيله ويؤيدهم.

ومن جهة أخرى كان سماحته يؤكد خلال حديثه مع المسلمين على أن يشتركوا في أعمال بناء الوطن، ويزيلوا من مجتمعهم أسباب التخلف والصراع والجهل، وأن يكون وجودهم باعث الخير والبركة

www.abulhasanalinadwi.org

لهذه البلاد، وكان موضوع خطابه حتى في أيام مرضه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾[١]، وكان يشرح الفرقان بأن تتميز حياة المسلمين عن غيرهم كلياً في سائر مجالات الحياة، وتتصف بالصدق والأمانة، والإخلاص والاجتهاد، والمساواة، والمؤاساة، والإيثار، فيكسبوا بهذه الخصال حب من يعايشونهم وتقديرهم، ويعتبروا بركة، ولايعتبروا وبالاً للبلاد.

هذه هي بعض الجوانب لحياة سماحة الشيخ الندوي التي انفرد فيها، وتميز عن غيره من الدعاة، والعلماء، والمفكرين، ولم تكن هذه المواقف إلا عبارة عن فراسته الإيمانية الثاقبة، وإدراكه لبواطن الأمور، والأسباب، والعواقب للأعمال، وكانت ناتجة عن بصيرته العميقة، ولا تقلل قيمة هذه المواقف أهمية أعماله العلمية وإسهاماته العملية الأخرى.

هذا هو عنصر الوحدة في مواقف الشيخ الندوي التي تلمس في سائر مواقفه إزاء القضايا الإقليمية والعالمية، قضايا تخص بالمسلمين في الهند والمسلمين في العالم، وقضايا تخص بالإنسانية، فإن المسلمين جزء من الإنسانية، وفي الصفحات التالية يلقى الضوء على منهج معالجته للقضايا في الهند خاصة.

[١] - الأنفال : ٢٩

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون في الهند بين الدستور والواقع

الهند مهد الديانات المختلفة

إن الهند بلد علماني، ديمقراطي، أساسه النمط الاشتراكي في الحكم، وقد وضع الواضعون للدستور الهندي أساس البلاد على هذه القواعد الثلاث، لأن الهند بلد ذو أديان مختلفة، وإن كان بعضها خارجية الأصول، لكن الأجيال الناشئة عبر القرون نمت على التربة الهندية، واخترمت مناهجها وطبائعها بطينتها، وأخذت منها وأعطت الكثير، فأصبحت جزءاً من الحياة الهندية، كان منها المسلمون والمسيحيون والمجوس واليهود، ومنها أديان نشأت في الهند، لكنها تختلف في تعاليمها ومثلها وعقائدها اختلافاً بيناً، كالجينيين، والبوذيين، والسيخ، وينقسم الهندوس أنفسهم إلى فرق تكاد تشكل ديانات مستقلة بذاتها، في الآلهة، والأبطال، والأمجاد، وفي العادات والتقاليد، وقد سبب هذا الاختلاف في صراعات وحروب في الماضي، وهناك اختلاف سلالي، ولغوي وثقافي، وتاريخي كذلك، وفي الشمال والجنوب توجد فوارق واسعة، أما القبائل وهي منتشرة في مختلف أنحاء الهند فهي تختلف فيما بينها اختلافاً بائناً، ولا يربط هذه الفرق إلا الانتساب الموسع إلى الهندوكية، وهناك أيضاً اختلاف طبقي، وهو اختلاف عنيف يؤدي إلى صراعات دامية، ولذلك وضع الواضعون للدستور إزالة

www.abulhasanalinadwi.org

الفوارق بين الطبقات نصب أعينهم، واتخذوا إجراءات دستورية لرفع مستوى الطبقات المضطهدة من آلاف السنين، وحرم الدستور التمييز الطبقي رغم أنه كان من خصائص الديانة الهندوكية ومن صميم تعاليمها.

الوحدة في التنوع

كانت الفروق هائلة في المجال الاقتصادي، فقد كانت هناك أسر تملك ثروات البلاد، وكان الفقر سائداً، فكان نظام الطبقات شائعاً، وكان رجال بعض الطبقات وهم في الأغلبية تعيشون حياة المنبوذين، فأكد الدستور الهندي الذي وضع في عام ١٩٥٠م أي بعد ثلاث سنوات من الاستقلال، على المساواة وعدم التمييز على أساس العقيدة، واللون، والطبقة، والجنس، وأكد على إتاحة فرص مساوية لجميع المواطنين، وفرض عقوبات على ممارسة التمييز، ومنح الدستور حقوقاً للأقليات اللغوية والدينية، والثقافية، ورجال القبائل لكي تحتفظ بشخصيتها ومميزاتها، ولكي تزدهر ولاتذوب، وكان شعار بناة الهند كما صرح جواهر لال نهرو رئيس الوزراء الهندي الأول بعد الاستقلال، وهو يشرح تصور المجتمع الهندي" الوحدة في التنوع".

مجتمع ذو رفاهية

كانت هذه المبادئ الدستورية في مصلحة البلاد، وكانت فيها مراعاة لطبيعة الحياة في الهند، ولذلك كان الدستور الهندي الذي تم إعداده بعد دراسة عميقة لدساتير العالم المختلفة من أفضل دساتير العالم باعتبار صلاحيته لخلق الانسجام بين مختلف الطبقات، واحتفظ بهذه الروح قادة البلاد الأولون، كغاندي،

www.abulhasanalinadwi.org

و"جواهر لال نهرو"، و"مولانا أبو الكلام آزاد"، و"رفيع أحمد القدوائي"، و"جي بركاش نارائن"، و"رام منوهر لوهيا"، وكان نصب عينهم الوصول إلى مجتمع ذي رفاهية، مجتمع مندفع، ولا متحجر ومتزمت، وكانوا يؤكدون عليها في تصريحاتهم، وكانوا يستنكرون كل مخالفة لها، وتدل عليه تصريحات هؤلاء الزعماء وإجراءاتهم.

نشوء الطائفية

من سوء الحظ انضم إلى صفوف القادة رجال لم يكونوا منشرحين بهذه الطبيعة العلمانية للدستور، أو كانوا متهاونين في تنفيذ الدستور، فتسامحوا مع أصحاب الميول الطائفية، والحركات الطائفية، أوتسرب إلى صفوفهم رجال كانوا يحملون ميولاً طائفية ضيقة.

كان الحزب الهندوكي المتطرف "هندو مها سبها"، لدى التقسيم ضعيفاً محدوداً، وكان نداً للعصبة الإسلامية، ولم يكن يمثل الأغلبية كلها، وإنما كان يمثل طائفة متزمة محدودة.

وقد كان معظم أعضائه من رجال الطبقة العليا والرأسماليين من الهندوس، ولم يكن له نفوذ سياسي كبير، ولكن تعاطف معه بعض رجال الحكم بعد الاستقلال الذين كانوا أيضاً من الطبقة العليا، وخضعوا لنفوذ هؤلاء الرأسماليين من أصحاب النزعات الرجعية، أو ضعفت رقابتهم على نشاطات أصحاب المشاعر الطائفية، فتضخمت النزعة الطائفية المتزمتة التي تطالب بإنشاء بلد هندوكي، وفرض الثقافة الهندوكية، ومحو آثار الحكم الإسلامي، وتجاوزت بعض الحركات إلى القضاء على الوجود الإسلامي، وطمس معالم الحضارة الإسلامية، ورفض كل فضل

www.abulhasanalinadwi.org

في التاريخ الإسلامي، وكانت هذه الحركات التي قامت بتربية عصابات بصورة سرية للهجوم على المسلمين، والقيام بأعمال النهب والسلب وراء الاضطرابات الطائفية التي حدثت في الهند في فترات مختلفة بتخطيط دقيق، وقد أثبتت التقارير التي أعدتها لجان التحقيق حول الاضطرابات الطائفية تورط هذه الحركات فيها.

منظمات هندوسية وموقفها

كانت المنظمة الأولى من هذا القبيل "هندو مها سبها" وهي ند العصبة الإسلامية التي طالبت بباكستان، ثم نشأت حركات أكثر تنظيماً وتخطيطاً، منها منظمة "راشتريه سويم سيوك سنكه"، و"شيو سينا"، وتشعبت من "راشتريه سويم سيوك سنكه" و"وشوهندو بريشد" و"بجرنك دل" ويعد أعضاء أسرة سنكه كتابات "كولوالكر" رئيس "راشتريه سويم سنكه" المعاندة للمسلمين والمهاجمة عليهم الفكر الأساسي لهذه الجماعات المتطرفة، ولم يخف هؤلاء الزعماء نواياهم للقضاء على كل أثر إسلامي، وانضم إلى بعض هذه الأحزاب والمنظمات المعادية للمسلمين عدد من كبار الضباط المتقاعدين من الهندوس، الذين كانت لديهم تجربة للتخطيط والتنسيق، وجميع هذه المنظمات تعلن أن الهند بلد الهندوس، وإن المسلمين لا حق لهم في الهند، ولا يسعهم إلا أن يعيشوا في هذه البلاد كهندوس، وصرح ذلك زعماء هذه الحركات مراراً، ونقلته الصحافة الهندية، وبدأت هذه المطالب تؤثر على المثقفين من الهندوس، وأعضاء الحكومة، وأجهزتها، ومنها البوليس، والشرطة، وكل ذلك على مرأى من رجال الحكم ومسمعهم.

وتسربت أفكار هذه المنظمات المتطرفة إلى مناهج التعليم،

www.abulhasanalinadwi.org

وخاصة المدارس التي أنشأتها هذه المنظمات، وهي منبثة ومنتشرة في البلاد على غرار المدارس التنصيرية، وأدخلت المواد السامة ضد المسلمين في مناهج هذه المدارس.

جنوح الحكومة إلى الفكر الطائفي

ظهر بنشاطات هذه الأحزاب والمنظمات وإخفاق الحكومة في كبح جماحها تناقض كبير، بين الدستور والسياسة الهندية المعلن عنها، وبين الواقع.

إنه كان من المفارقات أن المثقفين والأدباء والشعراء ورجال الحكم في البلدان الإسلامية عكفوا على محاربة الاتجاه الديني، والثقافة الدينية حتى الخصائص القومية أيضاً، كانت محاربة لديهم، وفي الهند أطلقت الحرية لأصحاب العصبيات الدينية، واستعين بهم في إعداد الكتب الدراسية، وكتابة القصص والروايات الشعبية، واستعان أولو الأمر بالمنجمين، والفلكيين، والكهنة رغم دعوى العلمانية، وأكثروا من زيارة المعابد والكهنة وإكرامهم، وشجعوا على رفع الشعارات الدينية، وقام الأثرياء والرأسماليون بتمويل هذه الحركات والمنظمات، وقامت الحكومات باستثنائهم على هذا الأساس من الضرائب، واستطاع رجال طبقة خاصة الوصول إلى مناصب عليا بمعونة رجال الحكم الذين كانت أغلبيتهم من طبقة خاصة.

ظهر جنوح الحكومة إلى الفكر الطائفي لأول مرة بعد عودة "إنديراغاندي"، إلى الحكم بعد فترة ثلاث سنوات من حكم "حزب جنتا"، وظهر هذا التواطؤ لأول مرة عند ما اعتنق سكان منطقة "ميناكشي بورم" في الجنوب الإسلام حرصاً منهم على الحصول على المساواة الطبقية، فكان انفعال رجال الحكم كانفعال الأحزاب

www.abulhasanalinadwi.org

المتطرفة، واتخذ هذا الحادث مبرراً لفرض قيود على الحركات الإسلامية، والمدارس، وزيارات القادة المسلمين الدينيين من خارج الهند، ولا تزال هذه القيود مفروضة ولا تزال زيارة بعض الشخصيات الإسلامية محظورة في الهند.

وكان المثال الثاني لانحياز الحكومة موقفها إزاء بناء المعابد، صدرت تعليمات بضرورة أخذ الإذن لبناء كل معبد، ولكن الحقيقة التي لا ينكرها أحد أن المعابد الهندوكية تنتشر بسرعة هائلة، وأصبح من الأمر العادي إنشاء معبد في رحاب دور الحكومة، و دور الوزراء، وثكنات الجيش، ومراكز الشرطة، وإن كان يتعارض ذلك مع الطبيعة العلمانية، ولكن بناء المساجد الجديدة يحدث مسائل، وتوضع عقبات في سبيلها، وتجري محاولة للاستيلاء على المساجد التي بنيت في الماضي، بدعوى أنها بنيت بعد هدم المعابد، أو أنها تقع في منطقة مقدسة للهنادك، وازداد هذا الانحياز في آخر عهد إنديرا غاندي، حتى ظهر كأنها كانت في تحالف مع بعض الأحزاب المتطرفة، ولذلك اشتد موقفها في بنجاب، وقررت الإجراء العسكري الذي أدى إلى توسيع الفجوة بين السيخ والهندوس، ومن أجل إرضاء هذه العناصر المتطرفة إنها صرحت في بعض بياناتها أنها لا تحتاج إلى أصوات المسلمين، وشددت في هذا العهد الرقابة على الحركات الإسلامية.

قضية المسجد البابري

كانت قضية المسجد البابري الذي كان قد وضعت فيه أصنام، وكانت القضية في المحكمة، مثالاً آخر لانحياز الحكومة إلى مشاعر الأغلبية الدينية، فقد فتحت الأقفال، ورفع الحظر على

www.abulhasanalinadwi.org

العبادة بحكم عاجل من محكمة فرعية تحت ضغط الحكومة ما يشير إلى تحول في سياسة الحكومة، وانحيازها إلى الحركات الدينية المتطرفة للهندوس، ثم جرت إجراءات قاسية لمنع المسلمين من رفع صوت الاحتجاج على هذا الحادث ولجأ البوليس إلى إطلاق النار بأعذار غير معقولة على المتظاهرين، ويبدو الطريق الذي اتخذ لفتح الأقفال مسرحية هزلية، وبلغت هذه المسرحية نهايتها المؤلمة عند ما سمحت الحكومة، رغم احتجاج المسلمين، بوضع حجر الأساس للمعبد في منطقة مجاورة للمسجد في ٩/أكتوبر ١٩٨٩م، وسمحت بخروج مسيرات تحمل الطوب لوضع حجر الأساس، وغضت البصر عن الهتافات المثيرة المغيظة للمسلمين التي رفعت في هذه المسيرات، وتعرض المسلمون الذين اعترضوا على هذه الهتافات لأقسى أنواع الإجراءات.

تزوير التاريخ

إن قضية المسجد البابري ومسقط رأس راما عنوان لحركة تهدف إلى الاستيلاء على ثلاثة مساجد كبرى تاريخية في الهند، وإن كانت قائمة المساجد المطلوبة طويلة، وقد أصبح كل مسجد أثري عرضة للخطر بهذه الحركة، والواقع أن بعض أدعياء التاريخ في الهند يدعون أن كل بناية أثرية تنسب إلى المسلمين بناية هندوكية حولها المسلمون في عهد حكمهم إلى بناية إسلامية، فيقول "أوك" أحد علماء التاريخ المزعومين من الهندوس، إن "منارة قطب" بناية هندوكية، و"التاج محل" بناية هندوكية، و"المسجد الجامع" أقيم على أنقاض معبد هندوكي، وكذلك عدد من الحصون والقلاع، والبنايات التي ترجع إلى عهد الحكم الإسلامي، يؤول هذا المؤرخ

www.abulhasanalinadwi.org

أنها بنايات هندوكية، وتجب إعادتها إلى الهندوس، وقد وضعت تماثيل في بعض البنايات التاريخية حتى في بعض المساجد القديمة الواقعة في الأماكن الأثرية، ويروج هؤلاء المؤرخون قصصاً وحكايات عن المذابح في العهد الإسلامي، فينسبون إلى الحكام المسلمين مجازر وأعمال إكراه الهندوس على قبول الإسلام، أو قتلهم وهدم معابدهم، ويخصون بالذكر الإمبراطور أورنج زيب عالمكير.

استغلال وسائل الإعلام والتعليم

وتحمل الكتب الدراسية كثيراً من هذه المواد السامة، وتنشر الصحف مقالات وقصصاً ذات النزعة الهندوسية، وما يحمل الكراهية للمسلمين، وفي ظل هذا النشاط العلمي والاجتماعي والسياسي المعادي للإسلام والمسلمين كيف يمكن أن تسير سياسة العلمانية المعلن عنها في الدستور، وكيف يمكن أن ينشأ ذهن سليم بقراءة هذه المواد، ونشاطات هذه الحركات، وفوق ذلك تجب بعض المنظمات إلى النفوس استخدام وسائل العنف ضد المسلمين لأنهم استخدموا العنف في الماضي ضد الهندوس، ويروج هذا التصور في خطابات المعابد، والاجتماعات الخاصة للهندوس، وأحياناً يشف عن البيانات والمقالات التي تنشر في الصحف.

لا شك أن هناك رجالاً لا يؤيدون هذه النشاطات، بل يظهرون خطورتها، ويوجد في رجال الحكم رجال يعتقدون أن العلمانية هي الطريق الوحيد لازدهار الهند كبلد موحد، وتتخذ الحكومة إجراءات لإعادة الثقة إلى المسلمين، وإزالة شكاويهم، ويوجد كتاب وصحفيون محايدون، لكن ضخامة هذا الخطر تقتضي

www.abulhasanalinadwi.org

مجهوداً أكبر وإجراءات أشد على مستويات مختلفة، على مستوى الإدارة، وعلى مستوى التعليم والتربية، وعلى مستوى الصحافة، وتتطلب صلابة أكبر لردع هذه الحركات التي تكافح السياسة العلمانية.

إن جمهور الشعب الهندي مسالم ومتسامح، لكن هذه المؤسسات تسمم أذهان السذج من الناس، كما تسمم أذهان المثقفين.

حاجة إلى تطبيق دستور البلاد العلماني

إن معظم مشاكل الهند الحديثة ترجع إلى عدم تطبيق روح الدستور ومما لأة رجال الحكم إلى بعض الاتجاهات الانفصالية والطائفية، أو الحركات التي لا تؤمن بالدستور العلماني، وإنما تريد أن تتحول البلاد إلى بلد هندوكي، ولا يستغرب وجود مثل هذه الحركات في مثل هذا البلد العظيم، ولكن انحياز بعض القادة والزعماء وأصحاب النفوذ والإدارة إلى هذه الحركات يمنحها قوة، وتوغلاً إلى صفوف الإدرايين في السياسة، وإذا حدثت مشكلة أو وقع صراع، أصعب حله لانحياز رجال الحكم، وعدم حيادهم، ويبرز هذا الانحياز في سياسة التعليم، والإعلام، والإدارة، والثقافة، ويسمى بعض القادة لون الأغلبية بالتيار القومي، ويطالبون بدمج الأقليات في هذا اللون، وإن كانت هذه المطالبة تتنافى مع تصور الدستور الهندي العلماني.

وقد ازداد عدد الهيئات التي تدعو إلى فرض اللون الهندوكي على المجتمع، وتنظر إلى المسلمين بعين السخط، والكراهية، وتدعو الحكومة إلى سحب كل ما يمنح المسلمين من

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق كأقلية، وتدبر هذه الحركات المناوئة للمسلمين، اضطرابات لإيجاد شعور عدم السلامة في المسلمين، وعدم الاستقرار، واستئصالهم من المراكز الصناعية، والاقتصادية، ولتوغل رجالها في الشرطة، والإدارة، لا يجد المسلمون معاملة الإنصاف والعدل إذا وقعوا فريسة للاعتداء أو الظلم، بل تحاك ضدهم التهم، ويحملون هم أنفسهم المسئولية من إحداث أسباب للقلاقل في البلاد.

إن المشكلة الأساسية إذاً هي تطبيق الدستور نصاً وروحاً، وإعادة الحكومة إلى الحياد في السلوك مع مواطني البلاد، وإزالة الكراهية والعداء في قلوب رجال مختلف الطبقات ليعيشوا كمواطنين بدون خوف وذعر، ويشاركوا في تقدم البلاد.

إن دستور البلاد علماني وغير طبقي، ودستور الانتخابات كذلك علماني غير طبقي، ولكن الشيء الذي يفقده المواطنون هو صلابة الحكام في تنفيذ هذا الدستور العلماني.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ الندوي
وموقفه إزاء الحركة القومية الهندية

محاولة لمحو الشخصية الإسلامية

خفت حدة الاضطرابات الطائفية الدامية التي كان المسلمون فيها الفريسة الوحيدة منذ عام ١٩٤٧م، وقام نظام ديمقراطي في عام ١٩٥٠م، واتخذ دستور علماني، لكن بعض العناصر التي لم تكن منسجمة مع الفكرة العلمانية كانت تريد تحقيق سيادة كاملة للهندوس لكونهم في الأغلبية، واعتقدت هذه العناصر أن الهند بلد الهنادك، وأن المسلمين كانوا غزاة وأجانب، وأن المسلمين أنشأوا دولة خاصة لهم باسم "باكستان"، وبدأت هذه العناصر حركة إذابة المسلمين باسم اللغة والثقافة، والقومية الهندوسية، وبدأت حملة شنيعة للطعن في التاريخ الإسلامي واتهام المسلمين باضطهاد الهندوس في عهد حكمهم، ورافقت فرض اللغة الهندية حركة معاداة اللغة الأردية، وإحياء التاريخ الهندي العتيق وطمس المعالم الإسلامية بتغيير أسماء الشوارع والمدن، وإحياء رموز الثقافة الهندية القومية، ووجهت الدعوة إلى المسلمين بقبولها، وأن يندمجوا إلى المجتمع الهندوسي، وطالب بعض القادة أن يقطع المسلمون صلتهم بالماضي، ولا يفاخروا بأمجاد التاريخ الإسلامي، بل يفاخروا بأمجاد الهند، في البطولة والسياسة، والأدب، والفن،

www.abulhasanalinadwi.org

وكان في مقدمة من يقود هذه الحركة "برشوتم داس تندن"، وكان هذا الاتجاه خطراً كبيراً على العلاقات الطائفية، وقد أثارت نوعاً من الصمود في المسلمين والشعور بذاتيتهم، وأنهم محاربون لمجرد انتسابهم إلى الإسلام وإن كان قد حدث في بعض الطبقات انكسار، وكان التخلي عن اللغة الأردية التي تحمل ثروة غنية وهي اللغة الإسلامية الثالثة في العالم، التخلي عن الثقافة الإسلامية والحرمان من مصادرها، ما يؤدي إلى الانسلاخ من الإسلام في المستقبل، شعر العلماء المسلمون وفي مقدمتهم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي هذا الخطر في حينه، فألفوا رسائل في مكافحة هذه الدعوة، وإبراز أهمية اللغة والثقافة، والتاريخ، وخاصة للأقليات، كما وجهت رسائل إلى دعاة الثقافة الهندوكية، كـ "برشوتم داس تندن"، وكان هذا الزعيم في مقدمة الدعاة إلى تمجيد التاريخ الهندي القديم وتقديس أرض الهند، وكذلك كان من أصحاب هذه الفكرة "ك. م. منشئ" الذي أنشأ حركة للتربية الهندوسية وإحياء التاريخ العتيق، والمستر "سمبورناناند" كبير وزراء ولاية أترابراديش، الذي كان أيضاً من المتحمسين لهذه الحركة.

سمة الهند التنوع والتآلف

أقام العلماء اتصالات مع هؤلاء الزعماء لإزالة شكوكهم وشبهاتهم وإزالة سوء الانطباع عن الإسلام، والتأكيد على أن بقاء كل طبقة وفئة على خصائصها، ومميزاتها، لا يتعارض مع الدستور، وطبيعة البلاد، بل إنه يشكل سمة من سمات المجتمع الهندي، فإن المجتمع الهندي سمته التنوع، والتسامح، والتكامل، وهو متآلف، ومتناسق، ويجب أن يبقى هذا التآلف، وإن محاولة

www.abulhasanalinadwi.org

رفض لغة أو ثقافة وإكراه الناس على قبولها يحدث صراعاً وردود فعل، يؤدي إلى انسلاخ بعض الطبقات من خصائصها ومميزاتها.

طابع الثقافة الهندية وثني

وكان يدرك العلماء أن الثقافة الهندية طابعها وثني وهي تتعارض في كثير من الأمور مع الثقافة الإسلامية، وأن كثيراً من الأعياد والطقوس والعادات لها طابع وثني، فإن سيق المسلمون إلى تقليدها ومسايرة الأغلبية فيها، فإنها تترك أثراً على العقلية، والفكر، والعقيدة، وتحدث ميوعة في منهج الحياة.

الشيخ الندوي ومنهجه في مكافحة حركات الطائفية

كان في مقدمة العلماء الذين شعروا بضرورة خوض هذه المعركة سماحة الشيخ الندوي، إنه ألف عدة رسائل باللغة الأردية، ونقلت هذه الرسائل إلى اللغات الهندية المختلفة في أهمية الثقافة الإسلامية وضرورة الاحتفاظ بها، والاهتمام بتصحيح العقيدة، وتجنب العادات الوثنية، كما أكد على أهمية الانسجام الطائفي، وتنمية روح التعايش السلمي والاحترام المتبادل.

ولم يكتف سماحة الشيخ الندوي بتأليف رسائل، بل فكر في عقد اجتماعات عامة مشتركة للتحدث إلى المسلمين وغير المسلمين لإيجاد الانسجام، وعرض الإسلام، والخلق الإسلامي، والتصور الإسلامي للحياة الاجتماعية.

يقول سماحته في كتابه "في مسيرة الحياة" وهو يذكر هذا الانتقال من المجال الخاص للدعوة، إلى المجال العام.

"قادني جهازي الفكري والتربوي الذي لم يكن قد ترك عمله، ولم يطبق عينه عن الظروف والأوضاع المخيفة، والذي

www.abulhasanalinadwi.org

وضع نصب عينه دائماً تجارب الماضي وحقائق الحاضر وأخطار المستقبل إلى اتجاه جديد وتجربة جديدة في المجال الدعوي الشعبي، وهو عقد اجتماعات مشتركة شعبية، يدعى فيها غير المسلمين أيضاً باهتمام بالغ، لا سيما المثقفين منهم، وتلقى فيها خطابات مع مراعاة أجوائهم وعقلياتهم، تعرفهم بالإسلام، وتزيل الوحشة منه، وسوء التفاهم، وتحثهم على دراسة الإسلام والسيرة النبوية بعمق وإنصاف، وتجسم لهم الأخطار المحدقة بالبلاد، للإفلاس الروحي والعقائدي، والانهيار الخلقي، وسيطرة النظر المادي، والشره للمال على المجتمع".

وقد عقدت عدة اجتماعات ضخمة في مدن الهند الكبرى خاطب فيها سماحة الشيخ الندوي وعدد من الزعماء الآخرين، كان فيهم الشيخ محمد منظور النعماني بمراعاة الأذهان لغير المسلمين.

يصف سماحته تأثير هذه التجربة، بعد أن ألقى خطاباً في مدينة "سيوان" في ولاية "بيهار"، وقد حدثت في المنطقة قبل ذلك اضطرابات عنيفة ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين، وكانت العواطف ملتهبة، والجو مكهرباً، وسوء الفهم عن الإسلام والمسلمين سائداً، وقد كانت الصحافة القومية كعادتها في مثل هذه المناسبة قد عرضت المسلمين كالفئة الباغية المثيرة للفتن، يقول سماحته في سيرته الذاتية في "مسيرة الحياة":

"بعد انتهاء الخطاب، تقدم إليَّ شيخ هندوكي معمر، وهو يقول بالإنجليزية "رائع رائع، ثم قال: أريد أن أقول شيئاً، وقال: إني سمعت في حياتي خطابين تأثرت بهما جداً، أحدهما خطاب س. ر. داس، والثاني خطاب مولانا اليوم، وأقول بصراحة إن

www.abulhasanalinadwi.org

محمداً صلى الله عليه وسلم حق ، ويا مولانا إنك لست للمسلمين فحسب، بل إن لنا حقاً عليك، وسوف نكلفك بزيارة هذه المدينة مرة ثانية"[١].

وبهذه التجربة الطيبة نبتت فكرة رسالة الإنسانية، وهي الخطوة العملية الأولى في هذا الاتجاه.

كانت هذه الاجتماعات التي يتحدث فيها الشيخ الندوي تجربة فريدة في تاريخ الهند الحديث، فقد عرفت الهند في العهد القريب اجتماعات سياسية، يتحدث فيها الزعماء السياسيون الذين كانوا يخوضون معركة تحرير البلاد، فكانوا يشنون هجوماً على الاستعمار البريطاني، أو اجتماعات للأحزاب السياسية، التي كانت تبحث القضايا السياسية، أو كانت تعرف الاجتماعات الدينية التي كان لها منهج خاص وهو منهج الوعظ والإرشاد، بالاعتماد الزائد على القصص والحكايات، وذكر البطولات، وقصص التاريخ، أو اجتماعات جدلية كانت تعقد بين مختلف الفرق، وقد زادت هذه الاجتماعات من الخصومة والعداء، فقد عقدت مناظرات ومشاجرات كلامية بين الآريين، والمسلمين، والمسيحيين والمسلمين، وكذلك اجتماعات حول القضايا والمذاهب الفقهية التي كثرت في الهند في العهد الماضي، وأثارت الطبيعة الجدلية، أو التفكير السياسي المجرد عن القيم، وقد اتخذ سماحة الشيخ الندوي منهجاً جديداً، وهو كحديث القلب مع القلب لعرض ما يؤثر على القلوب من تعاليم الإسلام والتاريخ الإسلامي من الناحية الإنسانية، وعرض حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[١] في مسيرة الحياة: ١/٢٤٧-٢٥٠.

www.abulhasanalinadwi.org

كمربي الإنسانية، والذي بعث كمتمم الأخلاق، رحمة للعالمين، واستعراض التاريخ الإسلامي بإبراز جوانب المساواة، والتسامح، والعدل بين الناس، ورعاية حقوق غير المسلمين واحترام الأديان وكرامة الإنسان، والدعوة إلى إنشاء مجتمع إنساني نبيل، ينتقد ما وقع في حياة المسلمين من انحراف عن الجادة، وتقصير في اتباع تعاليم الإسلام والخلق الإسلامي، ويسلك مسلك التأليف للقلب، فنال هذا المنهج إعجاب غير المسلمين الذين كانوا يعرفون عن الإسلام، أنه دين القتال، وسفك الدماء، والتحجر، والانعزال عن الحياة، وأن الحكم الإسلامي حكم القسوة، والإكراه، ولذلك كان عدد غير المسلمين في الاجتماعات التي يتحدث فيها الشيخ الندوي يتزايد كل يوم، ونالت هذه التجربة قبولاً، فوجهت إليه الدعوة للخطاب في مدن الهند المختلفة، وفي الاجتماعات المختلطة، وبهذا المنهج استطاع أن يلفت عناية عدد من الزعماء من غير المسلمين إلى قضايا المسلمين، وكسب عطفهم وتأييدهم، وأتاح فرصة الالتقاء بين مختلف الطوائف، والحركات، وارتفع بذلك وزنه في الأوساط الرسمية والسياسية.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ الندوي
ومنهجه في مواجهة الاضطرابات الطائفية

خلال نشوب أي أزمة تتحرك جميع الأحزاب والمنظمات حتى المدارس الإسلامية التي يهمها التعليم والدراسة لمواجهة الأزمة، سواء كانت هذه الأزمة ناتجة عن حدوث اضطرابات طائفية، أو هجوم على الثقافة الإسلامية، أو محاولة لإعادة النظر في المنهج الإسلامي، أو قضية تتعلق بالعالم الإسلامي خاصة العالم العربي، وقد عرفت الجالية الإسلامية في الهند باهتمامها الزائد بمشاكل العالم الإسلامي واستعدادها للقيام بأي تضحية له.

عندما تحدث الاضطرابات الطائفية أو كارثة طبيعية تتجه عناية العاملين المسلمين إلى إسعاف المنكوبين، وإعداد تقارير عن ضخامة الحوادث، ومعرفة أسبابها، وقد قامت عدة حركات إسلامية كجمعية علماء الهند، والجماعة الإسلامية، والإمارة الشرعية في بيها ر بجهود جبارة في هذا المضمار، ووصل مندوبوها إلى مواضع الاضطرابات، وقدموا المعونات إلى المنكوبين، وكان لها أثر طيب في النفوس.

اتجه تفكير سماحة الشيخ الندوي كدارس ومؤرخ، إلى دراسة أسباب الاضطرابات ومعالجتها معالجة دائمة، ومن أجل

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك قام بالاتصال برجالات الفكر، وأصحاب النفوذ لمنع هذه الحوادث من الوقوع.

اشتعلت في أواخر عام ١٩٦٣م نار الاضطرابات الطائفية في المناطق الصناعية في شرقي الهند، تكبد فيها المسلمون بخسائر فادحة، وعكفت الجماعات الإسلامية باختلافها في الفكر على أعمال الإسعاف، وكانت قوة المسلمين موزعة، كل يحمل لواء خاصاً لحزبه.

إنشاء المجلس الاستشاري الإسلامي

وتجددت الاضطرابات في عام ١٩٦٤م حيث قتل في "جمشيدبور" و "راوركيلا" أكثر من ثلاثة آلاف من المسلمين، ففكر سماحته أن هذا الاتجاه للعنف ضد المسلمين لا يمكن أن يوضع له حد إلا بمساعدة أصحاب الشعور النبيل من غير المسلمين لأنهم في الأغلبية، وهم يستطيعون أن يؤثروا على أذهان رجال طبقتهم، وعن طريقهم يمكن التأثير على رجال الحكم لاتخاذ تدابير رادعة لوقف هذه الاضطرابات، ووقع الخيار على "جي بركاش نارائن"، و"أشارية ونوبابهاوي"، وقد كان الأول قد رفع صوته ضد الاضطرابات بجرأة، واقترح تكوين جيش الأمن، وكان الثاني خليفة "غاندي"، وقائد "حركة سروديا"، وكان قائداً روحياً للهندوس، فأجرى الشيخ الندوي، والشيخ محمد منظور النعماني معهما لقاءات خاصة لتوجيه انتباههما إلى هذا الأمر، وشرحا لهما الوضع السائد، وطلبا منهما معونتهما في مواجهة هذه الأخطار المحدقة، وبذل المجهود المشترك، وفي الوقت نفسه فكر الشيخ الندوي في وسائل نفخ روح المقاومة، والاعتداد بالنفس والاعتماد على الله

www.abulhasanalinadwi.org

في المسلمين أنفسهم لكيلا يصيبهم الخور والجبن والاستكانة، فأجرى اتصالات مع القادة المسلمين من مختلف الأحزاب السياسية لتكوين منظمة للأحزاب الإسلامية ليكون منبراً إسلامياً، يرفع عن طريقه صوت المسلمين موحداً.

عقد الاجتماع الأول الذي كان نواة لتأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي بلكناؤ في أغسطس ١٩٦٤م.

الشيخ الندوي كرئيس للمجلس

قرر المجلس كخطوة أولى على القيام بجولات في المناطق المفجوعة بالاضطرابات، والتحدث إلى المنكوبين، والاتصال بالمثقفين من رجال الأغلبية لدعوتهم إلى التآخي، والتضامن، فقامت هذه الجولة باشتراك سماحة الشيخ الندوي في سبتمبر ١٩٦٤م، وكان لهذه المنظمة دور فعال في إعادة الثقة في المسلمين، وإيجاد شعور التضامن فيهم، وكان لها وزن وثقل في دوائر الحكومة، ورجال الأغلبية، لأنها كانت أول منبر للمسلمين، وقد ضم هذا المجلس كبار الزعماء المسلمين، ورؤساء الأحزاب الإسلامية، وقام أعضاء هذه المنظمة بزيارة مختلف مدن الهند الكبرى، وتحدثوا في اجتماعات ضخمة للمسلمين لإيجاد الثقة في قلوبهم، ورافق بعض القادة المعتدلين الهندوس في هذه الجولات، كان منهم سندرلال من أتباع غاندي، إنهم أكدوا للمسلمين مساعدتهم، وتعاونهم في حل مشاكلهم، وإزالة مخاوفهم، وقد كانت شخصية الدكتور السيد محمود وزير خارجية الهند السابق من رواد هذه الحركة التي قامت في الواقع باشتراك المسلمين وإعادتهم

www.abulhasanalinadwi.org

إلى التيار الوطني، وكان للجماعة الإسلامية ورئيسها الشيخ أبي الليث الندوي، والمفتي عتيق الرحمن مساهمة فعالة في هذه الحركة.

كان تأليف هذه الجبهة المشتركة بمثابة جبهة قومية، وقد كان المسلمون موزعين في أحزاب، وجماعات تختلف في التصور والمنهج، وكانت بعض الجماعات متصارعة فيما بينها، وكان لمجهود الدكتور محمود وسماحة الشيخ الندوي دور كبير في تأليف الشمل، وجمع القيادات المختلفة على رصيف واحد، وكان ذلك أول ائتلاف للأحزاب والمنظمات الإسلامية في الهند بعد حركة الخلافة.

وقد أتاحت هذه المنظمة فرصة للالتقاء بين مختلف فرق المسلمين ومنظماتهم، وقادتهم من سائر أنحاء الهند، في مناسبات تستدعي الاجتماع، والتشاور، واتخاذ خطوة موحدة حول المسائل المصيرية للمسلمين، واتخذت المنظمة عدة قرارات حاسمة في بعض الظروف الصعبة، وانضم إلى هذه المنظمة معظم الأحزاب الإسلامية الكبرى في الهند.

وكان أول تأثير لهذه الحركة معالجة مخاوف المسلمين، وإزالة شعورهم بالانهزامية، ومركب النقص، وثارت همتهم وعزيمتهم وثقتهم في المستقبل، وانتخب الشيخ الندوي بالإجماع رئيساً لهذه المنظمة، وشغل منصب الرئيس مدة طويلة.

كان المجلس الاستشاري الإسلامي منبراً كبيراً يقوم برفع صوت المسلمين، وينسق جهودهم، ويرشدهم إلى مجال العمل، وينمي فيهم صلاحية التشاور، والتعاون، ويزيل العنجهيات والأنانيات التي كانت قد نشأت في زعماء الأحزاب، وقادة المسلمين والنزعة الحزبية، وأوجدت فيهم الشعور القومي، والمسئولية تجاه الأمة الإسلامية، ورفعت الروح المعنوية في المسلمين بالجولات التي قام بها

www.abulhasanalinadwi.org

القادة المسلمون تحت برنامج المجلس الاستشاري الإسلامي، فقد كانت الاضطرابات الطائفية المنظمة التي وقعت في المناطق الصناعية، والخسائر الجسيمة التي لحقت بالمسلمين، قد أحدثت فيهم الشعور بعدم السلامة والحذر، ولو لا الخلافات التي نشأت فيما بعد في القيادات وتغلب المصالح الحزبية، لكان هذا المنبر مصدر قوة كبيرة للمسلمين ومنطلقاً لطاقاتهم، ولكان نموذجاً للدول الإسلامية الأخرى التي تتصارع فيها الأحزاب، والمنظمات الإسلامية، والقادة المسلمون لعدم وجود قوة جامعة لهم، وتختلف المواقف والمناهج لمواجهة القضايا التي تنشأ في الملة الإسلامية.

نالت وفود المجلس الاستشاري في المرحلة الأولى استقبالاً حاراً وترحيباً شعبياً في المناطق التي زارتها، وأقيمت حفلات ضخمة كان يحضرها عدد كبير من غير المسلمين، لأن الخطب التي كانت تلقي في هذه الحفلات كانت تدعو إلى الأخوة، والتضامن، والمروءة، والسماحة، وحقوق الجوار، وتعرض فيها التعاليم الخلقية النبيلة، وسمع غير المسلمين هذه التعاليم لأول مرة، فرحبوا بالقادة المسلمين، وبفضل هذه الاجتماعات عادت الثقة إلى المسلمين في المناطق المنكوبة، وأشرف المجلس الاستشاري الإسلامي أيضاً على أعمال الإنقاذ والإسعاف في المناطق المتضررة بالاضطرابات والفيضانات والزلازل، وكان تأسيسه في تلك الظروف خطوة موفقة للغاية، وقد أدى دوره خير تأدية.

الشيخ الندوي: منهجه في مكافحة الكراهية والعداء في قلوب غير المسلمين

كانت الاضطرابات الطائفية جزءاً من مخطط الجماعات الإرهابية التي نشطت في البلاد لفصل المسلمين من الحياة العامة،

www.abulhasanalinadwi.org

ويظهر ذلك من اختيار المناطق الصناعية، فقد حدثت الاضطرابات في "جبل فور"، "بيهوندي"، "بهمري"، "أحمدآباد"، "برودة"، "فيروزآباد"، "مرادآباد"، "ميرتهـ"، "علكيراه"، "رانجي"، "حيدرآباد" "إندور"، وهي مدن معروفة بالصناعة، ويحتل المسلمون فيها مكانة مرموقة، وهناك مدن أخرى ذات الأهمية التجارية والصناعية، حدثت فيها اضطرابات دموية واسعة النطاق، كذلك وقعت اضطرابات في المناطق التي كانت فيها مراكز إسلامية، وفي جميع هذه الاضطرابات نال المشاغبون تأييداً من الصحافة، وجهاز الأمن، والإدارة، وكان المسلمون رغم كونهم هدفاً لهذه الاعتداءات وخسائرهم الجسيمة متهمين بإثارة هذه الحوادث، وتعرضهم وسائل الإعلام كمثيرى الشغب والفتنة، وتحول المسئولية إلى الإسلام وتعاليم القرآن، وتربط هذه الحوادث بالجهاد، والإكراه الديني، وعداوة المشركين، ولذلك كان يعتقل المسلمون أنفسهم، وترفع ضدهم القضايا في المحكمة، ويتعرض المسلمون لإجراءات الأمن وتعسف الشرطة.

كان من أسوأ هذه الاضطرابات، وأفزعها والتي ظهرت فيها يد جهاز الأمن جلياً، اضطرابات "مرادآباد" في عام ١٩٨٠م، وذلك بعد عودة "إنديراغاندي" إلى الحكم بعد غياب ثلاث سنوات، وقد كانت الاضطرابات في الماضي تقع بين المسلمين وغير المسلمين، ووقعت هذه الاضطرابات بين المسلمين الذين كانوا في مصلى العيد لتأدية صلاة العيد، وبين الشرطة المسلحة، وجه إطلاق النار على المصلين في المصلى، وكان من بينهم عدد كبير من الأطفال، فسقط في المسجد أكثر من ألف شخص، كانت هذه هي

www.abulhasanalinadwi.org

التجربة الأولى، ثم عمت الاضطرابات في الأحياء السكنية، واتهم المسلمون بإثارة الشغب بالهجوم على مخافر البوليس.

وزار وفد المجلس الاستشاري و وفود الجماعات الإسلامية الأخرى المنطقة، واطلع الزعماء على الظروف، ولم يكن هناك مجال للشك، أن البوليس أطلق النار في المصلى، وأن القتلى كانوا من المصلين، ولما احتج المسلمون على تصرف الحكام والبوليس تقدمت الأحزاب المتطرفة في الدفاع عن إجراء البوليس، وطالبت بمعاقبة المسلمين لأنهم لا يقبلون أن يسايروا التيار القومي.

التقى سماحة الشيخ الندوي مع زعماء المسلمين الآخرين بالحكام واجتمع بالقادة والزعماء من غير المسلمين، وتحدث إلى المسلمين، ودرس الوضع، وبذل مجهوده لتسوية النزاع، وتهدئه الأعصاب، وأعد المجلس الاستشاري تقريراً قدمه إلى الحكومة.

وفي اجتماع لإكاديمية أبي الكلام آزاد في لكناؤ عقد فور هذه المجزرة الرهيبة حضر كبير وزراء الولاية المستر وشنوناتهـ برتاب سنغ، فألقى سماحة الشيخ الندوي كلمة صريحة أدان فيها الحكومة، وقال إنه يستحي أن يزور البلدان الأخرى في هذا الوضع لوقوع هذه المأساة الإنسانية.

وكان سماحته في كلامه في غاية من الانفعال لوجود كبير الوزراء، و وزراء آخرين معه، وقد جاشت عواطفه، فتكلم بكل جرأة، وانتقد الحكومة، وطالب بمعاقبة الجزارين الذين سفكوا دماء الأبرياء، ولم يكن عند كبير الوزراء رد شاف فقال: مع الشيخ الندوي كل حق في هذه الصراحة، وهو ينكس رأسه أمامه، وكان يندو من موقف كبير الوزراء أنه غير قادر على السيطرة على الوضع لغلبة العناصر المتطرفة، وتسربها إلى جهاز الأمن.

www.abulhasanalinadwi.org

وأجرى وفد للمجلس الاستشاري مقابلة مع رئيسة الوزراء لنقل عواطف المسلمين، إلى رجال الحكم على هذه المأساة الإنسانية، وبذل المجلس مجهوده لإخماد الفتنة، وفكر الزعماء المسلمون في وسائل لمنع حدوث مثل هذه الاضطرابات، و تضييق الفجوة بين المسلمين وغير المسلمين، وقد كشفت لقاءات الزعماء المسلمين مع الزعماء من غير المسلمين أن هناك شبهات كثيرة بين الفريقين، وبدون إزالة هذه الشبهات لا يمكن وقف هذا التيار العنيف، وأن أي إجراء رسمي مهما كان صارماً لا يستطيع أن يزيل هذه المخاوف، والكراهية التي توجد في نفوس مختلف طبقات المواطنين، وأن الحل الوحيد لهذه المعضلة هو غرس المحبة، وروح الإخاء والمواطنة بين مختلف طبقات المجتمع الهندي، وعاطفة الود والتبادل، وحل المشاكل بالطرق السلمية.

فاختار سماحته طريق إجراء الحوار، وتباحث المشاكل القومية مع قادة الفكر في الهند، وإرسال رسائل إليهم لإزالة الشكوك والشبهات في أذهانهم بالنسبة للمسلمين، وإعداد منشورات، وكتب في لغات الهند المختلفة، تدعو إلى إيجاد روح التعاون، والإخاء في مختلف طبقات الشعب، ولذلك كان يقبل دعوات الاشتراك في اجتماعات وحفلات غير المسلمين لانتهاز الفرصة للتحدث إليهم.

www.abulhasanalinadwi.org

دور الشيخ الندوي
في حل قضايا التعليم والإعلام في الهند

كان التعليم والإعلام من أهم وسائل الغزو الفكري للغرب، لأن التعليم يكوّن الذهن ويصوغه صياغة جديدة، ويؤهل المتعلم لتوسيع دائرة نشاطه، وتجديد معرفته، وينمي قدراته، ويعين سلوكه، ولا يتأثر المتعلم فحسب، بل يؤثر على غيره، وخاصة أعضاء أسرته، لأنه يملك قدرات لتوجيه الحياة، واستمالة القلوب، وقد استخدمت أوربا هذه الوسيلة لتغيير الذهن وتوجيهه توجيهاً غربياً قبل أن رسخت أقدامها في الدول غير الإسلامية، فنشأ بفضل هذا التعليم والتربية جيل في عهد الحكم الإسلامي الأخير يميل إلى الغرب، ويقبل على أفكار علمائه، ووجد فيه استعداد لقبول كل ما يأتي من الغرب، فنشأ في الجيل الجديد اتجاه إلى محاكاة الغرب، والتجرد عن المثل الشرقية، ونشأت طبقة من المتنورين الذين يستهينون بالتعاليم الإسلامية، ويحملون شكوكاً وشبهات في سداد الدين لمسايرة الحياة الجديدة الراقية، وتعدى هذا الاتجاه إلى الاستخفاف بالدين والثقافة الإسلامية في بعض المثقفين بالثقافة الغربية، ولما استقر الاستعمار في هذه الدول ساعد الإعلام في ترسيخ ما حققه التعليم الأوربي من مكاسب، فأثر على الذوق والميول الطبيعية، وعرض الحياة في المجتمع الأوربي كنموذج وأسوة للقارئ والناظر، و المستمع، وساعد الاستشراق كعامل ثالث في صياغة

www.abulhasanalinadwi.org

الذهن، فقد أعد المستشرقون كتباً في التاريخ، والثقافة، والفن، والعلوم لتكوين الرأى، وتنمية عقلية جديدة تعاكس العقلية القديمة، وانتشر ما ألفه هؤلاء المؤلفون في كل موضوع يتصل بالحياة، وشاع تصورهم الخاص عن التاريخ، والدين، والأخلاق، واللغات، والثقافات، وصارت هذه المؤلفات في فترة قليلة، مرجعاً للدارسين.

تهنيد التعليم والإعلام

توجهت عناية قادة الفكر في الهند بعد الاستقلال إلى هذا القطاع المهم، فأجروا تعديلات في نظام التعليم، وقاموا بإجراءات لتهنيد التعليم وتلوينه باللون الوثني، وأدخلوا في نظام التعليم برامج باسم الثقافة تتنافى مع تصور المسلم، وعقيدة التوحيد، وأدخلت في مقررات التعليم مواد توجه الذهن توجيهاً جديداً، وتصوغه صياغة جديدة، وتغرس فيه تصورات وأفكاراً جديدة، وتحدث في الأذهان شكوكاً وشبهات عن الدين الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، وكذلك برامج الإذاعة والتلفزيون بالأحاديث، والتمثيلات، والقصة، والحوار، والأغاني، وبرامج التسلية، وبرامج التعليم، ثم الأفلام والمسرحيات اتخذت اتجاهاً خاصاً يحمل لوناً وثنياً، أو معارضاً للتصور الإسلامي للحياة، كان لها أثر عميق على أذهان البراعم، والناشئين خاصة، أما الصحافة فإنها كانت تابعة للرأسماليين الهندوس ولهم طبيعة وميول ذهنية معينة، فكانت تحمل مواد الكراهية للمسلمين في المقالات، وتقدم الأخبار، وتغطي الأحداث بتصور خاص يميل إلى إدانة المسلمين، وبث الشكوك في ولائهم لهذا الوطن، وإثارة قضايا تاريخية قديمة، تثير ردود فعل في الأغلبية الهندوكية، وكانت بعض الصحف تابعة للحركات المعادية للمسلمين، وقد أثارت التقارير الصحفية المنحازة

www.abulhasanalinadwi.org

المعاندة للمسلمين عن بعض الأحداث ردود فعل عنيفة أدت إلى اضطرابات، أو الاعتداء على المسلمين.

الدعوة إلى إحياء الثقافة الهندية

بالإضافة إلى مدارس رسمية أنشئت مدارس تابعة لبعض الجمعيات والمنظمات تعمل على غرار الجمعيات التبشيرية همها الأكبر الدعوة إلى الثقافة الهندية، والعقائد الهندوكية، وتربية الطلبة تربية هندية خالصة، ورافقت هذه المناهج التربوية برامج الإذاعة التي لا تنشر الأناشيد الهندية الوثنية فحسب بل تقدم برامج مقتبسة من التاريخ الهندي القديم، وتعرض أمجاد التاريخ الهندي بالتقديس، وكان استبدال اللغة الأردية باللغة الهندية، والتعليم فيها، وصدور الصحف والمجلات، والقصص بأقلام كتاب لهم عقيدة خاصة عاملاً آخر في سبيل تحويل المجتمع تحويلاً هندوكياً فكرياً وثقافياً، فقد كان تغيير اللغة خطراً على المكتبة الإسلامية التي نشأت في مدة أكثر من قرن، وخطراً على الثقافة الإسلامية والآداب، وبدأت تظهر آثارها في منهج التحية والأكل والشرب بالإضافة إلى دخول مصطلحات ذات الخلفية الوثنية في الكلام، وخروج المصطلحات الإسلامية والآداب الإسلامية من الحياة العامة.

اتجاه الدولة العلمانية

كانت من أهم القضايا الفاصلة للموت، والحياة فيما يتعلق بالشعب الإسلامي الهندي بعد استقلال الهند قضية بقاء المسلمين وجيلهم الجديد على العقائد الإسلامية والإيمان بالحقائق الدينية وشخصيتهم الملية وكيانهم الخاص، وبعد قيام الدولة العلمانية (اللادينية) في الهند التي اتجهت اتجاهاً وثنياً بتأثير الأغلبية لم تكن

www.abulhasanalinadwi.org

مسئوليات الدولة في هذه الحكومة العلمانية أن تنظم التعليم الديني للأطفال المسلمين، وكان من اللازم دستورياً وقانونياً، أن تكون هذه المعاملة على قدم المساواة مع جميع الفرق الموجودة في الهند، ولكن لصلة مسئولي الحكومة بطبقة الأغلبية، كان من العسير جداً بطبيعة الحال أن تقف الحكومة موقف المساواة، فإنها تتبع الديانة الهندوكية وهي متحمسة فيها وحريصة على تطبيقها.

ثم إن التجارب المريرة عن المسلمين أو الشعور بالمرارة عن ماضي المسلمين وقيام باكستان، وحركة إحياء الديانة الهندوسية، (Revivalism) والعقلية الهندوسية لواضعي المناهج والمقررات، كل ذلك زاد الأمر سوءاً وتعقيداً، وكان من نتيجته أن ظهرت بعد التقسيم فوراً دروس صريحة في الكتب الابتدائية المقررة عن الديانة الهندوكية، وفلسفتها وقصص شركية خرافية من الميثالوجية الهندية، وبدأ للعيان أنه لو استمر الحال على ذلك لكان الجيل الجديد من الملة الإبراهيمية والأمة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ فريسة الجهل بالتوحيد الخالص أو الانحراف عنه والتأثر والاعتقاد بالعقائد الشركية والكفر الصريح.

وكان يجب في هذا الصدد القيام بعملين:

أحدهما: سلبي، والثاني: إيجابي، فالعمل السلبي الإداري، هو أن تطالب الحكومة بأن تكون ـ بكل صدق وأمانة ـ علمانية لا تتدخل في الدين في سياستها التعليمية وتعامل جميع الفرق والطبقات معاملة واحدة، وأن تكون المناهج والمقررات علمانية، كما كانت في عهد الإنكليز التي وإن كانت تضم في كتبها المقررة قصص الكلاب والسنانير، لكنها كانت لا تلقن ديانة من الديانات، والعمل الإيجابي: هو أن ينظم المسلمون بأنفسهم التعليم

www.abulhasanalinadwi.org

الابتدائي لأطفالهم المسلمين، ويفتحوا لهم المدارس والكتاتيب التي تعلم فيها اللغة الأردية والعقائد والدين، وتنقش في عقل الطفل المسلم النقوش الإسلامية، وترسخ في نفسه جذور الإيمان.

وقد تنبه أولاً إلى هذا الخطر بصورة واضحة ملموسة الأستاذ محمد عديل العباسي المعروف بقاضي عديل عضو المجلس التشريعي للولاية الشمالية سابقاً، أحد أنصار حزب المؤتمر الوطني الهندي (Congress) ومن العاملين في مجال حركة التحرير والخلافة، وكان عضواً بارزاً في مديرية "بستي" ورئيساً للجنة التربية فيها زمناً غير قصير، فاستطاع عن طريق هذه الفرص والاتصالات المباشرة، والاطلاع على المشاريع، والمخططات التربوية، وقلبه الإسلامي الحساس أن يتفطن للخطر الداهم لمستقبل الأجيال المسلمة الصاعدة، وما يتبع ذلك من صياغة إسلامية، وردة فكرية عقائدية حضارية، وملك ذلك فكره وقلبه ومشاعره، ووهب كل طاقاته وصلاحياته العقلية والفكرية لهذه القضية وركزها عليها، وبقي زمناً غير يسير يعمل في حدود مديريته في مقاومة هذا الخطر، وإقامة المدارس والكتاتيب في هدوء بدون إعلام أو إعلان، وكانت للقاضي عديل صلة وثيقة بالشيخ الندوي والشيخ محمد منظور النعماني، فلما علم الشيخ الندوي هذه الخطوات طلب من القاضي عديل بأن يوسع هذه الدائرة، ويقوم بالجهد على نطاق الولاية.

وقبل القاضي عديل هذا الطلب وعقد في ٣٠-٣١/ديسمبر ١٩٥٩م، و١/يناير ١٩٦٠م مؤتمراً دينياً للولاية بمدينة "بستي"، ودعا إلى المشاركة فيه كبار المثقفين المسلمين، والمهتمين بالقضايا التعليمية، والعاملين في المجال القومي، والاجتماعي، ورؤساء المنظمات والمؤسسات الإسلامية، لا من أترابراديش

www.abulhasanalinadwi.org

فحسب، بل من خارج هذه الولاية أيضاً، ووجه الدعوة إلى الشيخ الندوي لرئاسة هذا المؤتمر الأول، ثم وقع عليه الخيار لرئاسة الهيئة أيضاً، ووجه الشيخ الندوي خطاباً مثيراً في المؤتمر يشرح فيه أهمية التعليم الديني، وأخطار التعليم الرسمي الذي يتجاوز إلى التصور الوثني، وكان هذا الخطاب بمثابة معلمة في الطريق، ولا يمكن أن يغفل أي مؤرخ منصف لقضايا المسلمين الأساسية ما قامت به هذه الهيئة من مجهود للاحتفاظ بالشخصية الإسلامية، ولعله ليست هناك بعد حادث التقسيم حركة أو حركتان بدأتا كهيئة التعليم الديني على أساس قضية خطيرة ذات أهمية مصيرية كبيرة للمسلمين في الهند.

هيئة التعليم الديني

توسع نطاق هيئة التعليم الدبني في رئاسة سماحة الشيخ الندوي، وقتحت تحت إشرافها عشرة آلاف من الكتاتيب بدون موارد كبيرة، واعتمد رجال هذه الهيئة على المعونات الأهلية، وجرت تجربة غريبة لتحمل نفقات هذه الكتاتيب، فقد طلب من النساء المسلمات بتوفير قبضة من الدقيق عند إعداد الطعام وعندما تصبح كمية ملحوظة يباع هذا الدقيق، وتقدم قيمته إلى الكتاب في المنطقة، وقد أعدت الهيئة كتباً دراسية في مختلف الموضوعات حسب التصور الإسلامي، وكان ذلك مجهوداً في جهة أسلمة المعرفة، وإن كان في المرحلة الابتدائية.

وفي ضوء هذه التجربة فتحت فيما بعد مدارس ثانوية إسلامية، تدرس فيها الموضوعات والمواد التي تدرس في المدارس الرسمية في تربية وتوجيه أساتذة مسلمين بغرس التعاليم الإسلامية في أذهان الطلبة، وكان من مساعدي سماحة الشيخ الندوي في هذا

www.abulhasanalinadwi.org

المجهود العظيم الأستاذ محمد ظفر المحامي، والأستاذ محمود الحسن البستوي، والدكتور محمد اشتياق حسين القريشي، والأستاذ رياض الدين، وجميع هؤلاء العاملين لهم خبرة تعليمية، ودور في مجال الأعمال الاجتماعية، ونفوذ على المسلمين.

وقد نمت هذه البذرة التي غرست في عام ١٩٦٠م، وانتشرت الكتاتيب الإسلامية، وعلى أساس هذه التجربة فتحت مدارس متطورة للبنات، وللبنين، وتبذل محاولات للجمع بين التعليم العصري والتربية الإسلامية.

وعقدت هيئة التعليم الديني عدة مؤتمرات على نطاق عموم الهند لدراسة قضايا التعليم الديني، وطرق معالجتها، وواجهت الهيئة محاولات الحكومة المتكررة لإخضاع نظم التعليم للحكومة بفرض سياسة التعليم الرسمية على جميع المدارس، وكان آخر هذه المحاولات في عام ١٩٨٩م، فوقفت الهيئة موقف صرامة إزاء هذه المحاولات، واحتج المسلمون على القانون الجديد للتعليم في ولاية أترابراديش، وأخيراً أجبرت الحكومة على سحب هذا القانون، واستثناء المدارس التابعة للأقليات من رقابة الحكومة المباشرة.

كانت هذه الحركة نواة لحركة التعليم العامة التي شملت البلاد، فأنشئت كتاتيب إسلامية تجمع بين مبادئ العلوم الإسلامية، والعلوم العصرية في سائر أنحاء البلاد، ثم أنشئت مدارس ثانوية وعالية، وتجاوزت هذه الحركة إلى تعليم البنات، فأنشئت مدارس البنات، فنشأت بذلك حركة على مستوى عموم الهند للتعليم، وتطورت الفكرة إلى إعداد كتب دراسية مستقلة تحمل الفكرة الإسلامية في المعرفة العصرية.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ الندوي في مجال الإعلام

إن الصحافة وسيلة فعالة للإعلام، للهجوم والدفاع في آن واحد، وهي التي تشكل الرأى العام، ولأهميتها وصفت الصحافة بصاحبة الجلالة في هذا العصر، وفي بعض الأحوال هي أقوى من السلاح، والجيش، وكان من وسائل غلبة الغرب الصحافة القوية للغزو الفكري والثقافي، وقد كان المسلمون بعد الاستقلال رمية من غير رام، فقد كانت لهم صحافة قوية في عهد النضال للتحرير، وانتقل عدد من الصحفيين إلى باكستان، والصحافة من أولويات كل حركة، فشعر سماحة الشيخ الندوي بهذه الضرورة، يقول في مسيرة الحياة:

"كنا بدأنا عام٦٠- ١٩٦١م نشعر بشدة عدم وجود قيادة إسلامية جريئة في مجال السياسة والصحافة تكون مؤسسة على المعرفة العميقة الواسعة، والتحليل الدقيق الأمين، والتعليقات والتوصيات الجريئة ويغلب عليها مع ذلك اللون الديني والصبغة الإسلامية، فاضطررت أنا والشيخ محمد منظور النعماني بهذا الشعور القوي إلى إصدار جريدة "ندائ ملت" فتوكلنا على الله، وأصدرنا العدد الأول منها في ١٢/ مارس ٩١٦٢م، وقد نالت هذه الجريدة بسرعة رواجاً، وقبولاً في أوساط المسلمين الفكرية الجادة، ووجدت مكانتها اللائقة بين الصحف والمجلات والجرائد اليومية، وبدأ يخيل للناظر أن هناك قيادة دينية ناهضة".

كان لهذه الجريدة دور كبير في رفع صوت المسلمين، فلما نشأت قضية جامعة علي جراه الإسلامية، واستولت عليها الحكومة كانت "ندائ ملت" منبراً قوياً للدفاع عن الجامعة، واضطرت الحكومة إلى مصادرة بعض أعداد الصحيفة، واعتقال رئيس

www.abulhasanalinadwi.org

التحرير، وكذلك في القضايا الإسلامية الأخرى، قامت الجريدة بنضال قوي، ولا تزال تصدر وتتخذ مواقف إزاء القضايا القومية.

كان سماحة الشيخ الندوي من رواد فكرة إنشاء صحافة إنجليزية للتأثير على ذهن المثقفين، ومحاربة دعاية الصحافة المعادية للإسلام والمسلمين، وقد ألفت لذلك جمعية لإصدار جريدة راقية بالإنجليزية.

وصدرت بعد جريدة "ندائ ملت" جريدة "تعمير حيات" أصدرها ابن أخي الشيخ الندوي المرحوم الأستاذ محمد الحسني، لعرض فكر سماحة الشيخ الندوي ومعالجة القضايا الإسلامية، وكان مساعده في إصدار هذه الجريدة الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي، والأستاذ إسحاق جليس الندوي، وكانت لهذه الجريدة أيضاً مواقف في الدفاع عن الإسلام، وعرض الفكر الإسلامي السليم، ومعالجة القضايا القومية، ولا تزال تصدر هذه الجريدة.

واختار الشيخ الندوي للاستفادة من الصحافة طريقاً آخر، وهو عقد لقاءات مع الصحفيين، والتحدث إليهم، وحثهم على التمسك بالأمانة، واحترام الكلمة في نقل الأخبار، والتعليق على الأحداث، وعقدت عدة مؤتمرات ولقاءات في رحاب ندوة العلماء، وأماكن أخرى، ثم فتح بأمر سماحته مركز للإعلام في ندوة العلماء، وصدرت من هذا المركز مجلة باللغة الإنجليزية، ومجلة باللغة الهندية، وكان الشيخ يولى اهتمامه الخاص بهذا القطاع، كما كان سماحته يدعو الصحفيين البارزين في الهند، والمسئولين عن البرامج الإذاعية لتوجيههم الفكري.

إن صلة الشيخ الندوي قديمة بالصحافة فكان يدرك أهميتها ودورها في تكوين الذهن، والدفاع عن المبادئ والقيم لأي حركة أو دعوة، فقد كان من الكتاب المتواصلين في مجلة "الضياء" العربية التي

www.abulhasanalinadwi.org

أصدرها الأستاذ محمد مسعود عالم الندوي أحد زملائه في الثلاثينات أيام كان يدرس بدار العلوم ندوة العلماء، فكان في إدارتها، وفي مجلة "الندوة" الصادرة باللغة الأردية، ثم في الأربعينات كان رئيس التحرير المشارك لصحيفة "تعمير" الصادرة من "إدارة تعليمات إسلام لكناؤ" مع زميله الآخر الشيخ عبد السلام الندوي، وقد أنشأ معهداً لتعليم القرآن الكريم للموظفين الرسميين، وتبنى هذا المعهد مشروع تعليم لغة القرآن، وأصدر عدة كتب لتسهيل دراسة اللغة العربية، وقد أنشأ هذا المعهد عدداً ملحوظاً من الذين تعلموا اللغة العربية في مرحلة متأخرة من العمر رغم شغلهم مسئوليات رسمية، وكانت تعقد لهذا المعهد حلقات للتوعية الفكرية، وكان وسيلة فعالة للتأثير على أذهان المثقفين الذين نشأوا في البيئات المتحضرة بالحضارة الغربية، أو كان لهم اتصال ببيئات غير المسلمين، فكان ذلك تجربة أولى للجمع بين العلماء والمثقفين بالثقافة الغربية، وغير المسلمين، وكان سماحته يلقي المحاضرات أيضاً أمام رجال هذه الطبقة.

وتحدث سماحة الشيخ الندوي إلى الصحفيين عدة مرات، وكان من بينهم بعض كبار أصحاب القلم، وأوضح لهم خطورة هذه المهنة، وما لعبته الصحافة من دور في بناء الرأى إيجابياً، وسلبياً، وصرح لهم أن معظم الأحداث التي تقع اليوم تقع بتوجيه الصحافة، ولذلك يتحمل الصحفيون مسئوليات كبيرة.

www.abulhasanalinadwi.org

حركة رسالة الإنسانية
و دورها في مكافحة الطائفية والعنف

تعد حركة رسالة الإنسانية من المجهودات الإيجابية لإزالة الشكوك والشبهات في أذهان غير المسلمين بالنسبة للمسلمين والتي تسربت إليهم من خلال التعليم والإعلام الجانبي الميال إلى الأغلبية، والذي يستغله أحياناً بعض المسئولين الصغار، ويتخذون مواقف لا توافق التصور العلماني، بل تزيد كراهية المسلمين في الأغلبية، كما تبعد الأغلبية عن المسلمين والإسلام، ودراسة تاريخه، وتعد حركة الإنسانية من أقوى الحركات في الهند، التي نالت القبول في مدة قصيرة.

دواعي إنشاء حركة رسالة الإنسانية

أنشئت حركة رسالة الإنسانية في عام ١٩٧٤م، بعد سلسلة من الاجتماعات واللقاءات التي كان يعقدها سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي منذ عام ١٩٥٣م من أجل إيجاد وعي إنساني، وترسيخ المثل الخلقية والتعامل النبيل بين مختلف أفراد المجتمع، وقد حركته الاتجاهات التي ظهرت في الهند إثر الاستقلال بدعوة بعض الزعماء الطائفيين والساسة الانتهازيين، والصراعات بين مختلف الطبقات التي ثارت لعصبيات اللغة، والثقافة، والعقيدة، والقومية، والإقليمية الضيقة، والعنصرية، وأدت هذه الصراعات إلى سفك الدماء، وانتهاك كرامة الإنسان، ونشوء العصبيات، والإسراع إلى العنف والإرهاب، وبرزت الانتماءات الضيقة، والنزعات الفكرية،

www.abulhasanalinadwi.org

والسياسية الطائشة، باستغلال العواطف الإنسانية للمصالح الذاتية، وتغلب الشره لرفع مستوى الحياة، وكسب المال بإهمال المثل والقيم، وعدم رعاية الحقوق، وكرامة الإنسان.

وازداد هذا الاتجاه خطورة بالدعوة إلى رفع مستوى المعيشة بدون دعم الوازع الخلقي في الإنسان، وعدم ترسيخ المثل والقيم، ولم يفكر زعماء البلاد خلال وضع القاعدة الصناعية للبلاد في وسائل إقرار القيم، ومبادئ الأخلاق، كما أغفلوا تعاليم الأديان، ومثل الأخلاق، في وسائل التعليم والإعلام، فانحرف المجتمع إلى كسب المصلحة الذاتية، وتنمية الموارد مهما كلف ذلك من ثمن، فشاهدت البلاد مآسي إنسانية نتيجة للهوس لكسب المال.

إقامة اتصالات وروابط بالقادة والزعماء

كان سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي يتابع هذا الوضع، وكان يقلقه هذا التدهور السريع في الحياة العامة، وشعر سماحته بأن البلاد كسفينة كبيرة، فإذا انحرفت هذه السفينة إلى الطوفان، وغرقت، فكل من يركبها يواجه المصير المشئوم، فعزم على بذل جهده لتحويل اتجاه هذه السفينة، وقرر أن يوجه الدعوة إلى إيجاد الوعي الإنساني، برسائل إلى القادة والمفكرين في البلاد، يلفت أنظارهم إلى إعداد خطة لإصلاح الوضع، وأجرى مقابلات شخصية مع كبار القادة الاجتماعيين، والمصلحين الدينيين من متخلف الديانات الكبرى في الهند، وكان من هذا القبيل لقاؤه مع "ونوبابهاوي" و"جي بركاش نارائن"، و"سائين بابا"، أحد كبار الكهنة الهندوس، وزعماء الحركات الهندوكية الطائفية، ووجه رسائل إلى رئيسة وزراء الهند إنديرا غاندي شرح فيها الوضع العام، ولفت الانتباه إلى خطورة هذا الوضع.

www.abulhasanalinadwi.org

تنظيم الاجتماعات المشتركة والتحدث فيها

بالإضافة إلى هذه الجهود الشخصية، تحدث سماحة الشيخ الندوي في اجتماعات عامة عقدت خصيصاً لهذا الغرض في كبرى مدن الهند، ووجه الدعوة للحضور فيها إلى أتباع مختلف الديانات، وأكد على اتباع المثل في الحياة، واحترام كرامة الإنسان، وإيجاد مجتمع إنساني نزيه يشترك فيه متبعو جميع الأديان وأعضاء المجتمعات اللسانية والثقافية والعنصرية المختلفة بدون عصبية للجنس أو العنصر أو العقيدة، وقد عقدت هذه الاجتماعات في مختلف المدن وولايات الهند الشمالية، وافتتحها من مدينة لكناؤ التي ينتمي إليها سماحة الشيخ الندوي، وسميت هذه الخطب المثيرة التي دعا فيها إلى التمسك بالقيم في السلوك، ورعاية كرامة الإنسان، والارتفاع عن النزعات والعصبيات باسم "رسالة الإنسانية" ونشرت، فنالت قبولاً عاماً ونقلت إلى لغات هندية محلية متعددة.

التجاوب الكبير من غير المسلمين

واستأنف سماحته عقد مثل هذه الاجتماعات في مختلف ولايات الهند بعد فترة عكف فيها على التأليف والبحث العلمي في عام ١٩٧٤م عند ما تجددت الصراعات الطبقية، والإقليمية في البلاد، وتصعد حب المال، وكسب المصالح الذاتية، والاتجاه إلى العنف، وكان للاجتماع الذي عقد في "جندي كراه" بـ "بنجاب" أكبر الأثر، ولقي تجاوباً كبيراً من غير المسلمين، كذلك كان الاجتماع في "جمشيدفور" التي شهدت اضطرابات دامية مثيرة، وقد اشترك في هذا الاجتماع عدد من كبار قادة الأديان الأخرى والمسئولين، وأعربوا عن تقديرهم لدعوة سماحة الشيخ الندوي، ووعدوا

www.abulhasanalinadwi.org

بالتعاون في نشر هذه الدعوة، ولنشر هذه الرسالة الإنسانية وتعميم نشاطاتها تقرر تأليف منظمة باسم "حركة رسالة الإنسانية" في عام ١٩٧٤م، وأنشئ مكتب له لإيجاد روابط مع رجال مختلف الفرق وإيجاد منبر للتحاور بينها.

فكرة الشيخ الندوي عن رسالة الإنسانية

وتتلخص دعوة سماحة الشيخ الندوي وفكرته عن رسالة الإنسانية في كلمته الآتية:

"إن العالم الإنساني يحتاج فيما يحتاج إليه أن توضع أمام الإنسان، بالارتفاع عن المصالح الذاتية، والعصبيات القومية، والمصالح السياسية، تلك الحقائق والقيم التي تلزم لنجاته وحياته بأمن وسلام، وهي حقائق إذا أغفلت تعرضت حضارتنا ومجتمعنا لأخطار جسيمة، وواجهت صراعاً عنيفاً للبقاء، وقد بين هذه الحقائق الأنبياء في عصورهم، وجاهدوا في سبيلها، ولاتزال هذه الحقائق تحمل حيويتها وتأثيرها ونفعيتها للإنسان، وتقدر على أن توصل الإنسان اليوم إلى النجاة، لكن الحركات السياسة والمنظمات المادية، والنزعات القومية أثارت الغبار الكثيف، واجتاحت عاصفتها، فاختفت هذه التصورات الإنسانية عن الأنظار.

إن ضمير الإنسان لم يمت رغم هذه العواصف الهوجاء، ولم يجمد ذهن الإنسان، ولم يتعطل عن العمل، فإذا عرضت الدعوة إلى هذه الحقائق بإخلاص، وبأسلوب سهل مستساغ يفهمه الإنسان اليوم، فإن ضمير الإنسان وذهنه سيتجاوبان لهذه الدعوة، ويقبلان عليها، ويعرف الإنسان أن هذه الدعوة بلسم لجروحه، وتعبير عن هواجسه".

www.abulhasanalinadwi.org

وفي عام ١٩٨٣م قام سماحة الشيخ الندوي برحلات متتابعة، وتحدث في اجتماعات ضخمة في مختلف مدن ولاية الهند الشمالية اترابراديش، كـ"رام فور"، "ميرت"، "مرادآباد"، "هابر"، "منظفر نغر"، ومدن أخرى، وتحدث في هذه الاجتماعات عدد من القادة من السيخ، والهندوس والجينيين، وزعماء الطبقات المضطهدة، والعاملون في الخدمات الاجتماعية، وأعربوا عن تقديرهم لهذه الرسالة الإنسانية.

الحوار لإزالة سوء التفاهم

شعر سماحة الشيخ الندوي بضرورة التحاور بين أعضاء مختلف الطبقات لإزالة سوء التفاهم الذي يؤدي أحياناً إلى الصراع، ودعوتهم إلى بذل جهد مركز لإصلاح المجتمع، فعقدت لهذا الغرض عدة حوارات في "ناجبور"، و"دلهي"، و"بونا"، وفي جميع هذه الاجتماعات اشترك أتباع مختلف الديانات والطوائف لدراسة الأسس المشتركة للسلوك باحترام متبادل، وإشاعة روح التسامح في السلوك.

ووجه سماحة الشيخ الندوي الدعوة إلى إيجاد جو الأمن، والسلام في البلاد، وإعادة الثقة إلى النفوس لمحاربة الخوف والذعر، والشكوك والشبهات بين مختلف الطبقات والمجتمعات، وأكد على أن هذا الهدف يتطابق مع دستور الهند الديمقراطي الذي وضعه واضعوه بدراسة المجتمع الهندي وطبيعته.

وهي دعوة لا يتنازع فيها أحد لأنها دعوة إلى كرامة الإنسان وصيانة حقوقه، وإتاحة فرصة للعيش بطمأنينة، وكان من مثل هذه الاجتماعات اجتماع "حيدرآباد"، الذي عقد في ٢٩/ديسمبر ١٩٨٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

لكل إنسان داران

صرح سماحته في كلمته التي ألقاها في "حيدرآباد" أن لكل إنسان في هذه الحياة دارين، دار يسكنها هو وأعضاء أسرته، ويحرص كل إنسان على أن تكون هذه الدار التي يسكنها مأمونة، وأن يعيش فيها بسلام، ويحرص على إيجاد جو المودة، والأخوة، والهدوء، والأمن، والثقة بين القاطنين فيها، وهي داره الصغيرة ومأواه، وهدوء هذه الدار، وأمنها حاجة كل من يسكنها.

وهناك دار أخرى أيضاً وهي أكبر من هذه الدار، وهي البلاد، ونحن ننسى في غالب الأحوال أن هاتين الدارين لنا، إحداهما صغيرة مهما كانت رحبة، وقائمة على مساحة كبيرة، فإنها صغيرة بالنسبة للبلاد التي تعيش فيها أسر كثيرة لا تعد ولا تحصى، ويعيش فيها المواطنون الذين يشكلون أسراً كثيرة كل أسرة منها كأسرتنا، وترتبط مصلحة كل دار صغيرة بمصلحة الدار الكبيرة، فإذا كانت الدار الكبرى هادئة يعيش فيها المواطنون مطمئنين، ويسودها الأمن والسلام، والثقة المتبادلة، ويرعى سكانها حقوق إخوانهم الآخرين، ويحرصون على سلامتهم، فإن هذه الدار تعتبر سعيدة والحياة فيها حلوة، وهي مأمونة، مصونة من كل خطر.

هذه الحقيقة لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح، ولكن تغيب هذه الحقيقة عن أذهاننا أحياناً، فيتغلب التفكير الذاتي على التفكير الاجتماعي، ويحسب الناس أن دورهم الصغرى التي لا تساوي بالنسبة للدار الكبرى إلا جزءاً صغيراً، وهي كلأكواخ الصغيرة أو العشش، مهما كبرت، إنها عالمهم، فيركزون جهودهم على تجميلها، وتأمين سلامتها، ويربطون مصلحتهم وحظهم كله

www.abulhasanalinadwi.org

بأسرتهم في هذه الدار الصغيرة، ويعرضون عن الدار الكبرى، المجتمع الأكبر، ويغضون بصرهم عنها، وينسى هؤلاء الناس أن العواصف الهوجاء إذا هبت خارج الدار الصغرى، أو إذا شب حريق واشتعلت نيران، وانتشرت لفحاتها، أو إذا تعرضت المنطقة التي تقع فيها الدار الصغيرة للفيضان الجارف، فإن هذه الدار الصغرى مهما كانت مشيدة بالحجر أوالقرميد لن تبقى مأمونة من النار، أو السيل، أو الرياح العاصفة، ومهما روعيت في بنائها دقة البناء وروعة الفن، ومهما استعملت فيها أسلاك الحديد، وأطيلت جدرانها، فإن هذه الدار تصبح عرضة للدمار، ولا تستطيع أن تقف في مكانها بنجوة من الخطر.

كذلك إذا كان سكان هذه الدار الصغيرة يعيشون بأمن وسلام وثقة واحترام فيما بينهم، فإن نار الكراهية والحقد، والصراع، وسوء التفاهم والعداوة التي تجتاح خارج الدار في المنطقة، التي تقع فيها الدار ستؤثر على هدوء هذه الدار الصغيرة، لأن الأوبئة التي تنتشر في أي منطقة وتلوث الغذاء والماء، تؤثر على كل دار في المنطقة، وتجعل حياة السكان في داخل الدار الصغيرة في خطر، لأن الرياح تحمل السموم، وتؤثر على جو كل دار.

فساد مجتمع لا يقتصر على أفراده فحسب

إن فساد أي مجتمع، وغض البصر عن مبادئ الأخلاق، والشره، وحب المال، والظلم، والاستغلال لا يقتصر تأثيره على أفراد يرتكبونه، وإنما يتعدى المجتمع بكامله، وكل مجتمع يغض بصره عن هؤلاء الأفراد الذين يرتكبون هذه الجرائم يتعرض لأخطار هذه الجرائم.

www.abulhasanalinadwi.org

إننا ندرس في التاريخ حضارات وثقافات ازدهرت طويلاً، ثم سقطت، واندثرت عند ما عم فيها الفوضى الخلقي، وغلب الشره، وحب المال، وأهينت كرامة الإنسان، وانصرف الناس إلى إشباع النفس، وتحقيق المصالح الذاتية، وهجروا تعاليم الأديان، والقيم الخلقية، وبدأ الناس يسخرون منها.

كانت روما تحترق في الوقت الذي كان الفلاسفة، والأدباء، والشعراء، عاكفين على البحث، والتحقيق والإنتاج، ويسحرون مجتمعهم بأعمالهم، ولكن الجسم كان فاسداً، وكان الفساد قد عمّ الأسواق، والشوارع، وكانت العائلات الصغيرة والكبيرة تعاني من الفساد، وكان الصراع قائماً بين الطبقات، وكان الإنسان عرضة للفساد، والظلم، فلما هبت عاصفة الفساد لم تنج الإمبراطورية الرومية التي فاقت في فتوحها، وعمرانها، وحضارتها، ومستوى معيشة مواطنيها، وكان يضرب بها المثل، لم تنج من تأثير هذا الفساد، وكانت صورة حية لما وصف القرآن الكريم.

﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً، وكنا نحن الوارثين﴾ [1].

وباء العصر

وأضاف سماحته: إننا في الهند نعيش معرضين عن هذه الحقيقة، فلا نفكر إلا في مصلحتنا الذاتية، وفي مصلحة أنفسنا، ودارنا، وأسرتنا، إن وباء العصر الكبير يكمن في ضخامة المصلحة الذاتية لكل فرد وهو ما وصفه المصلحون الربانيون بتعبير، "نفسي، نفسي" فتفاقمت الأنانيات، وتجاوزت جميع الاعتبارات الخلقية

---

[1] – القصص: الآية: ٥٨.

www.abulhasanalinadwi.org

والمصالح القومية، والوطنية، ويجتاح تيار المصلحة فلا يشغل أحداً فكر إلا فكر موارده، والزيادة فيها، بأي طريق من الطرق.

إن نجاح أي شخص في مجهوده لتحسين داره، وتحويلها إلى حديقة غناء، وجعلها بيئة مثالية، لا يغنيه شيئاً إذا بقيت البيئة التي تحيط بها موبوءة، فإن الجزر لا تكون إلا في البحر، وتبقى هذه الجزر قروناً، ولكن لا تقع الجزر في البر، وليس لها وجود، وقد جعلنا دورنا جزراً برية، وجعلنا أسرنا، وقبائلنا، جزراً برية، وإن هذه الجزر لا تستطيع أن تبقى.

إن الحياة سلسلة متصلة الحلقات، ويرتبط حظ كل فرد بالآخر، وكل شخص منا سائل في وقت واحد، ومحتاج ومطلوب في وقت واحد، وقد وصفت الفلسفة الشرقية القديمة الإنسان بأنه مدني الطبع، وهومحتاج إلى حياة معاشرة مدنية، يرتبط كل فرد بغيره يسر بسروره، ويحزن بحزنه.

إن أكبر حاجة في هذا العصر، وهي خلاصة حركة رسالة الإنسانية أن نفكر في دارنا الكبرى ولا نقع في خداع أننا آمنون، ونعيش حياة هدوء وسلامة، وحياة المبادئ والأخلاق، إننا نحتاج إلى أن ننظر إلى ما يقع خارج دارنا.

شيوع الفساد

وأعرب سماحته في النهاية عن أسفه، بأن الهند، بلد عظيم، مترامي الأطراف، بلد الحضارات، والديانات، والفلاسفة، والمفكرين، والساسة، والمدبرين، ولكن لا ينهض رجل واحد، اليوم من المثقفين، والأدباء، والحكماء، والقادة، ورجال الخدمات الاجتماعية، وعددهم كبير، بهذا الفكر لبناء

www.abulhasanalinadwi.org

خلق الإنسان، فلا يهم أحداً أين تتجه هذه البلاد؟ وقد بلغ السيل الزبى، وهل يتصور فساد أكبر من تلويث الأدوية التي تستعمل لوقاية الحياة، وقد سمعت أحد وزراء الصحة يقول إن ستين في المائة من الأدوية ممزوجة، كذلك المحسوبية، والرشوة، والتسيب، واللامبالاة، والابتزاز والأمراض الاجتماعية عمت في هذه البلاد، ولا تخلو منها المستشفيات، و دور الصحة، والتعليم، والمؤسسات الإنسانية، فكيف تسير هذه البلاد، وكيف تجري الحياة فيها بسلام؟

مسئولية المسلمين

وذكر سماحة الشيخ الندوي مسئولية المسلمين وأعرب عن أسفه بأن المسلمين كانوا مقصرين في هذا المجال، بإعراضهم عن تأدية واجبهم إزاء بناء الإنسان، وتقديم أسوة خلقية، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الراحمون، يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"

واختتم كلمته بقوله إننا مسئولون عند الله، يوم القيامة عن هذا التقصير، فتعود إلى المسلمين مسئولية إنقاذ البلاد، لأن هذه السفينة إذا غرقت غرق بها المسلمون وغير المسلمين، ولكني رغم ذلك متفائل، ولا أقنط من رحمة الله، فإن البلاد نامت، ولكن لم تمت، والنائم يوقظ، وأما الميت فلا أمل في حياته وانتعاشه، ولكن يجب أن تكون للنوم نهاية وأن تتلوه صحوة، فحاجتنا الماسة اليوم إيقاظ هذا المجتمع، ولذلك أبذل سعي المتواضع لإيقاظ ضمير الإنسان".

تأثير الحركة

كان الوضع في بعض المناطق متوتراً ومتأزماً، وخاصة بعد الاضطرابات الطائفية، وتصعدت حركة الاستيلاء على ما يسمى

www.abulhasanalinadwi.org

بمسقط رأس راما في أيودهيا، وعمت المسيرات الطائفية، واستغلت الأحزاب السياسية النزعات الطائفية في الانتخابات، فعقدت اجتماعات مشتركة تحت هذه الحركة، فتآلفت القلوب وتقدم عدد من كبار العقلاء والمثقفين من الهندوس، وهدأت العواطف في الأماكن التي عقدت فيها هذه الاجتماعات، وأمكن تجنب الصراع، وقد كانت الحركة تقتضي نفوساً تتفرغ لهذه الحركة من كلتا الطائفتين، ولكن لم تتهيأ هذه الوسائل البشرية، ولا المادية، فلا تزال الحركة محدودة، وكان من مساعدي سماحة الشيخ في هذا العمل الأستاذ إسحاق جليس الندوي الذي كان يفهم عدة لغات هندية، وكانت له سليقة للإقناع والتفهيم وفهم ذهن غير المسلمين، ولكنه توفي إلى رحمة الله في عام ١٩٨٠م، والحركة في بدايتها، وانضم إلى الحركة الأستاذ عبد الكريم باريكهـ، وله دور ملموس في تطويرها ويحمل تجربة للعمل في أوساط غير المسلمين.

وكان من المساعدين في الحركة الأستاذ قاضي عبد الحميد، والأستاذ أنيس الجشتي، والدكتور محمد اشتياق حسين قريشي، ونالت هذه الحركة إعجاب عدد من غير المسلمين المثقفين، وكان منهم بشيشبرناتهـ باندي حاكم ولاية أوريسه سابقاً، وقد صدرت له تآليف في تصحيح التاريخ، وأنكر فيها بعض الأساطير والقصص الشائعة التي تبث الحقد والكراهية للمسلمين، ويقدم تاريخهم بدون العصبية الطائفية، كما تأثر بالحركة عدد من الصحفيين الكبار وعرضوا فكرتهم في الصحف الهندية.

www.abulhasanalinadwi.org

كسب الود والعطف خير من العداء والكراهية لحل المشاكل

طريقان لحل المشاكل

من الطرق المتبعة لنيل الحقوق، أو للوقاية من الاعتداء، أو لتغيير الوضع في عالمنا اليوم، إنشاء حركة أو جبهة، تختار طريق المقاومة، والاحتجاج، والدفاع عن النفس، ومن وسائل الضغط على المطالب، الإضراب عن الطعام، والإضراب عن العمل، وإخراج مسيرات، وعقد حشود، والدعاية في وسائل الإعلام، والإنذارات، وتتعدى هذه الوسائل إلى استعمال القوة، واستخدام وسائل العنف، لأن الشعور بالظلم والحرمان إذا تجاوز الحدود، يتطور إلى كراهية، ويحدث مرارة، ويزيد العناد والتصلب فيمن يملك القوة ويثير على الانتقام، أو على الأقل إلحاق الضرر، فيمن هو ضعيف مستضعف، وتستخدم هذه الوسائل في الدول الديمقراطية حيث يتمتع المواطنون بحق المطالبة والاحتجاج، ويتمتعون بحرية التعبير والعمل، وإن نجحت هذه الطرق في حالات خاصة، فإنها لا تفشل في إحداث الشحناء، والكظاظة في النفوس، وهو معروف متبع في النظم الديمقراطية، ويستفيد هؤلاء الزعماء من فرص حرية التعبير وحرية الفكر، أما النظم التي لا

www.abulhasanalinadwi.org

تتاح فيها فرص حرية التعبير وحرية تأليف حزب سياسي، فيختار فيها الزعماء المعارضون طرق المقاومة وطرق تعبئة الرأى بالحركات السرية.

والطريق الآخر لحل المشاكل هو طريق المفاوضات، وإثارة الضمير الإنساني، ولا يخلو إنسان من الشعور النبيل، وإذا أثير هذا الشعور تغير قلب جبار، ولان الحاكم القاهر المستبد، ولا يؤدي هذا الطريق إلى مجابهة، أو إلى صراع بين فريقين، فريق مدعم بالوسائل، وقوة القمع، وفريق مستضعف، ولكن لا يختار هذا الطريق القادة السياسيون الذين يحبون الدعاية، ويرغبون في صناعة شخصيتهم، وكسب مصالح سياسية، ويريدون أن يجعلوا المشاكل سلماً للصعود إلى مراتب عالية، أو القادة الذين يخطئون في تقدير قوتهم وتأثيرهم وتأثير عددهم.

وقد غلبت عقلية الثورة والاحتجاج، أو تنظيم حركة للمقاومة والعنف، في هذا العصر، وعم الاتجاه إلى نيل الحقوق بالقوة، والتصدى، أو بإثارة مشاكل تجبر الحكومة على التنازل عن موقفها وسياستها، وتختلف نتائج هذه السياسة، ففي حين تتنازل حكومات عن موقفها تفادياً لتأزم الوضع، وتجنباً لتطور الصراع إلى خسائر في الممتلكات والأرواح، وتزداد بعض الحكومات صموداً، وتصلباً، وعناداً في موقفها، وتلجأ إلى استعمال قوة لتحطيم صلب المقاومة، وإخماد الفتنة، فيتعرض المحتجون لمعاناة شديدة، ويواجه معهم المواطنون الذين لا يشتركون في هذه الأعمال، بل يعطفون عليها قلبياً، معاملة قاسية.

وإذا كان الفريق الذي يختار هذا الطريق ضعيفاً أو قليلاً في العدد، كانت النتائج أكثر وخامة وقسوة.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد تأثرت بهذه الطبيعة الحركات الإسلامية أيضاً، في كثير من البلدان الإسلامية اليوم، واختارت طرق الحركات السياسية المعاصرة، ولم تكسب هذه الحركات في هذه السياسة في الضغط على الحكومات القائمة، كما تكسب الحركات السياسية العامة، وعلى العكس تتعرض هذه الحركات بنفسها للاعتداء، وتعرض نفسها للقمع، ويتم تصفية قادتها بسهولة أكثر من السهولة التي يتم بها تصفية القادة السياسيين الآخرين.

وتزداد خطورة هذا الطريق طريق المقاومة والاحتجاج والعنف، ورد العدوان في الوضع الذي يكون المسلمون فيه في أقلية وهم محاطون بأغلبية غير إسلامية، ويوجد بين الطائفتين سوء تفاهم، وشعور بالمرارة، وعدم الثقة، وتاريخ للصراع، فإذا خرج المسلمون في مسيرات أو رفعوا الهتافات المثيرة على الشوراع، ومطالبهم تؤثر على مصالح الأغلبية، وثبت الأغلبية على هذه الأقلية، وقامت بمواجهتها قبل أن تتخذ الحكومة أي إجراء.

طريق العنف والمسلمون

وقد جرب المسلمون في الهند هذه الطبيعة المعاكسة في قضية المسجد البابري، فإنهم قاموا بإضراب، وخرجوا في احتجاج، ولكنهم واجهوا رجال الأغلبية أمامهم، قبل أن يواجهوا قوات الحكومة، وحدثت اضطرابات كرد فعل لهذه الاحتجاجات، وحتى رفع العلم الأسود، كرمز للاحتجاج أدى إلى إجراء مضاد، ورفعت في رد فعلها الأعلام الزعفرانية الدينية.

كذلك حدث خلال خروج مسيرة للمطالبة بلغةأردو، أو الاحتجاج الذي قام به المسلمون حول قضية جامعة علي كراه

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية عندما استولت الحكومة عليها، وحدث ذلك عندما احتج المسلمون على مقال نشر في صحيفة، أو مواد سامة في كتاب دراسي أسيء فيه إلى الإسلام والمسلمين، وكلما قام المسلمون باحتجاج وخرجوا على الشوراع حدث صراع بينهم وبين المواطنين الآخرين من الأغلبية، وإذا حدث صراع بين الأقلية والأغلبية كان من الطبيعي أن يميل رجال الأمن إلى الأغلبية، ويسيطروا على الوضع، باستعمال القوة ضد الأقلية.

وفي هذه الخلفية تصبح كل حركة يشترك فيها المسلمون وحدهم طائفية وانفصالية، وينظر إليها غير المسلمين ورجال الحكومة بعين الشك والريبة، ويعاملونها بقوة، فلو قام المسلمون وحدهم باحتجاج على أي بلد أوربي على قضية تتصل بالعالم الإسلامي، تحول هذا الاحتجاج إلى احتجاج طائفي، وللتدليل على ذلك يذكر احتجاج المسلمين على حريق المسجد الأقصى، والذي كان ضد إسرائيل، وتحول هذا الاحتجاج إلى رد فعل عنيف وحدثت اضطرابات طائفية ضد المسلمين في "أحمد آباد"، ومدن الهند الكبرى، واستمرت مدة طويلة، وقد جرب المسلمون طرق التصدى والمجابهة في مناسبات كثيرة، وسببت هذه الحركات في شقاء زائد، وزادت من العنف، فقد واجه المسلمون في "دلهي" حملة تطهير المناطق وتوسعتها في عهد حكم الطوارئ، فواجهوا شدائد، ودمرت بيوتهم، وشرد المسلمون، وخلال حملة التعقيم في مدن كثيرة، ذهب ضحيتها عدد كبير من المواطنين، وكان المسلمون الضحية الأولى فيها.

إن حل المسائل بالطريق الذي ذكرنا هو منهج معظم الأحزاب السياسية، ويختار معظم الزعماء المسلمين هذا المنهج،

www.abulhasanalinadwi.org

ولذلك تتعقد مسائل المسلمين، ويتفاقم الوضع، وتبقى بعض المسائل على حالها، كما كانت عند تقسيم البلاد.

منهج الشيخ الندوي لحل القضايا

اتجه تفكير سماحة الشيخ الندوي إلى طريق آخر لحل مشاكل المسلمين وهو كسب ثقة أصحاب الضمائر الحرة والإنسانية من غير المسلمين لتأييد القضايا الإسلامية، وإجراء اتصال برجال الحكم بغض النظر عن حزبهم الذي ينتمون إليه، أو سياستهم التي يتبنونها، وكذلك بالقادة والزعماء من الأغلبية الحاكمة، وحتى مع كبار الكهنة الهندوس، وزعماء الأحزاب المتطرفة، وإجراء الحوار معهم، وشرح موقفه، وقد اتصل بأمبيدكر زعيم المنبوذين عند ما كان يفكر في تغيير ديانته وقبول ديانة أخرى، وشرح الإسلام لدعوته إلى اعتناقه، ولكن بعض الظروف السياسية حالت دون تحقيق هذا الهدف المنشود، وقبل امبيدكر البوذية، وقبل مئات من المنبوذين البوذية، كذلك أقام اتصالاً بـ"جي بركاش نارائن"، أحد كبار قادة الهند الذي أطاح بنظام حكم إنديراغاندي، وقاد عدة حركات سياسية شعبية، وتحدث معه حول سبيل وقف العنف الطائفي، وأقنعه على العمل في هذا السبيل، وتحدث مع ونوبهاوي زعيم حركة سروفوديا، وكان يعتبر خلفاً لغاندي، وقائد حركة اللاعنف، وكل ذلك يدل على إيمانه بأن الإقناع والتفهيم أفضل طريق للمسلمين في الهند، وكان يعتقد أن القلب له صلة بالقلب، والإخلاص جسر يربط القلوب، واختار سماحته بالإضافة إلى إقامة اتصالات شخصية طريق إرسال الرسائل إلى الحكام، والقادة لشرح الأوضاع، وإثارة الضمير الإنساني اقتداء بأسلوب الإمام

www.abulhasanalinadwi.org

السرهندي، وكان يكتب هذه الرسائل بأسلوب مؤثر يبدو فيه إخلاصه للوطن وحبه للإنسانية، وحرصه على الأمن والسلام، وحسن الثقة، وارتفاعه عن كل مصلحة سياسية أو انتماء حزبي.

من أهم رسائل الشيخ الندوي التي وجهها إلى حكام عصره، رسالة وجهها إلى السيدة إنديراغاندي في عهد الطوارئ التي فرضت على البلاد في عام ١٩٧٦م، بعد حركة شعبية ضدها، وقد تصعدت حملة تحديد النسل الإجباري في ذلك العصر، وكان المسلمون الهدف الرئيسي لها، وقد أجبر عدد كبير من الموظفين على الهجرة، واعتقل عدد كبير منهم، وخسروا وظائفهم، كما اتخذت الحكومة إجراءات قاسية لفرض ما سمته بالعمليات الإعمارية، وهدم مساكن الفقراء، وجرت اعتقالات واسعة، ولم يكن أحد يقدر على التعبير عن رأى يتعارض مع سياسة الحكومة في الطوارئ، وقد زُجّ بكبار الزعماء والقادة إلى السجون، وكان رجال المخابرات منتشرين يراقبون حتى على المقاهي، والمساجد، والمدارس، والمجالس العامة، فالتقى سماحة الشيخ الندوي بها، في هذا الجو المكهرب الذي كانت السجون فيه تكتظ بالزعماء السياسيين، وكان أدنى انتقاد للحكم أو تهمة بالاختلاف مع رئيسة الوزراء يكفي للاعتقال، والتعذيب، وفرضت الرقابة على الصحافة، التقى بها الشيخ الندوي، وكان قد أعد نفسه للاعتقال أو معاقبة على قول الحق، فتكلم أمامها بجرأة، وصراحة، وسلمها رسالة طويلة صريحة حول الظروف السائدة، وشقاء الناس بسياسة الحكومة القاهرة، وانصتت رئيسة الوزراء لكلامه، وقرأت رسالته بهدوء، ولم ترد على الرسالة، ووعدت أنها ستنظر فيها، ثم أرسلت مبعوثها الخاص بعد عودة الشيخ الندوي إلى قريته في

www.abulhasanalinadwi.org

رائي بريلي، للتباحث معه حول الظروف، وقد كانت الحكومة التي كان ابن رئيسة الوزراء "سنجي غاندي" قد تسلم زمامها الحقيقي بدون حق شرعي، تعامل بقسوة كل رأى مخالف، قد ارتكبت قبل ذلك مجزرة في "سلطان فور"، وأماكن أخرى حيث أطلق رجال البوليس النار على المتظاهرين، وقتلوا عدداً كبيراً منهم، وكان معظمهم من المسلمين لأنهم كانوا يتقدمون المحتجين.

وعند ما تولى راجيف غاندي الحكم بعد اغتيال أمه إندريراغاندي، كتب إليه سماحة الشيخ الندوي، وذكر له ما كتبه من الرسالة التي وجهها إلى والدته، وشرح له الظروف في البلاد، وتأثر راجيف غاندي بهذه الرسالة، ثم أبدى رغبته في لقائه، وتوالت هذه اللقاءات، وكان هذا الطريق، طريق الإقناع والتفهيم، هو الذي أدى إلى حل قضية المرأة المسلمة المطلقة، التي قامت حكومة راجيف غاندي بإجراء تعديل في القانون رغم معارضة عدد من زملائه، ومعارضة الأغلبية في البلاد.

وبعد اغتيال راجيف غاندي تولى الحكم المستر وي بي سنكه، فأرسل سماحته رسالة مفصلة إليه، وكذلك سائر رؤساء الوزراء وكبار وزراء الولايات، والقادة السياسيين.

كان سماحته دائماً على صلة بالأحداث السياسية والظروف الاجتماعية، ولا يدخر وسعاً في إبداء رأيه، وموقفه بدون نقد أو معارضة سياسية، ويقيم اتصالات بالمسئولين عن طريق الرسائل، ينقلها إليهم أقرب أعوانه، وبذلك تكوَّن ديوان للرسائل التي كتبها إلى الحكام والولاة في الهند، ونقدم بعض الرسائل كنموذج.

www.abulhasanalinadwi.org

رسائل الشيخ الندوي إلى الرؤساء والزعماء لمعالجة القضايا والمشاكل

إن الرسائل التي وجهها سماحة الشيخ الندوي إلى الحكام في الهند، وفي مقدمتهم رؤساء الوزراء في مختلف المناسبات عند اشتداد أي أزمة في الهند، تلقي الضوء على الظروف السائدة في الهند، ومشاكل المسلمين وموقف السلطة إزاءها، وتعرض فكرة سماحته، وتعبر عن صلته الدقيقة، واطلاعه الواسع بالأحداث، ونقدم فيما يلي مقتبسات من ثلاث رسائل مفصلة.

كتب سماحة الشيخ الندوي رسالة مفصلة إلى إنديراغاندي رئيسة وزراء الهند، يشرح فيها الوضع السائد في البلاد في أيام حالة الطوارئ، والبطش والاستبداد الذي يواجهه الشعب ، يقول فيها: بعد أن ذكر صلته بوالدها، ونوه بخدمات جواهر لال نهرو في سبيل تحرير البلاد، وخدمات حزب المؤتمر الوطني في إرساء قواعد متينة للوطن بعد الحرية، وتضحيات الزعماء والقادة المناضلين للاستقلال، أمثال مهاتما غاندي، وموتي لال نهرو، وأبي الكلام آزاد، والآمال التي تعقد بابنة جواهرلال نهرو، ونوه بجرأتها وصرامتها وذكائها في سياسة البلاد.

www.abulhasanalinadwi.org

" لقد توتر الوضع، وازداد سوءاً من ستة أشهر منذ بدأ تنفيذ تحديد النسل بشدة وعنف، وأخاف أن الأخبار الصحيحة لا تصلك، وإلا لما كان من المعقول أن تتدهور الأوضاع وتتحول من سوء إلى أسوأ، ولا يحتمل ذلك أي زعيم مخلص للبلاد، محب للوطن، وإني أعتقد أن حكومات الولايات - على عكس مقاصد المشرفين على الحكومة المركزية والمسئولين عنها - قد اتخذت تنفيذ هذا القانون، والحصول على النجاح وسيلة هينة في السلطة والجاه، وهم يتسابقون في هذا، ويقع بسبب ذلك من المعاملة ما يقع من حكومة أجنبية ذات عقلية إدارية معلومة وعملائها وأذنابها مع المواطنين الآمنين الوادعين، وقد أنتج ذلك أن تحولت هذه البلاد إلى ثكنة يسودها القلق والرعب والخوف، ويرتكب الناس لتحقيق مآربهم التافهة والوصول إلى الهدف المطلوب من تحديد النسل كل الأعمال الخسيسة والوحشية، فيصطاد العمال المساكين، والقرويون والمحترفون مثل اصطياد الوحوش والطيور في الغابات، وتستخدم وسائل الترهيب والعنف، والإطماع والترغيب حتى يكملوا هدفهم، ويشترط للمحافظة على الترخيصات الرسمية للتجارات، أو الحصول على الترخيصات الجديدة أن يقدموا كذا عدداً من الأفراد لتحديد النسل، وأصبح الموظفون الذين هم العمود الفقري للحكومة، والذين كانوا يتمتعون بحرية واحترام زائد إلى الآن، يعيشون في خوف وقلق، والأساتذة والمدرسون الذين عليهم عهدة تربية الجيل الجديد يعانون من الاضطراب النفسي والعقلي الشديد، وعاد هذا الموضوع حديث النوادي والمجالس، والناس في همّ وعذاب وبلاء.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان نتيجة هذه الأوضاع الطبيعية ذلك الانحطاط الخلقي الذي يسببه الخوف والطمع في بلاد عم فيها الجهل من سابق، ومن أخطر الجوانب وأشدها أسفاً أن أهل البلاد يكادون يحرمون من الشعور بكرامتهم، وثقتهم بأنفسهم، التي كانت وجدت بفضل جهود حركة المؤتمر الوطني، وجهود حركة الخلافة، ومساعي قادتنا السياسيين: غاندي ومولانا أبو الكلام آزاد، ومحمد علي جوهر، وأسرة نهرو، وظلت البلاد تشعر بأنها لا تزال تعيش حياة العبودية، والقهر، ولعله ما تمر لحظة يشعر فيها أي إنسان في هذه البلاد بأنها بلاد حرة ديمقراطية، بعيدة عن كل إجبار وإكراه، وعنف، استطاعت بجهودها أن تنال حريتها واستقلالها من حكومة أجنبية، وأخذت بيدها زمام أمورها.

ولا أرى أحرص على إيجاد هذه الثقة والاعتماد وأقدر لها وأكثر شعوراً بقيمتها وضرورتها من أعضاء أسرة نهرو، فإن لهذه الأسرة نصيباً أساسياً في هذه الجهود، وقد سقوا هذه الشجرة بعروقهم ودمائهم، فكيف يسوغ أن يروا هذه الشجرة في عهد حكمهم وهي تذوى وتصفر، لقد مست الحاجة الآن إلى مراجعة الأوضاع في البلاد، فإن أي شعب إذا تعود على العبودية، والجبن، والخوف، وفقد صفات الجرأة والطموح، والثقة، وعمل - عكس ما يحب ويريد - تحت ضغط الخوف، أو طمع المال، واعتقد أن المحافظة على الحياة، والمنصب، والوظيفة أهم شيء، ولو على حساب الضمير، والغيرة، والثقة بالنفس، فإنه لا موضع للطمأنينة، والاستبشار لهذا الشعب مهما تقدم سياسياً واقتصادياً وتعليمياً في الظاهر، فإن البلاد بالشعوب، وليست الشعوب بالبلاد، والشعوب لا تعيش إلا بسيرتها، وصفاتها الباطنة

www.abulhasanalinadwi.org

الصالحة، وعزتها، وجرأتها الخلقية، لا بوسائل معيشتها، وارتفاع مستوى حياتها.

إنه لمن الفشل والخيبة لحركة تحرير البلاد وجهودها وقادتها أن يضطر الناس إلى تذكر عهد العبودية والحكم الأجنبي، وإنه لمن العار أن يتذكر الناس اليوم العهد الإنكليزي ويتمنوه".

وفي رسالة مفصلة أخرى وجهها إلى رئيسة الوزراء إنديراغاندي بعد عودتها إلى الحكم، يشير إلى خطر تصاعد الطائفية، وحركات الإحياء الهندوكية، وشعور المسلمين بالخوف، ويوجه اهتمامها إلى تدهور الأمن والسلام في البلاد، يقول فيها:

" إن هذه البلاد إنما تواجه خطرين رئيسيين كبيرين يستحقان الاهتمام البالغ، أحدهما: الميل الجامح إلى الظلم، والعدوان، والعنف، والاستهانة بالأنفس، والأموال، والأعراض - من أي طبقة أو فرقة كانت - ومن مظاهر ذلك الاضطرابات الطائفية، والنظام الطبقي، واللمس المنبوذ، وإبادة الأسر والعشائر بكاملها بسبب ذلك، وقتل النفس لأجل فائدة مالية حقيرة، والجرائم الوحشية البشعة، وكثرة المظالم، ووقائع العدوان، وأخيراً مما يندى له الجبين حياء، أو تنكس الرؤوس ذلاً وعاراً، إحراق النساء وهنّ على قيد الحياة، أو قتلهن بالسم لأنهن لم يأتين بالجهاز المطلوب، ولم يقمن بالمتطلبات الجائرة.

ومعلوم لدى كل من يعتقد في الديانات أن خالق هذا الكون والمتصرف فيه الذي يحب عباده أكثر من الآباء والأمهات، لا يرضى هذا العمل الوحشي، بل إنه يمقته، ولا يمهله طويلا، وأنه لا بقاء مع ذلك لأي بلد مهما بذلت من جهود، وصرفت من قوى وطاقات، ولا تقدم ولا رخاء، ولا يبقى ذلك المجتمع الذي يرى

www.abulhasanalinadwi.org

كل هذه الأحداث، ويسكت عليها، أما الذين لا يعرفون للعقيدة الدينية معنى، فإنهم لا ينبغي أن يخفى عليهم أن الدول والإمبراطوريات الكبيرة العتيدة التي كان لها دوي عظيم في عهودها، ولا تزال نقوشها قائمة على لوح التاريخ - لم تستطع أن تتماسك مع الظلم والعدوان، وانهارت، ودمرت تدميراً، وأصبحت أحاديث تروى، وحكايات تذكر للعبرة.

فلابد من العناية بهذه الأوضاع الخاصة من دون تأخير، والحاجة شديدة ملحة إلى أن تكون هناك حركة قوية لمقاومة هذا الوضع الشائن أقوى وأنشط من حركة الانتخابات، والقضايا السياسية، ولا بد من القيام لأجل ذلك بجولات في القرى والأرياف، والأحياء والحارات، و وضع القوانين الصارمة، وإقامة التعزيرات الشديدة التي تكون عبرة ونكالاً واستخدام وسائل الإعلام كلها، (Public Media) وإدارتها بكاملها (Administration) لمكافحة هذا الوباء، وإلا فلا بقاء للبلاد.

والشيء الثاني الذي يستحق العناية والمعالجة، هو موقف الليونة والمجاملة مع حركة إحياء الهندوسية (Hindu Revivalism) والمنظمات المتطرفة كحركة "وشوهندو بريشد" و"شيو سينا" و"آر ايس ايس"، والميول والنزعات المتطرفة، الداعية إلى العنف والعدوان، إن هذا الموقف يمكن أن يجر للحكومة بعض المنافع والمصالح المادية المؤقتة، ولكن - في نفس الوقت - يزرع أرض البلاد بالألغام، المواد المتفجرة المدمرة التي لا تبقي ولا تذر، ولقد كان الزعيم غاندي يدرك هذه الحقيقة كل الإدراك أن العصبية والكراهية الطائفية والعنف سيؤدي دوره أولاً بين عنصرين مهمين (المسلمين والهندوس) من عناصر البلاد، ثم يظهر بالتالي في أشكال الخلافات

www.abulhasanalinadwi.org

الفرعية الجزئية بين مختلف طبقات الأكثرية، والحروب بين الطبقات، والقبائل، والعصبيات اللغوية، والإقليمية والسلالية، وحين ينتهي من دوره، تتأجج نار بين هذه الطوائف، وفي هذه الأشكال، تصبح هي نفسها ناراً تتلظى ـ والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكل ـ تأكل البلاد والأهالي الآمنين، وتلتهم السكان المطمئنين، فتحطم البلاد، ولا يبقى إلا الرماد.

ولذلك فإني أصرح بأن هذه الحركة العدوانية للإحياء (Revivalism) والعنف، ومطالبة طائفة واحدة بتغيرها وتخليها عن شخصيتها ومميزاتها الدينية والحضارية، وتناولها بالنقد والهجوم، وإيقاظ التاريخ النائم، بل إحياء التاريخ الميت الذي أصبح نسياً منسياً، هو كإيقاظ أسد نائم، يفترس المارين إذا استيقظ، والتذكر بالحوادث التاريخية القديمة التي مضت عليها قرون وأجيال، وإحياؤها، ونبش القرون، وإزالة التطورات التي طرأت على هذه البلاد عبر القرون، وتحملها أهلها الواقعيون الغيارى برحابة صدر وسعة أفق، إنما هو في الحقيقة تعريض لهذه المشاكل والقضايا والأخطار التي لا حاجة لها ولا داعي إليها، ولا متسع من الوقت عند أهلها للنظر فيها، وتصرف بها طاقات الحكومة والإدارة إلى غير جهتها وفي غير موضعها، كان واجبنا أن نوفر لبناء هذه البلاد وإحكامها والحفاظ عليها.

يجب أن تردم الفجوة قبل أن يفوت الأوان، ويسد ما وقع من شقوق في سد البلاد بقليل من العناية والجهد قبل أن يتسع الخرق على الراقع، ولا ينبغي أن يلتفت بالنظر إلى هذه المصالح العامة الأساسية، إلى غضب شخص، أو حزب، أو كراهية إدارة إقليمية، أو ولاية، أو خوف التأثير في نتائج الانتخابات، لأن البلاد

www.abulhasanalinadwi.org

أعلى وأعز، والمبادئ أقدم وآثر من المنافع المؤقتة، والمصالح المحدودة، وليس ذلك للمتمسك بالمبادئ فحسب، بل إنها مقتضيات السياسة البصيرة الواقعية العميقة الغور، ولا أرى داعياً إلى بسط أو شرح أكثر للموضوع، ففيكم من توقد الذكاء وإدراك المغزى، وصلاحية التوصل من الإشارات إلى المواضيع المقصودة، ما يقنعني ويطمئنني.

أما الأمر الثالث الذي يحتاج كذلك إلى عناية بالغة، فهو الفوضى الإدارية و الخلقية، **(Corruption)** التي بلغت حداً لا أجد له مثيلاً في تاريخ هذه البلاد سابقاً، لا تنظروا في هذا الصدد إلى التقارير الرسمية والتنظيمات الظاهرة وفخفخة الشؤون الإدارية وتقدمها المادي، بل اسألوا عامة الأهالي، وسكان الطبقة المتوسطة، والناس الذين يترددون إلى المحاكم والإدارات، والمكاتب، ويسافرون بالقطارات، والطائرات، والحافلات **(Buses)** ويذهبون إلى مراكز البوليس، وإدارة الهاتف، والمستشفيات، ويحتكون بأنواع المعاملات من المبايعات والمقاولات، ومختلف شعب الحياة، فلا عمل إلا بالرشي، وإذا أديت الرشوة فكل عمل ممكن، ويمكن به تخليص المجرمين وصيد الأبرياء، وإنفاذ حكم جائر، وإشعال النار الطائفية إلى تسريب أسرار الدولة والجاسوسية، والأدوية ليست خالصة، والأغذية ليست صالحة، والإسعاف الطبي صعب المنال، والتسهيلات الطبية للمرضى تذهب سدى، وقد بلغت القساوة أقصى غايتها، وتحمل الحكومة خسائر يومية باهظة تبلغ مئات الملايين في مصلحة القطارات، والطائرات، للرشى الفاشية.

www.abulhasanalinadwi.org

يرجع كل ذلك في أصله إلى الحب المفرط للمال، والنهامة والجشع للمادة، وعدم الخشية من الله، وفقدان المؤاساة والرحمة على الضعيف، وعاطفة الوفاء للبلاد، وإيثار مصلحتها على المصالح الفردية، ولأجل كل ذلك يسرع إلى هذه البلاد رغم رقيها وتقدمها في الصناعة والسياسة، والعلاقة الدولية ونشر التعليم ومحو الأمية، ونسبة التعليم المتزايدة، رغم كل ذلك يسرع إليها الزوال، وتقترب إلى الفناء، فقد ملَّ الناس الحياة، وسئموا العيش، ومما يدعو إلى الخجل والحياء، والشعور بالفشل والإخفاق، أنهم يذكرون عهد العبودية للإنكليز ويتمنونه، حين كانت الإدارة محكمة أمينة، وكانت مواقيت القطارات مضبوطة، والمستشفيات مأوى المرضى، يجدون فيها الراحة، والطمأنينة، والعلاج، وكان الطلاب ينجحون في الاختبارات بجدهم واجتهادهم، وكانت المناصب والوظائف تولى أهلها من ذوي الكفاءة والاستعداد، وأصبحت هذه الأمور كلها الآن حديث كان".[1]

وجه سماحة الشيخ الندوي رسالة إلى زعماء الهند، وقادة الفكر يلفت انتباههم إلى انتشار ظاهرة العنف الطائفي في الهند، وأكد ضرورة بدء نضال لوقف هذا الاتجاه الذي هدد سلامة البلاد، وذكر في الرسالة عدة أحداث دامية، مقتبسة من الرسائل التي وصلت إليه من بعض العاملين في المناطق المنكوبة:

"إنه لمن أرجحيات الظروف والأوضاع التي نعيش فيها، والقضايا التي نواجهها أن يعقد اجتماع في أقرب فرصة لكبار زعماء الديانات المختلفة، والمثقفين البارزين، والمحبين للسلام، والزعماء

---

[1] - في مسيرة الحياة: ٢/٦٤-٦٧

www.abulhasanalinadwi.org

المخلصين الذين يفكرون في المسائل القومية، مرتفعين عن جميع المصالح السياسية، والطبقية، والطائفية، والانتماءات الضيقة، والخلافات الفكرية، ويحملون في قلوبهم الحب الخالص للبلاد، والإنسانية، ويتألمون لها، والذين يؤمنون أن لهذا الكون خالقاً، لا يرضى بتدميره، ويكره الظلم، وسفك الدماء، أشد كره، والذين يدركون بخبرتهم ومعرفتهم هذه الحقيقة التاريخية الدائمة أن الظلم، وسفك الدماء، واضطهاد الضعفاء، والبطش بالنساء، والأطفال والطاعنين في السن (الذين لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، ولم يصدر منهم شيء يبرر هذا الاضطهاد، والسلوك الوحشي معهم) يؤدي إلى اندثار الدول والحكومات القوية، ذات حول وطول، ومحو آثارها، وكان هذا الظلم على الضعفاء من أسباب زوال إمبراطوريات وحضارات، وأفول مجتمعات وثقافات كانت تقود العالم، وتعلم الإنسانية ثقافتها.

إني أكتب بغاية من الشعور بالألم والخجل، ولا يسعني أن أكتم هذا الشعور أن بلادنا التي كانت تعرف منذ عهد عريق في القديم بعدم العنف، وحب الإنسانية، والكرامة، والسماحة، والتي كانت تنشد أغاني حبها، في البلدان الأخرى، وكان الناس يتغنون بها، ويفتنون بها، وأن هذه البلاد، بلاد الحب، والهيام لا تتعرض للعنف والعدوان فقط ـ وهذه الكلمات تعجز عن التعبير عن فظائع العهد الحاضر ـ وخاصة الأوضاع المعاصرة، واستميحكم عذراً، وأشعر في نفسي خجلاً في استعمالها، لكوني من مواطني هذه البلاد، وفخور بها ـ أقول معتذراً: إن هذه البلاد أصبحت عرضة للحيوانية، والبربرية، والأعمال الدموية، وتهب في هذه البلاد حالياً عاصفة هوجاء لافحة، في مناطق عديدة، وأجزاء متعددة للبلاد، لا

www.abulhasanalinadwi.org

تقل خطورة عن فظائع أي طوفان، أو زوبعة، ويمكن أن يذكر على سبيل المثال ما حدث في مديرية "بهاجلبور"، لولاية بيهار، وقد تناقلته الجرائد والصحف، وتقارير العاملين في النشاطات الاجتماعية، وبعثات الإسعاف والإغاثة، ولا يشك أحد أنكم على معرفة بها، ولا تخفى عليكم هذه الوقائع المؤلمة.

وصرح سماحته بعد أن ذكر عدة حوادث دامية وقعت في "بهاجلبور"، تدل على تصعد النزعات الطائفية، وغلبة التهور، والانفعال، والكراهية، وعدم فعالية جهاز الأمن، بل تحيز المسئولين عن الأمن إلى جانب: "إن المرض أمر طبيعي للإنسان، وليس بأمر فوق العادة، وإن انحراف صحة الإنسان عن الاعتدال، وتعرضه للمرض ليس ضد فطرة الإنسان، وإنما هو رمز للحياة، ودليل على الحياة، فإن الحجر لا يخطئ، ولا يخطئ الشجر، وإنما يخطئ الإنسان، وإذا صدرت أخطاء من أي إنسان لم يكن ذلك موضع قلق كبير، ولا مبعث يأس، ولا يدعو ذلك إلى خيبة أمل فيه، ولكن وقوع جماعة كبيرة أو مجموعة بشرية على طريق ضال، وافتتانها بالأهواء، والمصالح السافلة، ونهامتها لتحقيقها، وتهافتها عليها يبعث على قلق كبير، ويدعو إلى اهتمام بالغ لخطورته للتاريخ الإنساني، ومصير الإنسان، إن الذي يبعث على القلق، والاهتمام هو أن يفقد رجال يصمدون في مواجهة هذه الأخطار التي تحدق بالإنسانية، ومراقبة النشاطات التي تفسد المجتمع، وتعكر الجو، وتنشر الاضطراب، والفساد في الأرض، رجال يخاطرون بأنفسهم في صد هذه النشاطات التخريبية، ويتحملون الشدائد في سبيلها، إن فقدان مثل هذه العصابة أو الأفراد من البشر الذين يحبون الصلاح والإصلاح، ويمقتون الفساد والإفساد،

www.abulhasanalinadwi.org

ويضحون بحياتهم في سبيل ذلك هو الخطر الأعظم، فقد تعرض الإنسان في الماضي لموجات الفساد والإفساد، وغلبت قوى التدمير، وسارت المؤامرات، وظن الناس أن الإنسانية وصلت إلى حافة الفناء، وأنها ستلفظ أنفاسها الأخيرة، وأن قيامتها ستقوم قريباً، لكن التاريخ شهد في كثير من هذه المناسبات أن برز على الساحة رجال تصدوا لهذا الوضع بجرأة، وببسالة وروح فداء، وواجهوا الأوضاع بصلابة، وغيروا مجرى الأمور، وأرغموا العصر على تحويل اتجاهه.

وأضاف سماحته يقول: إن الحضارة الإنسانية، والخصائص الإنسانية، والأهداف العليا، والتعليمات الخلقية المتواصلة التي سادت في كل عصر، واستمرت إلى عصرنا هذا، يرجع فضلها إلى تلك الشخصيات التي صمدت في سبيل الكفاح ضد الشر، والتي غيرت مجرى التاريخ بنضالها، وجهادها، فإن أكبر خطر لأي مجتمع هو أن لا يبقى في المجتمع من يكره الظلم والفساد، ويتقدم لصده، ويخاطر بنفسه في سبيل الخير ولو بعدد يعد بالأنامل.

إن أي مجتمع أصيب بنوبة مماثلة للانحلال الخلقي، تتقدم فيه طائفتان لمواجهة الوضع ومعالجته، إحداهما طبقة رجال الدين، والقادة الدينيين، والأخرى طبقة المثقفين، فيحتاج الوضع المعاصر إلى أن يتقدم لمعالجة الوضع الراهن رجال الدين، وقادة الإصلاح الديني، والتربية الدينية والخلقية، ورجال العلم والثقافة وهم الذين يستطيعون أن ينقذوا المجتمع اليوم، وإني أخشى أن المؤرخ الذي سيكتب تاريخ هذا العصر والمجتمع المعاصر، يكتب أن كل ذلك حدث أمام أعين رجال الدين، وخبراء العلوم الدينية، ودعاة الحب والأمن، والمثقفين والمفكرين وبجوارهم، وفي ظلهم

www.abulhasanalinadwi.org

حدث ـ واسمحوا لي أن أقول ـ حدث كل ذلك وكانوا عاكفين على العبادة، والتعليم، والمطالعة، والتأليف في زواياهم، ويتلذذون بها، ويستمتعون بها، وإن التاريخ يشهد وتدل عليه التجربة أن هذا السيل إذا عم وطم، فإنه لا يترك الزوايا، والمدارس، والمعابد، وحصون العلم، والصحافة، وقلاعها، فلا يبقى شيء منها، وأن نيران القتل والسلب إذا انتشرت فإنها تحرق كل شيء، يقع في سبيلها، ولا تنجو منها الغرف المكيفة، والحصون المحصنة، إني إذا قلت لما كان من المغالاة في شيء، أن البلاد اليوم تقف على فوهة البركان، وتتأرجح سفينة الحياة في الطوفان، والفيضان الهائج، فأقدم إلى كل من له قلب وشعور، النداء ليستعرض الظروف الراهنة، والأحوال التي تمر بها البلاد بجدية، وحكمة، وتدبر، وجرأة خلقية، وهمة عالية، وذهن علمي، وشعور وطني، ويتخذ الوسائل لعقد ملتقى لأصحاب الشعور والوعي لدراسة الوضع، لتوجيه البلاد إلى جهة الصلاح والتعمير، وخدمة الإنسانية، ويناشد الضمير الإنساني، وخوف الله، والخلق الحسن، واحترام الإنسان، وينقذ البلاد من نزول غضب الله، والذي أخشاه في ضوء دراستي للأديان، وكتب الأديان والتاريخ، أن هذا العمل يستحق أن ينال الأرجحية الأولى، والأهمية القصوى، وسيكون خدمة كبرى للبلاد، ولا يمكن أن يؤخر هذا العمل مزيداً، ولا يحتمل ذلك أي تأخير.

إني أؤكد لكم أنه إذا تقرر عقد الاجتماع في أي مكان، وفي أي وقت، فإن كبار القادة المسلمين والمثقفين المسلمين سينضمون إليه ويشتركون في ذلك الملتقى، وسيتحقق بالتشاور، والإخلاص المتبادل عمل إنقاذ البلاد من هذا الدمار والتشويه ـ

www.abulhasanalinadwi.org

والـذي تـسربت أخبـاره لأول مـرة إلى الـدول الأجنبيـة في أوربـا، وأمريكا، والبلدان الإسلامية والعربية، ولا يوجد له نظير في السابق ـ وسيمكن بعـد معالجـة هـذا الوضـع تحويـل صـلاحيات وكفـاءات البلاد، والمواطنين إلى بناء الوطن، بل إلى تهيئة قيـادة خلقيـة صـالحة للعالم، وإحلال البلاد في منزلة نصرة الأمم المضطهدة، وإرشادها، وسيكون ذلك عملاً تاريخياً.

أرجـو أن تنـال هـذه الأمـور الـتي أشـرت إليها، الاهتمـام والنظـر، وتـدرس الوسـائل لتحقيقهـا، ويعـد برنـامج للاجتمـاع في مكان لائق، ويبدأ هذا العمل في أتباعكم وأنصاركم.

وأخيراً تفضلوا بقبول أخلـص تحياتي وتمنياتي، وأسـأل الله التوفيق والسداد.

www.abulhasanalinadwi.org

هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية

ظهر في ساحة الهند خطر آخر كبير للحفاظ على وجود الشخصية الإسلامية الصحيحة وبقائها للأمة المسلمة، بل للحياة بعز وشرف وحرية في دائرة الدين الإسلامي، كان ذلك ميل الحكومة، ومطالبة المتجددين المتحررين من المسلمين بتطبيق قانون موحد للأحوال الشخصية (Uniform Civil Code) إذ لا توجد بدونها في نظرهم الوحدة القومية، والمساواة، والانسجام بين مختلف الطبقات والفرق.

وتجاوز هذا الخطر من تخوف وتوقع إلى وقائع وحوادث، وكانت بيانات الحكومة المتحفظة التي تحمل دلالات خطيرة تؤكد هذا الخطر، ثم نشأت ثلة تحت قيادة عبد الحميد دلوائي، كانت ترفع صوتها حيناً بعد حين بمطالبة القانون المشترك، وكانت تقود هذه المهمة كحركة ودعوة، لقد كان هذا طليعة ردة اجتماعية وحضارية، وخروج على الشريعة، وحرمان من بركاتها وثمراتها في المسلمين، وكان يخشى من ذلك أن يصدق عليهم هذا الوعيد الشديد: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1].

لقد كان فيمن تنبَّه إلى هذا الخطر وشعر بفداحته لأول مرة الشيخ منت الله الرحماني أمير الشريعة لولايتي "بهار" و"أريسة"،

---

[1] - سورة المائدة: ٥

www.abulhasanalinadwi.org

فقد هداه إلى ذلك عمله ومسئوليته ومنصبه وتجاربه العلمية، وقد رزقه الله تعالى - مع فضائل ومناقب أخرى - سعادة إقامة الجبهة القوية ضد هذه الدعوة المنحرفة، فقرر أن يقود لذلك حركة منظمة، ويقيم مؤسسة عظيمة، وأيد ذلك العلماء من أعضاء المجلس الاستشاري الإسلامي، والجماعة الإسلامية، ودار العلوم ديوبند، ومظاهر علوم بسهارنفور، وندوة العلماء بلكناؤ، وتقرر أن يعقد اجتماع في هذا الموضوع في ٢٧- ٢٨/ديسمبر عام ١٩٧٢م بمومبائ، بعنوان: "ندوة قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين" ويدعى إليه المسلمون من جميع الفئات والطبقات والفرق والجماعات من المسلمين، وتقام بتعاونهم وتضامنهم جميعاً جبهة قوية منظمة ضد هذه الفتنة.

اختير الشيخ محمد طيب - رحمه الله - مدير دار العلوم ديوبند سابقاً رئيساً لها بالإجماع، وقد وهبه الله تعالى شخصية محببة أثيرة، وجمع له العلم، والذكاء، والخطابة، ولكن انتقل الشيخ محمد طيب إلى رحمة الله في ١٧/يوليو عام ١٩٨٣م، وأصبح مكان الرئاسة شاغراً، وتقرر عقد الاجتماع السنوي للهيئة لذلك العام ١٩٨٣م بتاريخ ٢٧- ٢٨/ديسمبر في مدينة"مدراس".

فرشح لرئاسة الهيئة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، وقبل الشيخ الندوي بعد تردد كبير لإصرار إخوته وأصدقائه وأهمية المنصب، فيقول في مسيرة الحياة:

"لم أكن أتصور أنه بعد قبولي الرئاسة ستمر الهيئة بل الأمة الإسلامية الهندية كلها بمراحل دقيقة خطيرة في تاريخها، لعلها لم يسبق لها مثيل منذ زمن طويل، وتتطلب حزماً وذكاءاً وعزيمة صارمة في القيادة، وتنظيماً وضبطاً للأمة، وعلماً دقيقاً، ودراسة

www.abulhasanalinadwi.org

واسعة وفطنة وتدبُّراً في علماء الدين، ورجال القانون، وطاعة وانقياداً وصبراً واحتمالاً وثقة بالقادة، واعتماداً عليهم، وتسليماً بقراراتهم في العامة من الناس، وأن يثبتوا الصلاحية غير العادية لذلك، ويتظاهروا بالوعي الاجتماعي.

الاجتماع العام بكلكتة

عقد اجتماع عام لهيئة قوانين الأحوال الشخصية في ٦-٧- ٨/ أبريل عام ١٩٨٥م بكلكتة، وحضر هذا الاجتماع عدد كبير من المسئولين عن جميع الجماعات الدينية والسياسية والمنظمات الإسلامية، ومن مختلف المدارس الفكرية، وعامة المثقفين المسلمين، وكبار العلماء، ورجال القانون.

عقد الاجتماع العام في ٧/أبريل ١٩٨٥م في ميدان "منارة الشهداء"، ويُقدر عدد الحاضرين بنصف مليون إنسان، وقد توارد الناس من كل صوب وحدب، وحضروا من القرى والأرياف على الباصات، وقد كان هذا الاجتماع للمسلمين للقضايا المليةِ لم يشهد له نظير منذ زمن طويل، وكان الحضور كلهم آذاناً صاغية، وخاطب الشيخ الندوي جميع المسلمين هنا بصفة خاصة كرئيس جديد، صارح في كلمته أن المسلمين هم الذين يُفرطون في القانون الإلهي المقدس الذي أنزله الله تعالى، وجاء به خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، فكم من أحكام دينية في معاملاتهم واجتماعهم يتخلون عنها، وكم من طقوس وتقاليد هندوسية يختارونها، وإلى حد أنهم تأثروا بالمجتمع الجاهلي الموجود، والبيئة المناوئة للإسلام، ودعاهم إلى احتساب النفس ومحاسبتها في غير حياء وجرأة، يقيموا المحاكم الشرعية في مواطنهم ليحاسبوا أنفسهم، ولينصفوا من ذويهم، ويصدروا أحكام الشرع عليهم

www.abulhasanalinadwi.org

أولاً، ونبّههم إلى أن مخالفة القوانين الإلهية، والتقصير في طاعة الخالق والعبودية له، والخروج عليها وتجاوز حدود الله يؤدي إلى ألوان من الفساد وأنواع من المحن، وقد كان هذا الاحتساب لازماً للمسلمين، لأن الغرض الأساسي من إقامة هيئة قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين ليس إلا إصلاح المجتمع المسلم، والدعوة القوية لتنفيذ أحكام الله تعالى على المجتمع والمدنية، والحياة الأسرية، وقد كان تأثير هذا الخطاب طيباً ملموساً.

حكم محكمة الاستئناف تدخل سافر

في الشريعة الإسلامية:

أصدرت محكمة الاستئناف في ٢٣/أبريل ١٩٨٥م، بعد اجتماع كلكتة بأسبوعين في موضوع" نفقة المطلقة" حكمها المعروف الذي كان تدخلاً سافراً في الدين، وتفسيراً يمليه الهوى للقرآن الكريم واستخفافاً بالشريعة الإسلامية وحملة نكراء عليها، هزت الأمة الإسلامية وزلزلت كيانها، ووقفت بها في موقف شديد حازم من ولائها للشريعة الإسلامية، ووفائها لها، وغيرتها عليها، وعزتها وإبائها، نجتزئ ببعض المقتطفات من حكم جندر جور قاضي محكمة الاستئناف في المرافعة التي تقدَّم بها محمد أحمد خان ضد مطلقة شاه بانو:

"لقد كان شارع القانون "منو" قال: إن النساء لا يملكن حق الحرية، ومما يمكن أن يقال بصراحة إن من جوانب الإسلام المظلمة أنه حط من مكانة المرأة (انظر منتخبات القرآن للأستاذ أدوارد وليم لين طبع عام ١٨٤٣م، والطبعة الثانية عام ١٩٨٢م، الصفحة ـXC) ويُنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن المتوقع أن تكون النسبة خطأً، أن المرأة خُلقت من ضِلع، فإن ذهبت تقيمه كسرته،

www.abulhasanalinadwi.org

فاستوصوا بهن خيراً.

وإن أي شخص أمر بأداء النفقة وغيرها يفرط في تطبيقه من دون أي عذر مقبول، فإنه يجوز للقاضي أن يصدر حكماً بأخذ النقود المطلوبة تحت منهج أخذ الغرامات، وأن يعاقبه بعد إصدار الحكم لذلك الشخص على عدم أدائه للمبلغ المطلوب كله، أو ما بقي عليه من المبلغ الذي لم يقم بأدائه شهراً كاملاً، أو لمدة متعلقة إذا كان الأداء قبل ذلك.

إن آيات القرآن رقم٢٤١- ٢٤٢ لتدل على أنه حسب أمر الرسول يلزم الزوج المسلم بأداء النفقة لمطلقته طول حياته وحياتها، واستشهد سعادة القاضي بما جاء في تفسير الآيات المتعلقة بالتطليق وترجمة كلمة "المتاع" بما جاء في ترجمات القرآن لبعض المترجمين من الإنجليز وبعض المُتسمين بالأسماء الإسلامية ممن لم يرسخوا في العلم، ولا في الدين، ولا في معرفة لغة القرآن العربية عن طريق الدراسات المنتظمة الجدية، ويتهم بعضهم بالشذوذ الديني والاضطراب العقائدي".

وقال القاضي الفاضل بعد إيراد هذه الآيات وترجمتها:

"إنه نظراً إلى هذه الآيات لا يبقى أي ريب وشك في أن القرآن يُلزم الزوج المسلم أداء النفقة الدائمة لزوجته المطلقة، أو أن يعطيها من المبالغ ما تعيش به، وكل ما يخالف ذلك لا يقوم على الإنصاف للتعاليم القرآنية".

ومن المؤسف جداً أن بند(٤٤) من دستورنا (وهو البند المتعلق بالخطوط العريضة حول القانون المدني الموحد) لا يزال لفظاً ميتاً، إن القانون المدني الموحد سيقضي على الولاءات الفارغة للقوانين المؤسسة على النظريات المتعارضة ويساعد في الوصول إلى

www.abulhasanalinadwi.org

تيّار قومي واحد.

إنه يلزم المحاكم أن تلعب دور المصلح الاجتماعي، لأن العقلية ذات الحس المُرهَف لم تعد تتحمل هذا الظلم الصريح، ولكن جهود المحاكم المتفرقة لا يمكن أن تكون بديلاً للقانون المدني الموحد في رَدْم الخليج الواقع بين مختلف قوانين الأحوال الشخصية.

حكم محكمة الاستئناف وموازنته بالقانون الشرعي:

إن حكم محكمة الاستئناف بالبند رقم(١٢٥) يخوّل للمطلقة حق الحصول على النفقة من الزوج إذا كان حياً موسراً[١]، وإلا فإن المطلقة لا يبقى لها أي حق في النفقة ولا يبقى أمامها إلا طريق الاستجداء والسؤال، أما الشريعة الإسلامية فإنها لا تدع المرأة في حال من الأحوال لهذه المذلة، فالمطلقة بعد انقضاء عدتها ترجع إلى بيتها ويجب على ورثتها حسب ترتيب ولائهم وقربهم منها نفقتها، وقد جاء في هذا الحكم بناءاً على بند(١٢٥) في **C.R.P.C.** قانون الغرامات في الجنايات التصريح بأن المطلقة لا تزال زوجته التي تحصل منه على نفقتها مدة حياته أو إلى أن تنكح زوجاً آخر.

ولاشك أن هذا الحكم ينم عن التأثر بالديانة الهندوسية، فإن الديانة الهندوسية تفيد بأن علاقة المرأة بعد زواجها تنقطع بأسرتها، وتبقى رهينة زوجها، ولا يمكنها أن ترجع إلى بيتها، وبناءاً على ذلك فإنها لا تستحق شيئاً إلا من زوجها، ولذلك جاء الحكم بمطالبة النفقة من زوج المطلقة، ويختلف القانون الإسلامي في

---

[١] – ولا يخفى أن في ذلك أخطاراً خلقية اجتماعية، أولاً:أن الزوجة تبقى عيالاً على الزوج الذي كرهها وطلقها، وفي ذلك مس بكرامتها كمسلمة ذات شرف وإباء وحساسية، ثانياً: أن بقاء هذا الاتصال ـــ ولو في سبيل النفقة بزوجها الأول ـــ مثير للغرائز ومجال للريبة والصلة غير الشرعية.

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الأمر اختلافاً كلياً، فإنه لا يقطع صلة المرأة بأسرتها وبيتها الأول، فالبنت في نظر الإسلام بنت، والأخت أخت، وتبقى هذه العلاقة مدة حياتها وبعد مماتها، وتقسم التركة بناءاً عليها.

وقد فسر "المتاع" في هذا الحكم اعتماداً على بعض الترجمات الإنكليزية للقرآن الكريم بأنه "النفقة المستمرة" وقد استعملت لذلك لفظة **"Maintenance"** في بعض الترجمات الإنكليزية، وهذا خطأ، فإن المتاع حسب كتب التفسير والحديث والفقه الإسلامي هو ما يقدّم للزوجة في الظروف الخاصة من هدية وعطية، من الملابس أو النقود أو شيء آخر.

وقد كان ذلك تجاوزاً من المحكمة لحدودها المرسومة، وخطوة جريئة خطيرة، إذ أنها تدخلت في موضوع شرح القانون الديني بناءاً على ترجمات أولئك المؤلفين الذين لا يُعتمد على معرفتهم الصحيحة الدقيقة للغة العربية فضلاً عن فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه، بدلاً من كبار المفسرين المعروفين وأجلّة العلماء البارعين.

موقف خطير:

لقد فسر قاضي محكمة الاستئناف كما تقدّم كلمة "متاع بالمعروف" بكلمة **"Maintenance"** بالرغم من أن أكثر المترجمين الأفاضل ترجموا هذه اللفظة بالأشياء والبضائع التي تقدم كهدية كريمة، وأمثال هذه التعبيرات [١].

---

[١] – انظر ترجمات القرآن الكريم لمارما ديوك بكتهال، وجورج سيل ورجردبل (Richard Bell) وآرثر جي أربري Arthur J. Arbury، والأستاذ عبد الماجد الدريابادي، والأستاذ المودودي.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن تفسير القرآن الكريم وشرح بعض مصطلحاته الشرعية في لغة أخرى على أساس بعض الترجمات، ثم الحكم بناءاً عليها ومخالفة الإجماع، والتفسيرات المتّفق عليها، موقف خطير، ومؤشر فظيع يحمل نتائج خطيرة بعيدة المدى، ويعرض النظام التشريعي والديني والاجتماعي كله لخطر كبير.

وقد كان القضاة ورجال القانون في العهد الإنكليزي في الهند أكثر فهماً وذكاءاً ودقة، وأعرف بخطورة مسئولية المحاكم.

فقد صدر حكم من مجلس الحكم البدائي عام ١٨٩٧م في مرافعة تقّدم بها آغا محمد جعفر ضد كلثوم بي بي، جاءت فيه ألفاظ القاضي الإنجليزي كما يلي:

"وإنه لا ينبغي لهذه المحكمة أن تحاول تفسير هذه الآية بنفسها بغض النظر عن أولئك المفسرين القدامى الذين كانت لهم قدم راسخة فيه"[١].

كذلك صرَّح قاض آخر في تلك المحكمة في مرافعة أخرى عام ١٩٠٣م:

"إن الاعتراف بأن علماء القانون المعاصرين يحق لهم أن يضعوا قانوناً بناءاً على نص قديم ما دام علماء القانون القدامى لم يذهبوا إليه، ولم يقوموا به سيكون من الناحية الأصولية خطيراً للغاية"[٢].

ولم تزل محكمة الاستئناف بعد استقلال البلاد تطبِّق هذا الأصل، وتوجد نظائر متعددة في أحكامها لذلك، اكتفي هنا بمثال واحد:

---

[١] – L.R.1897

[٢] – L.R.1903 المجلد ٣٠، ص:١١١–١١٢، المجلد ٢٦، ص:٢٠٣–٢٠٤.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد علق أحد القضاة في حكمه في مرافعة ضد حكم سابق عام ١٩٨٠م:

"ولعل القاضي الفاضل لم ينتبه إلى أن الجزء الثالث من الدستور لا يتعلق بقوانين الأحوال الشخصية للفريقين، فإنه لا يجوز في تنفيذ قوانين الأحوال الشخصية للفريقين إقحام التصورات المعاصرة، بل لابد من الرجوع إلى مصادر القانون الهندوكي المعتبرة المعروفة مثل "سمرتي" وشروحه وتنفيذ ما جاء فيها"[١].

وقد جاء في حكم محكمة الاستئناف الذي نبحث فيه، تأييد حماسي للقانون المدني الموحد فقد قيل فيه:

"وإن من المؤسف جداً أن بند(٤٤) من دستورنا - وهو البند المتعلق بالخطوط العريضة للقانون المدني الموحد - لا يزال حبراً على ورق، وإن القانون المدني الموحد سيقضي على ولاءات غير منسجمة للقوانين المؤسسة على النظريات المتعارضة، ويؤدي إلى تيار قومي موحد".

حركة شاملة للهند ضد حكم محكمة الاستئناف

ولم يبق أمام المسلمين في هذه البلاد العلمانية القديمة، لإبداء عواطف الامتعاض والقلق والاضطراب ضد هذا الحكم المنحرف عن خط المحاكم ودائرتها، والمطالبة بحرية العمل بالتعاليم الإسلامية الصريحة والأحكام الشرعية، والنصوص القطعية وبقائها والحفاظ عليها، إلا أن يعقدوا مظاهرات ويرفعوا احتجاجات، وينظموا سلسلة من الاحتفالات الشعبية العامة ضد هذا الحكم، وهذه النزعة الجانحة في طول البلاد وعرضها، وأن يضغطوا بهذا الطريق

---

١ - A.I.R.1980 page:712

www.abulhasanalinadwi.org

الجمهوري على إدارة هذه البلاد والمسئولين عنها، رئيس الوزراء، ورئيس الجمهورية، ووزير القانون، ووزير الشؤون الداخلية والبرلمان، حتى يؤتى في البرلمان بقرار جديد ينسخ هذا الحكم.

وقد قامت هيئة قوانين الأحوال الشخصية في هذا الصدد بدعوة جمهور المسلمين إلى أن يرسلوا عدداً كبيراً من البرقيات إلى رئيس الوزراء ويعرّفوا المسلمين في مساجدهم بحقيقة الأوضاع، وعقد الاحتفالات العامة، وجلسات احتجاج ضد هذا الحكم في كل بقعة من بقاع البلاد.

وقد تأثرت الأمة الإسلامية الهندية بهذه الدعوة ولبَّتها، وطبقتها تطبيقاً لم يشاهد مثيله في أي قضية من قضايا الأمة الإسلامية، بعد "حركة الخلافة"، فأرسلت مئات الألوف من البرقيات من مختلف بقاع البلاد وقراها ومدنها ومديرياتها، وألقيت خطب في المساجد، واهتم الناس بالدعاء، وعقدت احتفالات من أقصى البلاد إلى أقصاها.

كان اجتماع مائة ألف، ومائة وخمسين ألف نسمة أمراً هيناً عادياً، ليس أمراً غريباً، حتى في مدينة رائي بريلي، وهي مدينة صغيرة، عقد مؤتمر الحفاظ على الشريعة الإسلامية في ٩/ فبراير ١٩٨٦م، حضر فيه حسب إحصاء صحيفة "قومي آواز" الأردية الحكومية السيارة، مائة ألف شخص من مختلف مديريات الولاية، وإن ذلك اليوم ليبقى يوماً تذكارياً في تاريخ هذه المدينة، فقد أغلق المسلمون دكاكينهم، وتركوا عملهم وأقبلوا إلى هذا المؤتمر الذي لم

www.abulhasanalinadwi.org

يسبق له نظير في تاريخ هذه المدينة [١]، لقد كان بحر من الناس يموج، وكانت النساء المتحجبات اجتمعن في البيوت القريبة وارتقين السطوح، ونظرن من البيوت إلى هذا الجمع التاريخي العظيم"[٢]

وهكذا عقدت اجتماعات كبيرة في الأرياف والقرى فضلاً عن المدن الكبيرة، والمواضع الرئيسية المركزية، وقام بعض العاملين النشطين بحركة جمع التوقيعات لأكبر عدد ممكن من الناس، وأرسلت خطابات ورسائل بآلاف من التوقيعات لتأييد الشريعة الإسلامية، ومنابذة الحكم الذي صدر من المحكمة.

وقد شوهدت موجة عارمة من الحمية الدينية، واليقظة الإسلامية، والوفاء للإسلام، وكان الناس يجتمعون على المحطات وينتظرون قدوم الوفد، ليلقوا عليه نظرة، ويرحِّبوا به، ويقولوا لقادتهم وعلمائهم: " فداكم أنفسنا وأموالنا لحماية بيْضَة الشريعة الإسلامية، نفديها بالمهج والأرواح".

ومما لوحظ في هذه الجولات والاحتفالات سوى أعداد الناس الضخمة الكبيرة، ما كان من مشاركة مختلف الفرق الإسلامية، والمدارس الفكرية، والمنظمات والحركات، مما لم يشاهد في الاحتفالات الأخرى إلا قليلاً.

وقد كان من خصائص هذه الحركة القوية، أنه بالرغم من التأييد لحكم محكمة الاستئناف والتطبيل له في الصحافة الإنجليزية والهندية (غير الإسلامية) وأنه في صالح النساء والإنصاف لهنَّ، وكان يعتقد أنه رمز التقدمية الواقعية والحرية، وكان عدد من

---

[١] – وليكن بالبال أن عدد السكان في مدينة رائي بريلي يبلغ مائة ألف وكسراً.

[٢] – صحيفة "قومي آواز" ١٣/فبراير ١٩٨٦م.

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين ـ فضلاً عن غير المسلمين ـ يطبّلون له ويزمّرون، كانت أكثرية السيدات المسلمات المثقفات، تعارض هذا الحكم معارضة علنية صريحة، وتدافع عن الشريعة الإسلامية، وتؤيد هيئة قوانين الأحوال الشخصية، وقد كان فيهن عدد كبير من النساء المثقفات بالثقافة العصرية خرّيجات الجامعات، ومن صاحبات الوجاهة والبيوتات العالية الكبيرة.

وقد عقدت احتفالات وندوات للنساء خصيصاً في مختلف المراكز، وبعث عدد من النساء المثقفات بيانات وتصريحات إلى الصحف اليومية الأردية والإنكليزية ونشرت فيها.

موقف الصحافة الإنكليزية والهندية

المتهور وموجة المعارضة الطاغية:

وقد اتخذت الصحافة الإنكليزية والهندية (التي يسيطر عليها غير المسلمين) في هذه القضية موقفاً شديداً من المعارضة والمجابهة(Tooth and Nail Opposed) التي لعلنا لا نجد لها مثالاً حتى في قضية تقسيم الهند، وفي معارضة الجبهة الإسلامية الموحدة، ونظرت هذه الصحافة والجماعات المتعصبة إلى شدة حساسية المسلمين في هذه القضية، ومطالبتهم الحكومة بالسماح لهم في تنفيذ القانون الشرعي في قضية عائلية فرعية، لم تكن تتأثر بها إلا طائفة قليلة (المطلقات) من طبقة خاصة (النساء) من المسلمين ومحاولتهم لتغيير هذا الحكم، كأن قوة عسكرية خارجية تريد أن تغزو البلاد، أو كأن رجفة تكاد تقع بالأرض، أو كأن بركاناً يتفجّر، أو وباءاً عاماً فتاكاً يوشك أن ينتشر في البلاد، وقد صرح الشيخ الندوي بذلك في نقاش وندوة صحفية عقدت بدلهي في ٤/مايو ١٩٨٦م،

www.abulhasanalinadwi.org

فقد تناسى هؤلاء أصل "الشعور بالنِّسَب الصحيحة" (Sense of Proportion) وجن جنونهم.

وعقدت ندوة بدلهي في المركز العالمي (International Centre) في ٤/مايو ١٩٨٦م تحدث فيها الشيخ الندوي وغيره عن أحاسيسه ومشاعره بهذه الكلمات:

"يبدو أنه دق جرس الخطر الكبير في طول البلاد وعرضها، الجرس الذي لا يدق إلا إذا دهم البلاد غزو خارجي - لا سمح الله - أو وباء فتاك، أو عند انفجار البركان، إنه يخالف أبسط القواعد، ويخالف الشعور بالنسبة الصحيحة (Sense of Proportion) الذي يسير عليه نظام الحياة، إنه ينبغي صرف العناية والتفكير والقوة والصلاحية في قضية حسب نسبتها من الحاجة إلى ذلك، وإن صنع القبة من الحبة ليس من مقتضيات العقل السليم، ولا العقل العملي (Practical Wisdom).

ولقد كان ينبغي للإخوة المواطنين وفضلاء الأكثرية ومثقفيها وصحافييها وقادة مختلف الحركات والجماعات فيها، تقليداً لقيادة الزعيم غاندي الحكيمة، وموقفه الخلقي الأساسي، إذ إنه قام بتأييد المسلمين ورفع صوته معهم في قضية (قضية الخلافة) لم تكن لها علاقة مباشرة بمسلمي الهند، بل كانت صلتها بقضية الخلافة البعيدة عن ساحة الهند آلاف الأميال، وراء البحار التي كان مركزها تركيا.

إنهم إن لم يستطيعوا تأييد المسلمين الصريح في هذا الأمر فليلتزموا بالسكوت والحياد، فإنها قضية لم تكن تؤثر على قوانينهم الشخصية وحياتهم القومية وحقوق طبقة النساء عندهم، فلو فعلوا ذلك لأوجدوا جواً طيباً من الثقة المتبادلة.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كانت طبقة النساء عندهم أحق وأجدر بأن تُصرف إليها العناية، فإن مئات بل آلافاً من العرائس يحرقن أو يقتلن بأسباب غير طبيعية في حوادث مروعة فظيعة، ترجف لها الإنسانية، وتقشعر لها الجلود، لا بشيء إلا أنهن لم يوفين بمطالب أصحاب الجشع والنهامة الماديين من أعضاء أسرة الزوج الخاطب من الأموال والأمتعة والبضائع المطلوبة، ولا يخلو من هذه الحوادث الوحشية يوم، فإنه ـ حسب تصريح الصحافة القومية ـ تحرق عروس جديدة في كل اثنتي عشرة ساعة بدلهي العاصمة وحدها.

ومن المحير للألباب أن الناس والصحافة الإنكليزية والهندية، والتقدميين الذين كانوا أقاموا الدنيا وأقعدوها عند موافقة البرلمان الهندي على المذكرة المتعلقة بالقانون الإسلامي للمطلقات يوم ٦/مايو ١٩٨٦م، واعتبروها ظلماً وتعدياً على حقوق النساء، لم يتظاهروا برد الفعل ضد تقليد "ستي" **(Sati)** (تحريق المرأة بعد وفاة زوجها) الظالم الذي كان يستخفه.

لقاءات مع رئيس الوزراء ومحاولة إفهامه وإقناعه

وقد شعر المسئولون عن الهيئة: رئيسها وأمينها العام ـ مع القيام بهذه السلسلة من الاحتفالات العامة التي لا يوجد له نظير بعد تقسيم الهند، وحركة إرسال الرسائل والبرقيات، وصور القرارات والتوقيعات التي تكفي في عامة الأحوال لإثارة التفكير والبعث على التأمل الجاد في قضية من القضايا في أي حكومة ديمقراطية ـ بضرورة مقابلة رئيس الوزراء راجيف غاندي مباشرة، وإقناعه في هذه القضية، كانت في سلسلة هذه المحاولات تلك المحاولة التي قام بها وفد مكون من نخبة أعضاء الهيئة في ٣٠/يوليه

www.abulhasanalinadwi.org

١٩٨٥م لمقابلة رئيس الوزراء، وقُدّمت إليه مذكرة، كما كانت هناك لقاءات شخصية، أورد الشيخ الندوي بعض تفاصيلها في مسيرة الحياة، فيقول:

"كان يعقد اجتماع للمجلس الإداري للهيئة واللجنة التنفيذية في ٢/فبراير ١٩٨٦م إذ فاجأتني في ٣/فبراير دعوة من رئيس الوزراء، وقيل لي في مكالمة هاتفية إن رئيس الوزراء في انتظاركم فتفضلوا، وكنت قد قررت أن لا أنفرد بمقابلته نظراً إلى خطورة القضية ودقتها، ولأن الشيخ منت الله الرحماني ـ الأمين العام للهيئة ـ يملك اطلاعاً واسعاً عميقاً لتجاربه الطويلة الكثيرة في هذا الميدان، ودراساته الواسعة حول جوانب هذه القضية الفقهية والقانونية".

ويصف الشيخ الندوي هذه الزيارة فيقول:

"فلما حضرت عنده رأيت أن وزير القانون أشوك سين موجود هناك، وكان معالي السيد ضياء الرحمن الأنصاري وزير الحكومة المركزية جالساً في الخارج، ولم يكن معي زاد في هذا الطريق إلا الدعاء والإنابة إلى الله، والتوكل عليه، وأحمد الله تعالى على أنني لم أرد من هذه المحاولات واللقاءات تحقيق أي غرض أو مصلحة شخصية أوسياسية، ولم أكن أطلب جاهاً ولا منصباً وقد شاهدت ـ ولله الفضل والمنة ـ تأثير هذه النية في كل مقابلة.

قلت لدولة راجيف غاندي: سيادة رئيس الوزراء إنه كما يكون للكتابة الطويلة اختزال، كذلك يكون للسياسة أيضاً طريق قصير، وهو أن يراجع في هذه القضية أصحاب الاختصاص فيها، ومن يتبنونها ويخلصون لها، وتفهم عن طريق البحث والمداولة معهم، ويحرص على حلها في أقرب وقت قبل أن تصل هذه القضية إلى أيدي السياسيين المحترفين، فيطولوا طريقها ويعرقلوا سيرها

www.abulhasanalinadwi.org

للمصالح السياسية والشخصية والحزبية، فتورط الحكومة في ما هي في غنى عنه من المعارضات والمشكلات.

ويبدو أن راجيف غاندي أدرك مرامي كلامي، واقتنع بذلك، وعلم أن الذي يتحدث إليه ليس سياسياً محترفاً ولا قائداً داهية.

وكانت مقابلة أخرى مع رئيس الوزراء في ١٧/فبراير، وقد كان يرافقني الشيخ منة الله الرحماني هذه المرة، وكان وزير القانون أشوك سين حاضراً في غرفة الانتظار من قبل، فلما رآني قال لي الوزير: فضيلة الشيخ! (لقد جاءتنا رسائل من بعض القضاة والمحامين المسلمين الفضلاء، يؤيدون حكم محكمة الاستئناف، ولكن مما لا شك فيه أن الأكثرية من المسلمين معكم) وكنت قد حملت معي رسالتي بعنوان: "الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية" باللغة الإنجليزية، وقد جاءت فيها دراسة مقارنة لحقوق النساء في مختلف الديانات في ضوء شواهد التاريخ وأدلته، فألقى المستر أشوك سين نظرة على الرسالة.

وجاء رئيس الوزراء فدعانا بنفسه إلى غرفة المقابلة، وأخرج وزير القانون على طلب منه مذكرة تشتمل على ثلاث صفحات، وبدأ يقرأ منها بنداً بنداً، وانتهى من قراءة هذه الصفحات الثلاث في ساعة وربع، وقد طمأننا وسرَّنا أن رئيس الوزراء يدقق في أمر كل بند ويراجعه الوزير ويوجه إليه أسئلة ويشير بأن يشطب كذا ويكتب كذا، وهكذا شعرنا بعنايته البالغة بهذه المذكرة كما شعرنا أيضاً بأن رئيس الوزراء قد أعدّ نفسه لهذا الموضوع، وكان يسألنا عند قراءة كل بند عن رأينا، ويملي بعد أخذ رأينا والاتفاق معه.

ثم فاجأتنا يوماً دعوة من رئيس الوزراء يطلب ١٧- ١٨ من صفوة أعضاء البرلمان والقادة المسلمين لمقابلته في قاعة من قاعات

www.abulhasanalinadwi.org

البرلمان، وكان السيد سليمان سيت رئيس حزب العصبة الإسلامية (Muslim League) أخبرني بأنه يشار على رئيس الوزراء أن ينظر أولاً في قوانين الأحوال الشخصية في عدد من الأقطار المسلمة قبل تقديم هذه المذكرة والموافقة عليها، هل أحدثوا عندهم تعديلات وتطويرات في قوانين الأحوال الشخصية أم لا؟ فإن كانوا قد تناولوا قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بالتعديل والتغيير فلا بأس بذلك في دولة علمانية كهذه.

وأدركت أنه لو قبل هذا التوجيه طال الأمر، وتعقد وتعرضت القضية للخطر، فألقي في رُوعي شيء، وكان سهماً مصيباً، فلما اجتمعنا عنده، كان راجيف غاندي أمامي، فقلت له: دولة رئيس الوزراء! إنه لو قيل لكم: إن هناك أقطاراً مسلمة تطبق فيها قوانين الأحوال الشخصية، فلنستفسر هل أحدثت حكوماتها تعديلات في قوانين الأحوال الشخصية أولاً؟ فإذا كان الجواب إيجابياً، وتحقق أن هذه الحكومات قد تناولت قانون الأحوال الشخصية بتعديل وتغيير، حسب الظروف ومقتضيات العصر، ساغ لكم تقليدها، وكان الأمر بالنسبة إليكم - وأنتم تقودون بلاداً علمانية أكثرية أهلها لا تدين بالإسلام - أسهل وأهون.

وإنني أرى أنه لا يسوغ لكم أن تقبلوا هذا الاقتراح، فإننا نحن الممثلين للدين الإسلامي، لو رفضنا ذلك مرة لكان عليكم أن ترفضوه أربع مرات، فإنه فيما يتعلق بقيادة البلاد أنتم الجيل الثالث في القيادة، إن الهند لا تقل - بالنسبة للمسلمين - علمياً ودينياً، عن أي بلد عربي أو إسلامي، فلها مكانة مستقلة محترمة، ولا يحسن بي أن أقول عن نفسي، ولكن أصارحكم بأن المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي الذي يضم أكبر نخبة من العلماء والفقهاء

www.abulhasanalinadwi.org

وأصحاب الاختصاص الفقهي في البلاد العربية والأقطار الإسلامية، وأنا عضو فيه من اليوم الأول، قد حدث بعض المرات أن جميع أعضاء المجمع كانوا في جانب، وكنت في جانب آخر، وأخيراً صدرت الموافقة حسب رأيي، وأن في هذا المجلس الذي نحن فيه يوجد من العلماء الأفاضل من لو ذُكر اسمه في جامع الأزهر لأحنى الناس رؤوسهم تأدباً واحتراماً.

وقد كان لهذا الكلام أثر نفسي قوي، وكان سهماً أصاب الهدف، فلم يشر راجيف غاندي بعد ذلك إلى دراسة التطورات والتعديلات التي حدثت في قانون الأحوال الشخصية في بلاد مسلمة كـ"تركيا" و"تونس" و"ليبيا"، وزال الخطر.

وعقد اجتماع في يوم من الأيام بإشارة من رئيس الوزراء بمنزل السيدة نجمة هبة الله، حضره الخاصة من أعضاء البرلمان المسلمين ووزير القانون أشوك سين، ونائب وزير القانون للولاية المستر بردواج، واستعرضنا المشكلات التي قد تنتج عند تنفيذ هذه المذكرة من القانون، وقد أُثير فيها تساؤل وهو أنه لو مات جميع أقرباء المطلقة، ولم يبق من أقربائها من يكفلها، فمن يكون كافلها إذن؟ فقلنا: إنه يمكن في هذه الحالة تحميل هيئات الأوقاف الإسلامية في الولايات مسئوليتها، واقتنعوا بذلك.

وتقدم بعض الأفاضل من أعضاء الهيئة وأعضاء البرلمان من رجال القانون بتعديلات لفظية في هذه الليلة، وقدمت خلاصتها وأجزاؤها الأساسية بعد كتابتها الدقيقة وطبعها على الآلة إلى راجيف غاندي في اليوم التالي، وقلت: إنه ينبغي أن تقدم المذكرة، في ضوء التعديلات حتى تكون أقرب إلى الكمال والإحكام، ويبدو أن السرعة في تقديمها حالت دون ذلك".

www.abulhasanalinadwi.org

تصريحات راجيف غاندي

في الدفاع عن المذكرة وتاييدها:

لقد قال راجيف غاندي في ٢٨/فبراير ١٩٨٦م في البرلمان، وهو يخاطب جلسة لحزبه (حزب المؤتمر الوطني) عقدت للمناقشة والبحث في قضية المذكرة المقدمة إلى البرلمان عن المرأة المسلمة المطلقة، والحفاظ على حقوقها، قال: "إن المذكرة التي قدمت للبرلمان أوسع دائرة وأكثر حفاظاً على حقوق المرأة المسلمة المطلقة، وأكثر فائدة لها ونفعاً".

وأشار رئيس الوزراء في جلسته إلى أهمية القانون المدني الموحد، ولكن صرح أيضاً بأن الحكومة لا تستطيع أن تلزم الناس بهذا القانون، لا سيما في بلاد يعيش فيها أصحاب الديانات والنزعات جنباً لجنب.

وقال راجيف غاندي في مقابلة صحفية مع رئيس تحرير جريدة "تغلق" (Tughlaq) التاملية الصادرة في "مدراس" في يناير ١٩٨٦م، : "إن القانون الإسلامي يعطى ضماناً أكبر من قانوننا الوضعي لحقوق النساء ومصالحهن"، وقال: "إنني علمت بعد مقابلتي للمفكرين المسلمين البارزين ورجال القانون الماهرين، وعلماء المسلمين وتبادل الآراء معهم، أن المرأة في حدود قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين تجد ضماناً كافياً لحقوقها ومصالحها" وقال: "إن المسلمين يشعرون بأن المحاكم تفسر قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين تفسيراً خاطئاً، فلو كانت المحاكم تعبر عنها التعبير الصحيح وتفسرها تفسيراً صحيحاً فلا اعتراض لهم عليها"[١].

---

[١] – صحيفة "الدعوة" الأردية دهلي ٢٥/يناير ١٩٨٦م.

www.abulhasanalinadwi.org

الموافقة على المذكرة في البرلمان

كلما كان الموعد لتقديم المذكرة في البرلمان يقرب، كانت الصحافة الهندية والإنكليزية والجماعات الهندوسية المتعصبة الطائفية، تثير عاصفة من المعارضة الشديدة، وكان يُخيل إلى الناس أن رجفة تُزلزل البلاد، وأنها تواجه كارثة قاصمة، ولكن رئيس الوزراء راجيف غاندي كان قد قرر في نفسه أخذ الموافقة عليها في البرلمان، فقد أعلن في ٢٧/فبراير أن هذه المذكرة لا بد من تقديمها للبرلمان، ولابد من الموافقة عليها، وقد طلعت الصحف الإنكليزية في ٢٨/فبراير بعنوان بارز "إن الحكومة مصممة على إقرار قانون المرأة المسلمة".

وقد أعلن رئيس الوزراء قراره الحازم، ومطالبته الحكومية لجميع أعضاء حزبه بالموافقة على المذكرة، وأن كل من يعارضها يفصل من الحزب، حتى لو غاب أحد الأعضاء عن تلك الجلسة في البرلمان التي يؤخذ القرار فيها بالموافقة عليها فسوف يفصل أيضاً من الحزب.

وقدمت المذكرة في ٥/مايو ١٩٨٦م إلى البرلمان، لقد كانت الليلة بين يومي ٥- ٦/مايو تاريخية عجيبة، فكم من مسلم أحيا ليله بالدعاء والابتهال، وكانت السيدات في البيوت يشتغلن بالدعاء والختمات، فقد كانت القضية قضية كرامة المسلمين، وكانت جواباً لسؤال: هل المسلمون يعيشون في هذه البلاد بحرية العمل بدينهم وشريعتهم، وفي حدود ما أنزل الله من تعاليم وأحكام لا سيما الحياة العائلية الإسلامية - التي هي عبادة برأسها، بل مجموع عبادات كثيرة ووسيلة إلى عبادات كثيرة - وهل لا يزالون يطبقون شرع الله تعالى في تقسيم مواريثهم ومناكحتهم وطلاقهم وغيرها من الأحكام

www.abulhasanalinadwi.org

الشرعية المتعلقة بهم أم لا؟.

ولما قام وزير القانون أشوك سين في الساعة ١٢ و٣٥ دقيقة بعرض هذه المذكرة التاريخية قامت الأحزاب المعارضة بالصخب الشديد، ورُفعت أصوات معارضة شديدة، وبدأت مناقشة حادة عجيبة بين المتحدث الرسمي بالبرلمان وبين المعارضين، وتداولوا أسئلة وأجوبة، ولم تزل الأحزاب المعارضة تثير الاعتراضات البرلمانية ولم يزل المتحدث الرسمي يردُّ عليها، وعلى كل فقد حاولت الأحزاب المعارضة بكل ما أوتيت من قوة، وقف هذه المذكرة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يجابهوا المتحدث، وأعيتهم إجاباته وردوده القوية، وأخيراً جلسوا كارهين، وقدم وزير القانون المستر أشوك سين بين هتافات (شؤم) (شؤم) **(Shame. Shame)** من أعضاء الأحزاب المعارضة، هذه المذكرة للنقاش، وألقى الضوء على ضرورة تقديم المذكرة، وقال: إن الحكومة لا يمكنها أن تتغاضى عن مشاعر أكبر أقلية عائشة في البلاد، وأحاسيسها وعواطفها، وإن هذه المذكرة صيغت على نفس الخطوط التي صيغت عليها قوانين الأحوال الشخصية في أكثر الأقطار المسلمة ماعدا بعض البلاد، وقد كان دفاع المستر أشوك سين عن المذكرة دفاعاً قوياً لبقاً إلا أن أهم شيء أنه ذكر في البرلمان أن عدد المسلمين يبلغ مائة وأربعين مليون نسمة، وقال: "إن الإعراض عن رأي هذه الطائفة العظيمة لا يليق إطلاقاً"، وأذكر أن الإحصاءات الرسمية السابقة كانت تصرخ بأن عدد المسلمين لا يتجاوز مائة أو مائة وعشرة ملايين فحسب.

وبعد مناقشة المذكرة لإحدى عشرة ساعة متواصلة، قُدمت المذكرة للتصويت، ووافقت عليها الأكثرية.

www.abulhasanalinadwi.org

ويكون من قلة الشكر والتقدير لو لم أخص بالذكر هنا من قاموا في هذا الصدد في البرلمان وخارجه بالمحاماة القوية والدفاع اللبق عن القضية، ومثلوا تمثيلاً صحيحاً عن المسلمين، نخص بالذكر منهم السيد ضياء الرحمن الأنصاري من وزراء الحكومة المركزية، والسيد محمود بنات والا من أعضاء البرلمان، فإنهم يستحقون الشكر والتقدير من الأمة الإسلامية الهندية كلها، فقد تظاهر السيد محمود بنات والا بعدم إصراره على مذكرته الخاصة، ومساندته للهيئة بإيثار محمود جليل، وأثبتت السيدة نجمة هبة الله نائبة رئيس مجلس الشيوخ (راجيه سبها سابقاً) والسيد عابدة أحمد حرم السيد فخر الدين علي أحمد رئيس الجمهورية سابقاً، والسيدات المثقفات بالثقافة العالية، حميتهن الدينية، وعنايتهن البالغة بالقضايا الإسلامية، وقد ثبت من ذلك أنه لم تكن هناك طبقة الرجال وحدها تشارك في هذا الجهد، وتبدي عدم طمأنينتها بحكم محكمة الاستئناف، بل النساء المثقفات يقفن معهم في خط الدفاع عن الشريعة الإسلامية، ويتظاهرن برغبتهن الصادقة في القانون الإسلامي، واقتناعهن به، واعتقادهن برجحانه وفضله على سائر القوانين.

وقد سرت موجة من السرور الغامر في المسلمين بسبب الموافقة على هذه المذكرة ورأى المسلمون ذلك برهاناً لوحدتهم وثقتهم بقادتهم ومنهجهم الإيجابي البناء وإبداء آرائهم بحرية، ومحاولات الإفهام والإقناع الناجحة، وظهر معنى الآية الكريمة: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم﴾[١].

---

[١] - الروم: ٥

www.abulhasanalinadwi.org

رسالة شكر إلى راجيف غاندي

يقول الشيخ الندوي:

"رأيت من اللائق أن أوجه رسالة إلى راجيف غاندي لما تمت بيني وبينه من لقاءات في صدد قضية قوانين الأحوال الشخصية، وما أبدى هو في أمرها من اهتمام وملاحظة، وثبات على التأييد والمساندة إلى أن أصدر الحكم لأعضاء حزبه بالموافقة على المذكرة، التي تقدمت بها الهيئة، فأكتب إليه كمسلم يعترف بالحق ويقوم بواجب الشكر والتقدير برسالة شكر، واعتراف، وأشير فيها عليه كمواطن يحب وطنه، وكإنسان واقعي مخلص، وأحد أصحاب الدعوة ورجال العلم، بتوجيهات وآراء مخلصة تتصل بقيادة هذه البلاد وإدراتها، وتقوم عليها سلامة هذه البلاد وأمانها وبقاؤها، والتي تشق له طريقاً فيه سر نجاحه وفضله ورجحانه بين السياسيين الشاطرين والقادة المحنكين والسادة المولعين بالحكم والسلطة واللعبة السياسية، وقد كتبت هذه الرسالة في يناير أو يوليو ١٩٨٦م، ووصلت إليه وقرأها، أثبتها هنا كوثيقة تاريخية، لعلها تنفع المسئولين عن الحكم في كل بلد:

سيادة راجيف غاندي

تحيات و تمنيات طيبة

إنني أريد عن طريق هذه الرسالة مع إبداء عواطف الشكر والتقدير للموافقة على المذكرة المتعلقة بالمرأة المسلمة المطلقة، أن أصرح لكم - استفادة من الصلة والثقة التي تحققت بسبب اللقاءات والاجتماعات بكم - بدراستي واعتقادي بأن طريق قيادة هذه البلاد والحفاظ عليها - في هذه الآونة بالذات - تقتصر على الواقعية،

www.abulhasanalinadwi.org

والاعتراف بالحقائق والحوادث، والتمسك بالأصول والمبادئ، والجرأة الخلقية وسعة النظر ورحابة الصدر، وهي تلك الطريق التي مهدها لنا قادة تحرير هذه البلاد، والرعيل الأول منهم فيها، وأمكن لهم تحرير البلاد عن طريقها.

إن أصح طريق لهذه البلاد التي قدر لها من بدايتها وجود مختلف الديانات والحضارات والمدنيات، واللغات والثقافات فيها، هو طريق الديمقراطية، والعلمانية الصادقة، واحترام كل فرد من سكانها، وإعطاؤه الفرصة الكاملة للمشاركة في رُقي البلاد وعمارتها، وازدهارها بكل حماس وتفان ونشاط، وإن العصبية والعنف، وضيق النظر والعاطفية، وإيقاظ الأحداث النائمة من التاريخ، يعني إيقاظ الأسد النائم الذي لا يرحم أي فرد بعد قيامه.

إن أكبر خطر على هذه البلاد هو نزعة العنف التي ظهرت في الأعوام الأخيرة، لا سيما في الأشهر القريبة، والتي كان القائد غاندي يعارضها معارضة شديدة، ويحس بالخطر البالغ منها، لأن النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكل في الخارج، فإن العصبية والبغضاء الطائفية سوف تتجاوز الطوائف والفرق إلى الأشخاص والطبقات والأسر وعامة الأفراد، ثم لا عاصم للبلاد منها إلا الله.

إنني لا أريد أن آخذ من وقتكم كثيراً، إنه ملك للشعب والبلاد كلها، ولكنني أريد أن أصارحكم بدون كلفة وفي إخلاص: إنني أراكم الآن حاجة هذه البلاد، ولذلك فإني أقول لكم في صراحة: بأن ميزتكم الأساسية التي تستطيعون أن تنتصروا بها في هذا التسابق للقيادة والمؤامرات السياسية على جميع القادة وتملكون بها قلوب السكان، هو إخلاصكم، وصدقكم، وجرأتكم الخلقية، وبساطتكم وواقعيتكم التي أصبحت نادرة غريبة في القادة

www.abulhasanalinadwi.org

السياسيين المحترفين والمتزعمين.

إن الكتب السماوية والتاريخ البشري لتدل على أن العاقبة والنجاح للصدق، وإن الخطب الرنانة، والذكاء الخارق، والمؤامرات الدقيقة مردها إلى البوار والخسران المبين، فمن رأيي المخلص لكم أن تستمروا في السير على هذا الدرب.

إن هذه البلاد - الآن - تواجه أزمة وخطراً يندر نظيره في التاريخ الماضي، وإن أكبر خطر للبلاد في هذه الآونة إنما هو الظلم والعنف والعصبية الطائفية وعدم المساواة، والفوضى الخلقية والإدارية، وحركة إحياء الطائفية البغيضة، فلابد من مجابهتها والاستماتة في سبيل القضاء عليها، وإن الله - تعالى - قد وهبكم الثقة العظيمة وحب الناس لكم في هذه البلاد الواسعة، وخولكم فرصة مواتية قريبة لرئاسة الورزاء، ورئاسة حزب المؤتمر الوطني الحاكم، فأرجو رجاءاً حاراً مخلصاً أن تنتهزوا هذه الفرصة الثمينة، وتنتفعوا بهذه الموهبة وتكتسبوا لأنفسكم مكاناً مغبوطاً في التاريخ، وحباً غير محدود في القلوب والنفوس، وأعانكم الله ووفقكم.

أبوالحسن علي الندوي

خطر القانون المدني المُوحَّد

لقد نجحت الحرب الشعبية الجمهورية ضد حكم محكمة الاستئناف في قضية نقفة المرأة المسلمة المطلقة، ووافق البرلمان على المذكرة التي تقضي على هذا الحكم وتزيل آثاره، وهكذا انتهت جهود هيئة قوانين الأحوال الشخصية بالنجاح.

ولكنه كان نجاحاً جزئياً محدوداً، ولم يزل سيف القانون المدني الوحد مصلتاً على رقاب المسلمين، فلو نفذ ذلك لكانت هذه

www.abulhasanalinadwi.org

المذكرة حبراً على ورق، ولفتحت عشرات الأبواب للتدخل في قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين، لقد وضع في دستور جمهورية الهند بند القانون المدني الموحد (Uniform Civil Code) في صورة بند(٤٤) وهو من البنود الموضوعة كخطوة عريضة هادية (Directive Principals) ونص البند كالتالي:

"ستحاول الحكومة في سائر الهند سنّ قانون مدني موحد لجميع سكان البلاد".

وحينما وضع هذا الدستور اطمأن القادة المسلمون بأن قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين مصونة محفوظة ببنود الحقوق الأساسية (Fundamental Rights) في الدستور، وأن بنود الحقوق الأساسية أولى من بنود الأصول الهادية، ولكن الأنظار البعيدة النظر، كانت تبصر أنه بالنسبة لقوانين الأحوال الشخصية للمسلمين ونظامهم الاجتماعي - الذي يتصل بدينهم اتصالاً وثيقاً - وضعت هناك في سياج الدستور الهندي مادة متفجرة، (Explosive Matter) يمكن بأدنى حركة أو بأثر الرياح الحارة أن تشتعل وتحرق جميع الاحتياطات الدينية والقانونية في الدستور إلى رماد، وأخيراً أدى سير الأحداث الطبيعي ودوافعها وعواملها المتنوعة التي قد تتعلق بعدم الإدراك لموضع القوانين الاجتماعية الإسلامية عند المسلمين وصلتها بدينهم وعواطف المسلمين ونفسيتهم وعقائدهم، وضحالة التفكير وسطحية الرأي وبحركة إحياء الهندوسية (Hindu-Revivalism) وعواطفها الحادة والمصالح السياسية والانتخابية، والحصول على رضا الأكثرية، وارتفع هذا الصوت بقوة وحماس عام ١٩٧٢م أولاً بعد صمت طويل، لبواعث وعوملَ متعددة بتوحيد قوانين الأحوال الشخصية، وإصلاح القوانين المتعلقة منها

www.abulhasanalinadwi.org

بالمسلمين وإجراء التعديلات فيها، ولم يزل يرتفع هذا الصوت في فترات مختلفة، تارة داخل المجالس التشريعية وتارة خارجها، ولكنه لم يجد نفاذاً للمصالح السياسية المختلفة وتخوفاً من سخط الرأي العام في المسلمين الذي كان تأثيره معروفاً على الانتخابات، وأعلنت الحكومة على لسان كبار مسئوليها عدة مرات لا تنوي ذلك، وإنها لا تُعنى بهذه القضية ما دامت الطوائف المتعلقة بالقضية نفسها لا تطالب بذلك، ولكن - رغم ذلك - لم يزل أفراد شُذَّاذ من هذه الطائفة المسلمة نفسها ترفع صوتها بذلك داخل البرلمان وخارجه، وأدركت الأبصار البعيدة النظر أن هذا الصوت الذي يرددونه، ليس صوت ضمائرهم بل إن هم إلا ببغاوات تردد ما تلقنته من مربيها وكفى.

والواقع أن النزاع والعداوة والبغضاء ترجع إلى الأنانية واتباع الأهواء، وجنون حب المال والمادية الطاغية، وإلى الأنظمة والمناهج التعليمية الخاطئة التي أغفلت جانب التربية والأخلاق تماماً، وليست لها أي صلة بقوانين الأحوال الشخصية، وحدتها، أو اختلافها.[1]

ومهما كانت الحقيقة فقد ظهر لنا جلياً أن عقول المشرعين والمسئولين في البلاد ليست صافية محايدة في هذه القضية، وأن هناك شرارة تحت الرماد، قد تشتعل في أي وقت فلا تبقى ولا تذر، والعياذ بالله.

طريق الحفاظ على الحقوق في بلد ديمقراطي:

لا ينبغي لنا أن ننسى أبداً أننا في بلد تعيش فيه أكثرية غير

---

[1] - مقتبس من كلمة الرئاسة للشيخ الندوي لمؤتمر الهيئة ببومباي، الذي عقد في ١٥-١٦/ديسمبر ١٩٨٦م.

www.abulhasanalinadwi.org

مسلمة، وأنه بلد ديمقراطي، وأن المجالس التشريعية تشرع فيها القوانين، فإذا كان هذا البلد جمهورياً فلا شك أن البرلمان يحق له تشريع القوانين، وأن من أصول الديمقراطية أن رأي الأكثرية هو الحاكم، وهو المشرع، ولذلك فإن الخطر دائم بأن تسن فيه قوانين تتصادم مع عقائدنا الأساسية وأحكام شريعتنا وعواطفنا وحاجاتنا ـ ولعل لسوء النية فيها دخلاً أقل من الجهل وعدم الاطلاع.

وينبغي أن لا ننسى أيضاً أن هذا البلد تقوم فيه حركات قوية متحمسة لإحياء العنف **(Aggressive Revivalism)** والاستبداد والدكتاتورية على الأسس الدينية والحضارية واللغوية، فعلينا في مثل هذه البلاد الديمقراطية العلمانية، أن نحافظ على شخصيتنا الدينية والحضارية، بالطرق الدستورية المشروعة، ونثبت أهميتنا ودورنا وفائدة وجودنا كمواطنين أوفياء للبلاد، أصحاب خير وفضل ممن تمس إليهم حاجة البلاد، ونطالب بأنه لا يجوز أن يسن قانون ينافي معتقداتنا، وشريعتنا، وكتابنا السماوي، ونثبت أيضاً أننا نتأذى ونتألم من سن قانون يخالف الشريعة، ويعرض وجودنا كأمة ذات رسالة ودعوة للخطر، أكثر من حرماننا للطعام والشراب.

ومعلوم أن أي حكومة لا تستطيع أن تمنع أي أقلية فيها من الضروريات الأساسية من المأكل والمشرب، ولا تستطيع أي حكومة مهما كانت قوية أن تسن قانوناً يمنع طائفة فلانية من الأغذية أو أن يسمح لها بفتح دكان في السوق، أو أن تغلق أبواب التعليم والتربية على أطفالها، لأنه لو حدث مثل هذا لقامت قيامة الناس، فلابد لنا أن نثبت بأنفسنا عملياً أننا نشعر بهذا القانون أو بهذا النظام التعليمي بالخناق، مثل ما تشعر السمكة لو أخذت من الماء ورميت في البر، ويظهر ذلك من قسمات وجوهنا وتجاعيد

www.abulhasanalinadwi.org

جباهنا، ونظام حياتنا حتى كأننا نتأثر صحياً، وتضعف قامتنا وأعمالنا ونشاطاتنا، وحتى يحس الناس بأن هذا الشعب حزين كئيب يأخذهم هذا القانون الجديد بالخناق وهو بمثابة قتل لأولادهم وجيلهم القادم.

والحق أنه لا مجال في بلد ديمقراطي يملك حق التشريع الدائم المطلق عن طريق الأكثرية - التي تتغير عواطفها وآمالها ومقاصدها دائماً - لأي أقلية أو طائفة، تحمل دينها وشخصيتها وقوانين الأحوال الشخصية المتعلقة بها، وتراها أعز عليها من نفسها وحياتها - أن تعيش قريرة العين، مطمئنة البال، متغافلة عن الأحداث والأوضاع - وأنه يجدر بها أن تضع وصية سيدنا عمرو بن العاص فاتح مصر نصب عينيها ولا تغفل عنها أبداً، وهو قوله رضي الله عنه للعرب الفاتحين لمصر، وقد بدت طلائع تحول مصر إلى بلد عربي مسلم لعقيدته وحضارته حتى لغته وثقافته، ولكن الصحابي الحاكم البعيد النظر لم يطمئن إلى ذلك، وقال لإخوانه المسلمين العرب الذين قرروا بقاءهم في مصر: " أنتم في رباط دائم، لتشوف القلوب إليكم ...الخ"[١].

[١] – مقتبس بتلخيص من "مسيرة الحياة" للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

المسجد البابري وحركة مسقط رأس راما وجهود الشيخ الندوي لحل القضية

انفجر هياج حركة بناء معبد رام في أرجاء الهند كلها في الثمانينات، وتجددت هذه القضية بعد فتح الأقفال على المسجد البابري فور حل قضية المرأة المطلقة المسلمة التي مر ذكرها في الصفحات السابقة، ويعتقد المحللون السياسيون أن موقف الحكومة إزاء هذه القضية كان يهدف إلى إرضاء الأغلبية التي لم تؤيد موقف راجيف غاندي إزاء قضية المرأة المطلقة المسلمة وتعديل القانون لإرضاء المسلين، ولا سيما في ولاية اترابرديش، وهزت البلاد كلها هزاً عنيفاً، وكان يبدو كأن زلزالاً عنيفاً هز المنطقة أو بركاناً انفجر، وانطلقت منظمات الأغلبية المتطرفة كمنظمة "شيوسينا" ومنظمة "وشوهندوبريشد" ومنظمة "آر ايس ايس" بحرية مطلقة، وتنفخ النار، ولم يكن هناك أي رادع في إشعالها لنيران العصبية والكراهية، وإثارتها للعاطفة الدينية السلبية في قلوب رجال الأغلبية في البلاد كلها، وبث كراهية المسلمين بإلقاء الكلمات المثيرة العاطفية، وكانت تروج وتشيع أن مصير هذه البلاد، وعز الشعب الهندوسي يتوقف على هذه القضية.

وبتأثير الخطب النارية والحركات التي تبث كراهية المسلمين

www.abulhasanalinadwi.org

لأنهم رفضوا التنازل عن حقهم في المسجد البابري، حدثت اضطرابات طائفية دامية كان أشدها في بلدة "بهاغلبور" في ولاية بيهار، ولم تتخذ حكومة المؤتمر الوطني التي كان يرأسها راجيف غاندي ضد رجال أجهزة الأمن وضباط الشرطة، والمسئولين عن الإدارة في ولاية "بهار"، وزاد الطين بلة ما أفادت به الأنباء، أن راجيف غاندي رئيس وزراء الهند في ذلك الحين، حينما قام بزيارة ولاية "بهار"، إثر هذه الاضطرابات الطائفية، أمر بإعادة الموظفين المعزولين إلى مناصبهم بدلاً من أن يعاقبهم أو يفصلهم عن العمل، فاضطرب المسلمون في هذه الأوضاع، وازداد سخطهم على الحزب الحاكم[١].

انهزم حزب المؤتمر الوطني الذي كان يقوده راجيف غاندي في الانتخابات العامة التي جرت في الفترة ما بين ٢٤- ٢٦ فبراير سنة ١٩٨٩م، وحل مكانه حزب جنتا الائتلافي، ونجح في تشكيل حكومة تحت زئاسة المستر وي بي سنكه بتأييد من أحزاب مختلفة.

كان هذا التحول في القيادة السياسية مفاجأة، ولم تكن هذه النتائج متوقعة، فكان من الطبيعي أن تكون موضع حذر واهتمام لأصحاب الفكر بصفة عامة، وأهل الوعي والشعور من المسلمين بصفة خاصة، وكانت الظروف الجديدة تؤدي إلى اضطراب نفسي، كما بعثت على الآمال والتطلعات لدى بعض الدوائر، فكان بعضهم يبدي سروره، وبهجته على هذا التغير، وآخرون يبدون اليأس والقنوط، وعلق بعضهم بالحكومة المركزية الجديدة الآمال، وطرأ على الآخرين اليأس، وجعلوا يتشاءمون منها.

يقول الشيخ الندوي في "مسيرة الحياة" وهو يلقي الضوء

---

[١] - مسيرة الحياة.

www.abulhasanalinadwi.org

على هذا الانقلاب السياسي:

"رأيت من واجبي في هذه الظروف العويصة أن تزال الشكوك والأوهام، وتُعد الأذهان لاستقبال العهد الجديد، وتعين جهة العمل للاستفادة من هذا التغير، والاعتبار منه، وأرشد إلى الدرس الذي يجب على الحكومة نفسها، والشعب الهندي أن يتلقاه من تغير الحكومة، وما هو المنهج الصحيح الذي ينبغي للحكومة الجديدة أن تختاره، فكتبت بهذا الصدد مقالاً بعد إعلان نتائج الانتخابات بعدة أيام تحت عنوان: "درس من انتقال الحكم، والمنهج الصالح لقيادة البلاد" وأرسلت هذا المقال إلى الصحف والمجلات المختلفة، ونشرته صحف كثيرة، ثم نقل هذا المقال إلى اللغة الإنجليزية، وسلمته إلى السيد محمد يونس سليم، ليقدمه هو بنفسه إلى "وي بي سنكهـ" رئيس وزراء الهند آنذاك، ويتأكد من أنه قرأه كله في حضوره، وهكذا حدث، فقرأ رئيس الوزراء الجديد هذا المقال كله بين يديه، ووضع العلامات على نقاط هذا المقال المهمة، وتلقيت رسالة منه، يصرح فيها أنه يوافق على أكثر ما جاء في هذا المقال، وسيسعى للعمل به[١].

وكان من تأثير هذا المقال أن المستر "وي بي سنكهـ" بذل الجهد لحل قضية المسجد البابري ومسقظ رأس راما، وأعد مسودة لمرسوم رئاسي حسب النقاط التي ذكرها سماحة الشيخ الندوي، وأجرى عدة لقاءات معه ومع أعضاء هيئة قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية، ولكن لسوء الحظ، ولتدخل بعض الأوساط المعارضة سحب هذا المرسوم بعد صدوره، وبقيت القضية على

---

[١] – نص المقال في مسيرة الحياة

www.abulhasanalinadwi.org

حالها، للموقفين المتطرفين من الجانبين، ولم تنجح جهود الشيخ الندوي في قبول حل متوسط، معتدل للقضية.

وأجرى الشيخ الندوي لقاءات مع القادة الهندوس كـ"شنكر أشارية" مع الشيخ عبد الكريم باريكه بوساطة السيد يونس سليم، وشري كانت حاكمي ولاية "بهار" و"تامل نادو"، وبفضل هذه اللقاءات أعدت خطة معتدلة لحل القضية ترضى الجانبين، وتضمن مصالحهما، ولكن الجهات المتطرفة لم تقبل هذا الحل، وأخيراً حدث ما حدث من هدم المسجد البابري في عام ١٩٩٢م في عهد حكم المستر "نرسمها راؤ".

www.abulhasanalinadwi.org

نصيحة إلى المسلمين
في ظروف البلاد فوق العادة

بجانب إرسال رسالة إلى رئيس الوزراء الجديد ولقاءاته مع القادة الهندوس، وجه سماحته خطاباً إلى المسلمين أيضاً، يرشدهم إلى طريق يكسب لهم النصر، ويمنعهم من اتخاذ موقف متطرف أو رد فعل، فقال في خطابه:

"أما الناحية القانونية والإدارية لقضية المسجد البابري ومسقط رأس راما، فلم يدخر المسئولون عن الهيئات والمنظمات المختلفة وسعاً في بذل المجهودات والمحاولات، لمعالجة هذه القضية المهمة الدقيقة الحساسة، ولم تتخلف هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية عن مساندة هذه المنظمات والهيئات، التي كانت قد أنشئت لصيانة المسجد البابري خاصة، فأصدرت في اجتماعها الذي عقد في ٣/ديسمبر ١٩٩٠م، وكان قد حضره عدد كبير من الخبراء والمحامين والعلماء، وممثلي الجامعات والمدارس والهيئات المختلفة قراراً مفصلاً.

وكذلك لا تزال ترفع الأصوات ضد الاضطرابات الطائفية، ووقائع العنف، والاضطهاد، والاغتيال، والإبادة، وسفك الدماء، وهتك الأعراض، وإحراق المنازل، ونهب الأموال، وعاصفة العصبيات الدينية، والكراهية المتصاعدة، التي لم تشهدها هذه البلاد في تاريخها الطويل.

www.abulhasanalinadwi.org

فبذل ما بذل من المجهودات، وكان لابد من أن تبذل هذه المجهودات للاحتفاظ بالمسجد البابري، ووقايته من أيدي المتطرفين من الهندوس، ولكن في الوقت نفسه، يجب على المسلمين أن يواجهوا هذه الأوضاع الخطيرة، ويصمدوا لها، واثقين بنصر الله، وأن يتخذوا له منهجاً لجلب رحمة الله، وينزل نصره الذي وعده للمؤمنين.

قدم سماحته في بداية هذا الخطاب صورة صادقة لذلك الوضع الذي لم يعرض الشخصية الإسلامية، والنشاطات الدعوية، والأعمال الإصلاحية، وسلامة البلاد وتأمينها، والمساجد والمدارس التي بُنيت على وجه أرضها، وشرف المسلمين وكرامتهم، ومجدهم وعزهم، للخطر فحسب، إنما جعلت الثروة الدينية والثروة العلمية التي تمتد جهودها قروناً طويلة عُرضة للخطر.

ثم أكد على ضرورة مكافحة هذا الوضع ببسالة وبطولة، وجرأة وواقعية، ودعم الصلة بالله تبارك وتعالى، والإنابة إليه، والرجاء منه، وإعادة الثقة والهمة، لأنه قد جلب في كثير من الأحيان نصر الله وتأييده على عكس ما تقوله التخمينات والتقديرات، فتغير الوضع، وتغيب الظلام، وحدثت ثورة بهرت الألباب وغيرت مجرى التاريخ.

ثم قال مستشهداً بالآيات البينات: إن المسلمين ليس من شأنهم اليأس، وإنما يحتاج ذلك إلى اتخاذ خطوات جريئة، وإدخال تغييرات حاسمة في حياتهم، وذكر الأمور الآتية:

١ - أن يدعموا صلتهم بالله، ويتضرعوا إليه، ويستنصروه ويستعضدوه، ويتوكلوا عليه، ويستغفروه، واستشهد في هذا الصدد بالمنهج الذي سلكه النبي

www.abulhasanalinadwi.org

الحديث النبوي الشريف، أنه كان يفزع إلى الصلاة، ويأمر بها، عند الشدائد والنوازل.

٢- أن يتجنبوا المعاصي والذنوب، ويؤدوا ما عليهم من الفرائض، والحقوق، ويتحلوا بشيءٍ من الورع والتُقى، والعفاف والزهد، وقدم في هذا الصدد مقتبساً من رسالة كتبها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى قائد جيش المسلمين يقول فيها:

"إن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة، وأن يكون من شيء من العدو أشد احتراساً منه لنفسه، ومن معه من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونا وننتصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فلو استوينا نحن وهم في المعصية كانوا أفضل منا في القوة والعدد، فإنا لا ننتصر عليهم بحقنا ولا نغلبهم بقوتنا".

٣- أن يؤدوا مسئولياتهم كدعاة وهداة، يقوموا بالتعريف عن الإسلام، وينتهزوا كل ما يُتاح لهم من فرص للدعوة إلى الله، وعرض الإسلام في صورته الأصيلة، وإزالة سوء التفاهم الذي يوجد بينهم وبين الهندوس، ويثير الحقد والكراهية، والسخط والامتعاض فيما بينهم، وذكر في هذه المناسبة تقصير المسلمين في القيام بالدعوة، وأداء الأمانة، وتبليغ الرسالة، وحمل أعباء الخلافة، وبين سماحته في هذا الصدد خبراته وتجاربه الشخصية في هذا المجال، وأشار إلى الكتب التي تساعد على تحقيق هذا الهدف، وتقنع عقول المعاندين بالبراهين والأدلة القاطعة.

٤- واسترعى سماحته الانتباه إلى الاهتمام بأعمال حركة "رسالة الإنسانية" وتوسيع نطاقها، وتعميق جذورها في هذه البلاد

www.abulhasanalinadwi.org

التي يعيش بها المسلمون كأقلية، واعتبارها وسيلة ناجحة ووحيدة لتقريب الأذهان، وإزالة سوء التفاهم، وتهدئة الجو، وتأمين الحياة، وإقرار السلام، وصيانة العز والشرف إلى أبعد حد ممكن.

٥- أن يتصفوا بصفات يتميزون بها عن غيرهم، من الصبر والجلادة، والحلم والأناة، والجود والكرم، والإيثار والتضحية، والعزم واليقين، والبطولة والبسالة، ويتحملوا الآلام والشدائد في سبيل الدين، ويفعلوا ذلك مؤمنين، محتسبين، واثقين بنصر الله وتأييده، ويتمنوا لقاء الله عز وجل، ويحنوا إلى الشهادة، ويشتاقوا إلى الجنة، ويدرسوا لذلك الكتب التي ألفت حول حياة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وعاداتهم ومناهجهم، ومآثرهم وأمجادهم.

٦- أن يهتموا بتعليم أبنائهم تعليماً دينياً، وتربيتهم تربية إسلامية، فيعلموهم العقائد الإسلامية، والأحكام الشرعية، والأخلاق الفاضلة، ويُنَشِّئوا فيهم الثقة بالإسلام، وشموله وكماله، وصلاحيته لإنقاذ البشرية التائهة، وإسعاف من يتعرض للدمار والهلاك، ويهتموا بذلك أكثر من اهتمامهم بطعامهم وشرابهم، وثيابهم، وسكنهم، وصحتهم ومرضهم، لأنهم إذا أغفلوا ذلك، وتغاضوا عنه، ظهرت نتائج وخيمة، وعواقب خطيرة، عميقة الجذور، بعيدة المدى، وواسعة الأطراف، ولا يمكن بدون ذلك أن يبقى النشء الجديد المسلم مسلماً يعتزّ بدينه، ويفتخر بثقافته، ويعتبر الإسلام منقذاً للإنسانية البائسة المنكوبة المضطهدة، لأن المنهج التعليمي، والمقررات الدراسية التي تخضع لها المدارس الحكومية في هذه الأيام، و وسائل الإعلام، والصحافة، والمجتمع، والبيئة، كل ذلك يدعو إلى ارتداد ديني، وثقافي، وذهني، وعقائدي.[١]

---

[١] - مسيرة الحياة، الجزء الثالث ص: ٩٢

www.abulhasanalinadwi.org

جهود الشيخ الندوي لحل القضية في عهد حكم نرسمها راؤ رئيس وزراء الهند

سقطت حكومة المستر وي بي سنكه في مدة أقل من سنة، لصراعات داخلية، وبعد الانتخابات الجديدة تولى المستر "نرسمها راؤ" منصب رئيس وزارء الهند، في يونيو عام ١٩٩١م، وكان المستر "راجيف غاندي" قد اغتيل في عهد الحكومة الانتقالية للمستر جندرا شيكهر الذي تولى منصب رئيس الوزراء بعد استقالة المستر "وي بي سنكه" لعدة شهور، فانتهز سماحته فرصة توليه منصب رئاسة الوزراء، فوجه إليه رسالة مفصلة في أول يوليو سنة ١٩٩١م كعادته مع سائر رؤساء الوزرات.

يقول فيها:

سيادة رئيس وزراء الهند المستر راؤ:

بعد التحية اللائقة، أقدم إليكم التهاني القلبية على تولى هذا المنصب الجليل، وإتاحة هذه الفرصة الغالية لخدمة البلاد، وتأمين سلامتها وتقدمها، نظراً إلى الإمكانات والتطلعات الواسعة لخدمة الإنسانية، وصيانة البلاد التي تناط بكم من قِبل البلاد وشعبها، ولكن اسمحوا لي أن أقول إنكم تتولون هذه المسئولية الكبرى في الظروف التي نزلت فيها البلاد إلى الحضيض، وهي تواجه أوضاعاً لا تواجه إلا

www.abulhasanalinadwi.org

في قرون، وإني أقول لكم (بصفتي رجلاً دينياً) إنكم تحتاجون إلى نصرة الله، وإرشاده، وهو خالق الإنسان، وحبه للإنسان الذي خلقه أكثر من حب الأم الحنون لأولادها، وهو القادر المطلق، وذو القوة المتين، ثم تحتاجون إلى الإخلاص وحب الوطن الصادق والصراحة والقدرة على اتخاذ القرار، والتجربة الواسعة، وتضامن وتعاون المحبين الآخرين للوطن.

وإني أتجرأ في هذه المناسبة الخطيرة، كمؤلف درس فلسفة الأخلاق، والتاريخ، والسياسة دراسة عميقة، وكمحب للوطن، ولا يضمر في قلبه في تقديم هذه الرسالة، وفي إعطاء هذا النصح أي غرض سياسي، أو اقتصادي، أو اجتماعي، أو شخصي، بإقامة اتصالات مع هذه الشخصية الكبيرة في البلاد، وأقدّم إليكم بعض النصائح، وأعرض عليكم بعض الحقائق بإخلاص، وبدون أي غرض، وأرجو أنكم ستوفرون بعض الوقت من أوقاتكم الثمينة لإلقاء نظرة عالية على هذه الملاحظات المتواضعة، وقد آثرت أن أعبر عن تصوراتي ومرئياتي باللغة الأردية، لأني علمت أنكم تحملون ذوقاً عالياً لأدب اللغة الأردية، وتقرؤون وتفهمون هذه اللغة بسهولة تامة، كما أجد نفسي حراً في التعبير في هذه اللغة بطلاقة وبدون تكلف.

إني لا أضيع وقتكم في هذه الفرصة الغالية بذكر قضايا المسلمين أكبر أقليات الهند، والمسائل الفرعية الأخرى، وإنما أركز على ما يتعلق بصالح الهند، بصفة عامة وبأسلوب مبدئي.

إن الأمر الأول وهو المنهج الوحيد الذي يضمن كرامة البلاد وبقاءها، وتقدمها وسلامتها، ويمكنها من أن تلعب دورها المتميز اللائق بها في العالم المعاصر والوضع العالمي الخطير المعقد،

www.abulhasanalinadwi.org

هو المنهج الذي وضعه قادة البلاد العقلاء الأفذاذ، الذين قادوا حركة البلاد بإخلاص، أمثال غاندي، وجراهر لال نهرو، ومولانا أبو الكلام آزاد.

إنه منهج العلمانية الصادقة، الديمقراطية السليمة، والوحدة بين الهندوس والمسلمين، ومهما طال هذا الطريق وأشكل، فهو الطريق، وكل طريق آخر يتخذ ـ وإن تحقق به النجاح المؤقت بصورة طارئة ـ طريق يؤدي إلى دمار البلاد، ويضيع التضحيات الجسيمة التي بذلها هؤلاء القادة في سبيل حرية البلاد، ويعرض البلاد للمشاكل والمسائل المستعصية، التي لا نهاية لها.

إن الشيء الأول الذي أريد أن أصرحه كدارس للديانات، وتاريخ الإنسانية، والفلسفة والأخلاق، وأخشى أن أحداً غيري ينظر في المنظور السياسي سوف لا يقوله، في هذه المناسبة، وهو أن البلاد تواجه خطرين شديدين، ويستحق هذان الخطران عنايتكم الأولى.

أولهما: عنصر الظلم والعنف، والنكران لقيمة حياة الإنسان، وماله، وكرامته، وشرفه مهما كانت طبقته، والذي يتجلى خلال الاضطرابات، فتدمر الأسر والأحياء بكاملها على أساس الفوارق الطبقية، والاعتداء على حياة الإنسان لنفع مالي زهيد، وارتكاب جرائم، وكثرة المظالم، والأمر الأخير والأكثر إحزاناً وعاراً، إحراق العرائس لعدم الاستجابة للطلبات الباهظة في الجهاز، أو قتلهن بالسم والتخلص منهن.

إن الذين يؤمنون بأي دين لا يصعب عليهم أن يفهموا أن الذي خلق هذا الكون، والذي بيده الأمر، والذي يحب مَن خلقه أكثر من حب الأم لأولادها، ولا يرضى بهذا العمل بأي حال من

www.abulhasanalinadwi.org

الأحوال، ولن يحتمل هذا العمل مدة طويلة، وإذا بقيت هذه الجرائم فإن البلاد لن تزدهر، ولن يبقى هذا المجتمع، مهما بُذلت محاولات لبقائه، وصُرفت قدرات لتقدم البلاد.

ولكن الذين لا يؤمنون بالأديان يعرفون هذه الحقيقة التاريخية أن ظلماً وبربرية أقل درجة من هذا الظلم والبربرية كانت سبباً لاندثار إمبراطوريات وحضارات كبرى، كانت ذات قوة وبطش شديد في عصر من العصور، ولا تزل آثارها باقية في كتب التاريخ والأدب، وهو المطالبة من طبقة واحدة بأن تغير نفسها، وتتنازل عن خصائصها الملية، والثقافية، وتوجيه اللوم إليها بصورة دائمة، وإحياء تاريخ نائم، بل ميت يرجع إلى آلاف السنين.

فإن التغيرات التي حدثت قبل قرون، سواء أ كانت حسنة أم كانت سيئة، واحتملها المواطنون الغيارى، والمخلصون المتسامحون قروناً طويلة، إذا أريد إرجاعها إلى العهد السابق، أو بُذلت محاولة لتصحيحها، يعرض البلاد لمسائل ومشاكل جديدة، البلاد في غنى عن مواجهتها، ولا يسعها ذلك، وبهذا الطريق تصرف قدرات البلاد وذكاء الطبقة المثقفة، وإمكانات الحكومة والإدارة في غير محلها، وتحتاج البلاد إلى أن توجه هذه القدرات إلى الأعمال الإعمارية التي تؤمن سلامتها وبقاءها، فيجب أن يملأ هذا التصدع الذي يمكن أن يملأ الآن بجهد بسيط وبمواد قليلة، قبل أن يتسع ويصبح تصدعاً لا تملؤه الأميال.

ويجب أن لا تحول دون هذه المصلحة القومية الأساسية والعامة، مصلحة الانتخابات، أو سخط أي شخص أو جماعة أو إدراة إقليمية، بل يجب أن يكون ذلك فوق جميع المصالح، وفوق جميع الاعتبارات والمنافع المحدودة المؤقتة، وليس ذلك اقتضاء

www.abulhasanalinadwi.org

الأصول والمبادئ، وإنماهو اقتضاء للسياسة العميقة واسعة المدى، والواقعية، وإني اكتفي بهذا القدر ثقة ببصيرتكم الفائقة، وفراستكم المتميزة، وصلاحيتكم التي وهبكم الله إياها لفهم الأمور، ومعرفة الدقائق بالتلميحات، فلا حاجة إلى التصريح والتفصيل.

الشيء الثالث الذي يحتاج إلى عناية عاجلة واهتمام بالغ، ويبعث على القلق، هو الفساد الإداري والخُلقي، الذي تفاقم إلى حد كان سبباً لانهيار دول كبيرة، فأصبحت حديث الماضي، وأثراً بعد عين، فيجب الانتباه إلى هذا الأمر بصورة عاجلة، وتحتاج هذه القضية إلى حركة ساحقة، وهي أهم من جميع المصالح السياسية، ومن الحملة الانتخابية، ويجب أن تكون هذه الحركة غامرة لكل قرية وحي من الأحياء، وسن قوانين صارمة، واتخاذ إجراءات عنيفة، وفرض عقوبات شديدة، تكون فيها عبرة للآخرين، واستخدام وسائل الإعلام، وتنشيط الجهاز الإداري، وحمله إلى اتخاذ كل تدبير لتصحيح الأوضاع.

والأمر الثاني في هذا الصدد، هو أن أي مهادنة أو تهاون إزاء حركة الإحياء الهندوسية "وشوهندوبريشد" و"شيوسينا" و "آرايس ايس" والعناصر الطائفية، والإرهابية، ودعاة العنف، إن كانت تخدم بعض المصالح العاجلة، أو تفيد في تجنب بعض المشاكل، ترادف إغفال الألغام الناسفة والمواد القابلة للانفجار تحت الأرض، فإنها ستنفجر يوماً، وتفجر البلاد كلها، أو تغرقها، وقد كان غاندي يدرك ذلك إدراكاً تاماً، ويعرف أن النزعات الطائفية والإرهاب والعنف والعدوان، إذا أطلق لها العنان، فإنها ستؤدي إلى تقسيم الشعب الهندي إلى عنصرين متحاربين، المسلمين

www.abulhasanalinadwi.org

والهندوس، ثم تتفاقم هذه الخلافات الدينية الفرعية، وتتعدى إلى صراع بين الطبقات والأسر، والعناصر، وتتولد منها العصبيات اللغوية والثقافية والإقليمية ولا ينتهى الأمر بذلك، بل تشتعل هذه النار(التي من طبيعتها أنها إن لم تجد ما تحرقه تأكل نفسها) وتحرق البلاد بكاملها.

إني لا أجد مثالاً لهذه الانتفاضة العدوانية، التي أشاهدها اليوم في تاريخ الهند الطويل، إن خطورة هذا الوضع لا يمكن أن تدرك بالتقارير الرسمية، والإجراءات الإدارية، وتقدم البلاد في الصناعة، والمدنية، وإنما يدرك بإصلاح حياة عامة الناس، والحياة الاجتماعية، ومعالجة ما يتعرض له الناس من متاعب ومضايقات خلال اتصالهم بالدوائر الرسمية، كالمحاكم، والمكاتب الإدارية، وسكة الحديد، والخطوط الجوية، ومخافر البوليس، ومكاتب التلفون، والمستشفيات الرسمية، ومرافق الحياة الأخرى، التي لها صلة بالحكومة، فيعرفون أنه لا يمكن أن تقدم خطوة واحدة بدون الرشوة، ولا يتحقق أي عمل بدون الفلوس، أما بالفلوس فيصبح المستحيل أمراً يسيراً، يمكن بها إطلاق سراح المجرمين، ويمكن بها إدانة الأبرياء، وإحالتهم إلى السجون، ويمكن بها الحصول على أي حكم أو قرار ضد الحق الشرعي، وإحداث الاضطرابات الطائفية، وحتى بيع أسرار الوطن، لا توجد أدوية نقية، ولا أغذية صافية، وأصبحت الرعاية الطبية غالية، والأدوية غير ميسرة، والتسهيلات غير كافية للمرضى، وقد بلغت قسوة القلب غايتها، وأصبح الحجز في سكة الحديد، والخطوط الجوية عسيراً، لا يتيسر إلا بالرشوة، وتخسر الحكومة كل يوم ملايين من الروبيات من أجل الحرص الزائد على كسب المال.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد زالت خشية الله من القلوب، والعاطفة الإنسانية، والولاء للوطن، وإيثار مصلحته، والاحتراس من كل عمل يسيء إليه، وبهذا التدهور الخلقي تتجه البلاد بسرعة فائقة إلى التردي والانحطاط، رغم تقدمها البادي في الصناعة والسياسة والعلاقات الخارجية، وانتشار التعليم، وارتفاع نسبة المتعلمين، وقد عم التذمر في الشعب، ويشيع القلق النفسي فيه، ويزداد التبرم من الحياة، ومن المخزي أن الناس يتذكرون عهد العبودية، عهد حكم الإنجليز، ويتمنون عودة العهد الذي كان فيه النظام الإداري يقظاً ونشيطاً، وكانت القطارات والطائرات تسير في مواعيدها، وكانت المستشفيات تخدم الناس، وتخفف من آلام المرضى، وتريح أنفسهم، وكان الطلبة ينجحون في الامتحان بجهد أنفسهم وكفاءتهم الذاتية، وكانت الوظائف العالية لا ينالها إلا الأكفاء لها، وقد أصبحت هذه الأمور مثل العنقاء في هذا العصر.

إن هذه الأمور الثلاثة تحتاج إلى معالجة عاجلة، واهتمام بالغ، وعلى معالجتها وتصحيح مسارها يمكن أن يقوم نظام مستديم للحكم، وسامحني أن أضيف إلى ذلك، أن هذه المساوئ ترجع إلى حد كبير إلى أسلوب الانتخابات، الذي يسعى فيه المرشحون إلى إرضاء الناخبين بأي حال من الأحوال، والاستجابة لرغباتهم ومطالبهم، مهما كانت نتائجها وملابساتها، ومنح النواب في البرلمان وأعضاء المجالس التشريعية في الولاية تسهيلات وامتيازات، تؤهلهم للتدخل في الشؤون العامة، والعرقلة في نظام العدل وتنفيذ القانون، وقد أصبحت عضوية البرلمان ككوبة سعد، يغير حظ الإنسان ونصيبه.

وفي الختام أريد أن أضيف كرجل متبع للتعاليم الدينية، وكدارس التاريخ البشري، والسياسة العالمية، والقديمة والحديثة،

www.abulhasanalinadwi.org

وكمؤلف باحث، أن التجربة أثبتت أن الإخلاص هو جوهر السياسة الفائزة، وأن صاحب الإخلاص هو الذي ينتصر في آخر الأمر ويفوز، وهو السلاح الذي يسحر القلوب، ويقهر الأعداء ويحوّلهم أصدقاء، ويجعل الأصدقاء أخلاء، ويحقق النصر النهائي، وإن هذا الإخلاص يتجلى في حنان الأم، ومحبة الأنبياء والصالحين ورأفتهم، ومحرري البلدان، والذين يؤثرون غيرهم على أقاربهم في خدمة الوطن، ويفضلون الوطن والشعب على أقاربهم وأسرهم.ويمنحهم الرفعة والسمو الفكري، ولا يُنقِذ هذا البلد المترامي الأطراف، المتعدد الأجناس والمذاهب، في هذا العهد المتأزم، إلا هذا الإخلاص وحسن النية، وإني لا أستغرب ذلك فيكم، بل أنيط بكم آمالي وتطلعاتي، وذلك ما أرجوه منكم، وذلك هو الذي تمسُّ الحاجة إليه.

إن الخلق الإنساني، والوطنية الصادقة تقوم على المجهود للرابطة العامة، الذي يوجه فيه النداء إلى التسامح بين مختلف الطوائف، واحترام الإنسانية والتعايش السلمي، ويجب أن تعم هذه الحركة، وينتشر هذا المجهود بالإضافة إلى المدن الكبرى في المناطق الريفية والقرى، بل في كل بيت، وفي كل منطقة آهلة بالسكان، وأن تجري هذه الحركة بكل حماس، وتُسخر لها جميع الطاقات والوسائل.

لقد بذر الحكام الأجانب بذور الكراهية الطائفية، وبثوا السموم، ونشروا سوء التفاهم، والشكوك والشبهات، بتخطيط دقيق، كما اعترف مؤرخ إنجليزي بقوله: "إن هذا الكتاب التاريخي يشتمل على مواد، لا تلتقي بعدها قلوب المسلمين والهنادك، ولا

www.abulhasanalinadwi.org

تتآلف أبداً"[١]، وقد أضاف إلى هذه المواد ووسعها المؤرخون الذين كانوا يعانون من ضيق الفكر، ولايبالون بالعواطف، والذين وضعوا المناهج الدراسية، وألفوا الكتب فيها، وواصلوا السير في هذا الاتجاه، وكانت النتيجة أن أذهان جيلنا الجديد، والطبقة المثقفة تحمل تصورات خاطئة معادية، بالنسبة لحكام الهند السابقين، بل بالنسبة لأكبر أقلية في البلاد وهم المسلمون.

وقد سرى ذلك السم إلى الحياة والخلق كلياً، فالحاجة الماسة في مثل هذه الأوضاع لأن يُعاد النظر في المنهج التعليمي، ويجري إصلاحه عاجلاً، وأن تُنقى الكتب الدراسية والموضوعات التاريخية من تلك المواد السامة، وبدون ذلك لا يتم إعداد جيل جديد، يحمل ذهناً صافياً تحتاج إليه هذه البلاد.

إن الصحافة الهندية، حتى وسائل الإعلام اختارت موقفاً خالياً من الشعور بالمسئولية، أثناء التعليق على الأحداث أو تغطيتها، أو توزيع الأخبار، فيتأثر ذهن رجلٍ عادي بل ينفعل بها، فتثور عاطفة الثأر والاحتقار والكراهية، بدلاً من أن تثور عواطف التآلف والثقة بين الناس، إنها تجعل من الحبة قبّة، وتقدم صورة جانبية متحيزة للحادث، وما لم يتمّ السيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام، وما لم تؤد هذه الوسائل وظيفتها تأدية صحيحة لا يمكن إزالة التناحر أوالتباعد بين العناصر المختلفة لشعب البلاد، ولا يمكن المكافحة لسوء الظن والشكوك والشبهات السائدة فيها.

إن الإنجليز الذين كانوا يحكمون هذه البلاد من وراء سبعة أبحر، وكانوا لا يستحقون ذلك، ولم يكن أمامهم طريق إلا بث

---

[١] – يشير إلى كتاب في تاريخ الهند بالإنجليزية، ظهر في ذلك الزمان.

www.abulhasanalinadwi.org

الخوف والرعب في النفوس لإقرار حكمهم، وأنشأوا وكالة لهم في صورة الشرطة، التي تساعدهم على إلقاء هذا الخوف والرعب وهيبة الحكومة، ليبقى الشعب في حالة حذر واحتراس، ويتمنى أن يعيش بعافية وكرامة، إنهم أعرضوا عن تربية العاملين في هذه القوة تربية خلقية، بل إنهم علموها على العكس واعتبروا خوف كل إنسان له كرامة وشرف من هذه القوة علامة لنجاح الشرطة.

والآن قد انتقل حكم البلاد إلى أهلها، ويتولى المواطنون نظام الحكم والإدارة، فعليهم أن يوجهوا انتباههم الأول إلى تربية الشرطة خلقية، وان يُحدثوا فيها عاطفة الخدمة والمعاونة، والعطف والترحم، وأن يحولوا الشرطة إلى قوة وطنية تعطف على الإنسان، وتخدم المواطنين بطريق يتأثر به تصور عامة الناس عنها، وتعود الثقة فيها، ويعتبرها كل فرد من أفراد الشعب مسئولة عن سلامته، ويجد فيها روح التعاون والمساعدة عندما يحتاج إليها، فلا يطغى فرد على فرد، ولا يتعدى أحد على أحد، ولا طائفة على طائفة، بل تصبح هذه القوة سداً منيعاً أمام كل نوع من الاعتداء أو الطغيان، بغض النظر عن الطائفة التي ينتمي إليها المعتدى.

وكذلك يجب الاحتراس والتحفظ في كل عمل يعتبره المسلمون تدخلاً في الدين، أو يرادف سحب ما منحه الدستور الهندي من حريات أو ترخيصات، سواء كان ذلك لسن قانون، أو تدخل في الأحوال الشخصية للمسلمين، وقد ثارت في عهد الراحل راجيف غاندي قضية نفقة المراة المسلمة المطلقة، وأصدرت المحكمة العليا حكماً عارضه المسلمون، وقاموا باحتجاج في عموم الهند، لا يوجد له نظير في تاريخ الهند المستقلة (بالنسبة للمسلمين) واتخذ راجيف غاندي موقفاً واقعياً، وتصرف بجرأة خلقية، واتخذ البرلمان

www.abulhasanalinadwi.org

بمجهوده الشخصي قانوناً حسب الشريعة الإسلامية، استجابة لمطالب المسلمين ورغباتهم، وألغى به حكم المحكمة العليا.

وإني أرجو بكل إخلاص وحسن نية وثقة، بأن لا تُقحم الحكومة في المستقبل أيضاً نفسها في أي خطوة تحت ضغط أي فريق متطرف، يُحدث ردّ فعل في المسلمين الذين يحملون حساسية زائدة وغيرة شديدة، بالنسبة لدينهم وقانونهم الشرعي في الهند.

وأخيراً تفضلوا بقبول أخلص التحيات والتقدير والإكرام، والدعوات الطيبة، والتمنيات القلبية المخلصة[١].

المخلص

أبو الحسن علي الحسني الندوي

---

[١] – مسيرة الحياة، الجزء الثالث .

www.abulhasanalinadwi.org

اللقاءات والمراسلات مع رئيس الوزراء وأخيراً هدم المسجد البابري، وعواقبه الوخيمة

كان سماحة الشيخ الندوي ورفاقه من أعضاء هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية البارزين، أوضح في التصريحات الصحفية والبيانات التي أدلى بها لمراسلي وكالات الأنباء، ووسائل الإعلام الأخرى، والمقابلات التي أجريت معه أن المسجد لا يمكن أن يهدم، ولا أن يُنقل من مكانه، بل يبقى مسجداً، ويبقى في مكانه الذي تم بناؤه فيه، ولم يعدل عن هذا الموقف منذ انعقاد الاجتماع لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية في دلهي في ٣/ديسمبر عام ١٩٩٠م لعرض موقف المسلمين إزاء هذه القضية، ودراسة المسألة، ولم يغير أو يعدل من تصريحه لفظاً واحداً.

ولكن لم تُحل هذه المسألة، وتصاعدت التكهنات، وتضاربت الآراء، واتخذت مواقف متطرفة، وتكشفت الشائعات والشبهات، والتهم والمطاعن في بعض الصحف الأردية، وبُذلت مجهودات لإثارة الشكوك في بعض التصرفات والمجهودات، فاقتضت الأحوال أن يعقد اجتماع آخر لهيئة الأحوال الشخصية، ويُصدر إعلان صريح واضح في هذه المسألة، وكانت هناك أمور أخرى تقتضي عقد اجتماع للهيئة العاملة للأحوال الشخصية الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

لاستعراض الأعمال، وبحث بعض المسائل الإصلاحية، والاجتماعية، والقانونية.

فتقرر عقد هذا الاجتماع في لكناؤ، على دعوته في ١١/أغسطس ١٩٩٢م، واتخذت إجراءات لعقد الاجتماع، واختير فندق "جلمرغ" لنزول الضيوف، وعقد الاجتماع، واشترك فيه أربع وعشرون عضواً من أعضاء الهيئة العاملة، وسبعة ضيوف كمدعوين بصفة خاصة، واتخذت عدة قرارات، منها قرار واضح وقوي بالمسجد البابري، أُعيد فيه الموقف الذي عبر عنه القرار، الذي اتخذ في ٢/ديسمبر عام ١٩٩٠م، الذي ينص على المكانة الشرعية للمسجد، وقيل: إن الوضع يتطلب الحذر والاحتراس، وكذلك الفراسة.. من الذي يتحمل المسئولية الرئيسية في البلاد (رئيس الوزراء)؟.

رسالة نرسمها راؤ إليه، ورده على الرسالة:

بينما كانت جلسات اللجنة العاملة لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند تستمر، أبلغه أحد مبعوثي رئيس الوزراء المستر "نرسمها راؤ" رسالته الشخصية في دار الضيافة لندوة العلماء، وقال له: إن رئيس الوزراء كتب هذه الرسالة بنفسه، وكان خط الرسالة واضحاً، والكتابة بلغة أردو الفصيحة، وكانت متقنة، نثبت هنا نص الرسالة. بعد التحية:

"كنت أود أن ألقاك، وأتحدث معك شفهياً، ولكن الذين التقوا بك، أبلغوني أنكم لا تستطيعون السفر إلى دلهي عاجلاً، فأوجه إليكم هذه الرسالة.

إن الرأي الوطني العام يتكوّن، لحل النزاع القائم حول

www.abulhasanalinadwi.org

المسجد البابري، ومسقط رأس راما، بالمفاوضات والتفاهم المُتبادل، كما تعلمون أن هذه المسألة قد صارت معقدة وخطيرة، وحساسة للغاية، ولا يمكن أن يؤدي أي مجهود يبذل لحل هذه المسألة حلاً عادلاً، ومعقولاً، ومقبولاً لدى الجميع، بدون تعاون القادة الدينيين ومشاورتهم إلى أي نتيجة مقنعة.

تأتي في حياة الأمم والشعوب مراحل فيها المسائل المعقدة، المربوطة بالعواطف التي تحمل أهمية قومية، بحسن النية والفراسة، والإخلاص والذكاء، والعاطفة المخلصة، بالارتفاع عن المصالح المؤقتة، والمنافع السياسية والعواطف الجياشة، والاستفزاز، وإني واثق أنكم ستوافقوني على هذا الرأي، وقد بذلتم في السابق مجهوداً مخلصاً إيجابياً لحل هذه المشكلة، وعلى أساس ذلك إني آمل أنكم ستتعاونون وترشدون في هذا الصدد من جديد.

إن النزاع حول المسجد البابري، ومسقط رأس راما، قد ألبست فيه التصورات التاريخية، والقانونية والسياسية، وعُقدت القضية بطريقة يتعذر على فرد واحد حلّها، ولذلك إني مستعد للنظر في أي اقتراح إيجابي معقول، أو نصيحة من أي جهة جاءت، أو من أي دائرة، أو جماعة، أو فرد، بذهن مفتوح، وقلب صاف، وأستلزم لتعاون الجميع.

وليست بُغيتي ورغبتي الشخصية، أن يستقر الأمن، وتسود الثقة، والتسامح الديني في الهند فحسب، وإنما هي مسئولية جميع المواطنين الهنود الخُلقية، والقومية، لمصلحة سلامة البلاد الداخلية، وكرامتها في الخارج.

وسيبرز حلٌّ مقبول ولائق، إذا بحث عنه المخلصون، والمحبون بطريق الاعتدال، وحسن النية، والشعور الاجتماعي،

www.abulhasanalinadwi.org

والتشاور المُتبادل، رغم جميع ما يواجه المسألة من مشاكل وصعوبات.

وكان من الأحرى أن نلتقي لبحث جميع جوانب القضية بالتفصيل، ولكن إذا لم يكن من المستطاع القيام بالسفر إلى دلهي، فأرجو أن ترسلوا إلي رسالة، أو تبلغوني وجهة نظركم عن طريق مبعوث لكم، أو تقدموا مقترحاتكم، أو توضحوا خطة عمل تليق في نظركم، فإن الجميع يعتقدون أنه يجب اتخاذ تدابير لائقة، بدون أي تأخير في هذا الأمر، ولذلك أزعجتكم هذا الإزعاج.

شكراً

المخلص

ب.و. نرسمها راؤ

ورد الشيخ الندوي على رسالة رئيس الوزراء، شرح فيه موقف هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية.

وقال فيه:

"يسعدني أن أفيدكم علماً رداً على رسالتكم، أني كنت بنفسي أتمنى وألمس الحاجة كذلك، لأن أتشرف بالاجتماع بكم، وكنت أود أن تتاح لي فرصة للتحدث معكم خالياً، أتناول فيه القضايا التي لها صلة وثيقة بمصلحة البلاد العامة، لأن هذه البلاد تمر بوضع لا تصادفه البلدان في قرون إلا نادراً، وأحياناً لا يمكن تلافيه، أو يتعذر في بعض الأحوال، وكنت قد بعثت إلى سيادتكم رسالة مفصلة، فور توليكم هذا المنصب الجليل، منصب رئاسة الوزراء، عن طريق أحد الثقات، وعلمت أنكم قد اطلعتم عليها، وأبديتم اهتمامكم بها، ووعدتم بالرد عليها، وإن توليكم هذا المنصب الجليل، منصب قيادة البلاد، في هذه المرحلة الحرجة ليدل

www.abulhasanalinadwi.org

على أن الله تعالى قد أراد بكم تحقيق عمل جليل في خدمة البلاد".

المخلص

أبو الحسن الندوي

١٢/أغسطس ١٩٩٢م

وجه المستر "نرسمها راؤ" رئيس وزراء الهند عدة دعوات للاجتماع به لتبادل وجهات النظر حول قضية المسجد البابري، وجرت هذه اللقاءات، ولكن لم يتم التوصل إلى حل لإصرار المسلمين على الاحتفاظ بالمسجد، وإصرار الجمعيات الهندوسية المتطرفة على هدمه وإنشاء معبد هندوكي محله.

يقول سماحة الشيخ الندوي وهو يصف عواقب فشل هذه المجهودات لحل القضية:

"كان الوقت يمضي، وكانت حكومة "ب.ج.ب. تشن حملة قوية لهدم المسجد البابري، وبناء معبد راما على أنقاضه، تحت إشراف زعمائها وقادتها من المستر لال كرشن إيدواني، واتل بهاري واجبئ، ومرلي منوهر جوشي، وكليان سنكه، الذي كان وقتئذ كبير الوزراء في ولاية أترابراديش، في أرجاء البلاد كلها، وكانت قد اتخذت هذه القضية قضية عز وكرامة للشعب الهندوكي والديانة الهندوكية، والهند الحرة، وقامت بالدعاية عنها دعاية عنيفة، أحرقت البلاد كلها بنيران الحقد والكراهية، والاضطرابات الطائفية، والعصبية الدينية المتصاعدة، وقامت بتعبئة جيش من المتطرفين، كان مستعداً لممارسة هذا العمل الإجرامي الشنيع كأداء واجب ديني".

فكانت النتيجة أن هُدم المسجد البابري بعواطف الكراهية هذه، وهذا الحماس الديني المتصاعد، وهذه القساوة التي لا يوجد

www.abulhasanalinadwi.org

لها نظير في تاريخ هذه البلاد، واتضح من ذلك أن استعدادات للقيام بعملية هدم المسجد كانت تجري منذ أسبوع، وكانت العلاقة بين رجال الشرطة والمتطرفين من الهندوس، علاقة ودّ وإخاء، وكما كانت بين منظمة آر ايس ايس وبين ب. ج. ب. وكانت قد نشرت الصحف والمجلات ما حدث في "أيودهيا" من أعمال الظلم والبربرية، والثأر والانتقام، والإحراق والتدمير، ونهب الأموال، وهتك الأعراض، ولا أريد أن أطيل بسرد هذه الأحداث والوقائع التي تُدمي القلوب، وتدمع العيون، وأكتفي بإيراد بيان كان الشيخ الندوي أدلي به بتلك المناسبة المؤلمة المفزعة، وهو كما يلي:

"إن حادث هدم المسجد البابري القديم، وإزالة وجوده رغم الوعود المؤكدة للحفاظ عليه وحراسته، حادث ألصق وصمة عار على جبين الهند كلها، وقضى على تقاليدها عبر القرون، وإرثها في السماحة، والحرية الدينية، وحب الأمن والسلام، وضيع جهود المكافحين المضحين لاستقلال البلاد وحريتها، وأوقف بلاد الهند أمام الرأي العالمي، وعلى مستوى الشعوب العالمية في موقف الذل والهوان.

وإن المسئولية الأولى لهذا الحادث الفظيع تقع على عاتق الجماعات الطائفية الهندوسية المتطرفة، التي أثارت الجنون الديني الأعمى، باسم بناء معبد راما، ثم تقع على حكومة أترابراديش، التي قامت على هذا الأساس وعلى هذه الوعود، والتي رغم وعودها المتكررة للحفاظ على المسجد البابري، لم تؤد مسئوليتها، وكانت متفرجة محضة على كل ما وقع، بل إنها شجعت هذه الإجراءات العمياء، وإلا لم يكن من المتصور أن يقع هذا الحادث بكل سهولة وحرية في ساعات معدودة.

www.abulhasanalinadwi.org

وللأسف الشديد أضطر إلى أن أقول: إن الحكومة المركزية تقع عليها المسئولية أيضاً، ويحق للمطلعين الواقعيين أن يشتكوا منها، إذ أنها رغم إرسال القوات المركزية لحراسة المسجد، كانت متفرجة من بعيد، لم تتدخل لوقف هذه الإجراءات، ولم تبذل أي جهد، رغم تصريحاتها وبياناتها المتكررة للحفاظ على المسجد.

إن ما لصق بوجه الهند بسبب هذا الحادث من عار، يجب لغسله وإزالته عمل الشيء الكثير، ومن متطلبات الوفاء للبلاد، وحب الوطن، والواقعية، أن تقوم الحكومة - مع بناء المسجد كما وعدت به الحكومة في موضعه نفسه من جديد، وبالسرعة الممكنة، بالحظر الكامل على الجماعات والمنظمات الطائفية المتطرفة المتعصبة، ومحاسبتها ومعاقبتها، وإيقاف نشاطاتها الهدامة، وأن تقام حركة سريعة جريئة وواقعية، لبث روح الوحدة والتضامن في البلاد، والثقة المتبادلة، والحفاظ على أماكن العبادة والواجبات الدينية، والمراكز العلمية، واحترام الإنسانية، وأن تعقد احتفالات عامة أسبوعية وغيرها، وأن تراقب المنشورات والصحافة، وتُستخدم لتحقيق هذا الغرض، وتكون ترجماناً لذلك.

وإن الأضرار البالغة التي لحقت هذه البلاد داخلياً وخارجياً، بجراء هذا الحادث، يجب أن تبذل جهود عظيمة جبارة لإزالتها، كما يجب أن يتم كل ذلك فوق اعتبار المصالح السياسية، والمتطلبات الحزبية، وحب السلطة والبقاء في الحكم، وميول العامة أو العواطف الحادة، بكل إخلاص وحب صادق للوطن، وتكريم للإنسان، وإلا فإن هذه البلاد ستتعرض لشر مستطير، ولا يوجد عندي طريق لوقاية البلاد من هذا الخطر، وإخراجها مما أُحدق بها إلا عن هذا الطريق".

www.abulhasanalinadwi.org

جهود الشيخ الندوي
لتهدئة الأعصاب المتوترة
ومواجهة ردود الفعل لهدم المسجد البابري

يقول الشيخ الندوي:

"نظراً لهذا الوضع الخطير الذي كان يهدد البلاد، شعرت بضرورة توجيه انتباه قادة الدين الهندوكي، والزعماء المعتدلين المنصفين إلى ضرورة الخروج إلى ميدان الكفاح لمواجهة هذه الوضع، وتغيير مجرى الأحداث، فوجهت الدعوة لهذا الغرض إلى صديقي المخلص، والداعي إلى الله، ومفسر القرآن الكريم الشيخ عبد الكريم باريكه، وكلفته بهذا الأمر، فبذل ما في وسعه، ومثل دوره المطلوب، ولكن لم نوفق كلياً مع الأسف الشديد في هذا الأمر، لضآلة الوسائل، وعدم توفر أشخاص يحملون قلوباً مكلومة، وعواطف مشتعلة، يخرجون إلى الميدان مضطرين، بلهفة وشوق.

وبذلت محاولة من جهة أخرى لعقد اجتماعات عامة، وحاولت أن أوجه فيها نداء قلبياً بكل صراحة وجرأة، للإنذار بالخطر، والتأثير على القلوب، وفي هذا الصدد أقدم ملخصاً لكلمتين تعكسان ذلك الوضع، وتصورات مشاعر قلوب الألوف من الناس في ذلك العصر.

www.abulhasanalinadwi.org

كانت الكلمة الأولى قد ألقيت في ٦/يناير ١٩٩٣م، في "قاعة باره دري" (القصر الأميري السابق) أمام حشد عظيم، ونشرت هذه الكلمة بعنوان "أخطر مرض البلاد والمجتمع، الظلم وسفك الدماء" والكلمة الثانية التي ألقيت في ٨/نوفمبر ١٩٩٣م، في مديرية "رائي بريلي"، في الساحة الفسيحة للكلية الرسمية، حضر في ذلك الاجتماع أكثر من ١٥ ألفاً، من مختلف الجاليات ومتبعي الأديان، والعاملين.

الظلم وسفك الدماء أخطر الأمراض

في البلدان والمجتمعات:

أيها السادة! نحن الآن في مدينة لكناؤ، وإني إذ أخاطبكم لا أجد أنسب تمهيد لهذا الخطاب في هذه المدينة، التي تُعرف بشغفها البالغ بالأدب وخاصة بالشعر، مما قاله الشاعر أمير مينائي من شعراء لكناؤ، الذي يعرفه كل من يملك ذوقاً أدبياً، وعلماً تاريخياً، فيقول ما معناه:

"لقد اجتمع المحبون، فهذه أفضل مناسبة لعرض برحاء الشوق وحكاية القلب، لعل مثل هذا الاجتماع للأحبة وأصحاب القلوب لا يتحقق مرة أخرى".

وكذلك أتمثل بهذه المناسبة بما قاله شاعر شبه هذه القارة، والأديب والفيلسوف، المفكر الإسلامي المعروف العلامة محمد إقبال، فيقول ما معناه:

"إن هذا الأنين الذي خرج من قلبي خرج لتهب من منامك، وإلا فإن الحب والغرام عمل لا يستلزم إرسال الدموع، والتعبير عن برحاء الشوق والوجد والعاطفة".

www.abulhasanalinadwi.org

أيها السادة ! أقول لكم ـ اسمحوا لي أن أقول ـ إني رجل عاكف على الدراسة وقضيت عمري كله في القراءة والكتابة، واسترعى اهتمامي خلال هذه الدراسة الطويلة، وشغفني: موضوعان مهمان، أولهما: الأديان والدراسة المقارنة لها، وثانيهما: التاريخ، وهذا التاريخ لا يقتصر على جزء محدود، وإنما هو التاريخ العالمي، وقد استعرضت ثروة واسعة في لغات مختلفة، من العربية، والفارسية، والأردية، والإنجليزية، فيما يتعلق بهذين الموضوعين، وفي ضوء هذه المقارنة توصلت إلى هذه النتيجة.

إن الشيء الذي تتفق عليه جميع الأديان والمذاهب في العالم، هو أن الظلم عاقبته وخيمة، وأن خالق هذا الكون لا يحب الظلم ولا يرضى به، ويدل التاريخ على أن الظلم كان في بعض الأحيان السبب الرئيسي لانهيار المجتمعات، ولاندثار الإمبراطوريات، وانطفاء نورها، والقضاء على ما تكون فيها، من حضارة وثقافة، وما نشأ فيها من ثروة علمية وأدبية، وما خلّد عظماء هذه الإمبراطوريات فيها من أمجاد وآثار، فامّحت هذه الآثار في ساعات قليلة، وطُوي بساط هذه الإمبراطوريات على مرأى ومسمع.

إن التاريخ يحمل شواهد على أن دعوة مظلوم، أو استغاثة امرأة تعرّضت لاعتداء، أدت إلى انقضاء عهد، فإن خير نصيحة للبلدان واقتضاء الحب الصادق، والواقعية، والحق الإنساني الواجب، هو أن يسود الشعور بأن لا يصدر عمل من أعمال الظلم والعدوان، فلا تُداس كرامة رجل ضعيف، ولا يُسمح لمصباح أي بيت أن ينطفئ، وأن لا يتجرأ أحد للاعتداء على امرأة مسكينة، وأن لا ترتفع دعوة مظلوم، (بغض النظر عن تقدم البلاد وتاريخها المجيد، وتوفر الوسائل والذخائر والمواهب في البلاد).

www.abulhasanalinadwi.org

أقول لكم : ما قيمة هذا المبنى الذي اجتمعنا فيه الآن بالنسبة لهذه المدينة، فضلاً عن هذه البلاد المترامية الأطرف؟! ولكن إذا بدأ أحد بالإخلال بالنظام في هذا المكان المحدود، وبدأ أعمال النهب والسلب فيه، وجعل يحطم الكراسي والأثاث، ويلحق الضرر بالجدران، ويعتدي على المستمعين والمستمعات، ويدمر أدوات الزينة والراحة، فلا يحتمل ذلك حرّاس هذا المبنى، فضلاً عن من يملكه.

توجهوا إلى محل الخزاف - ولا أنصحكم بذلك، بل أقول لكم على سبيل المثال - ما هي حقيقة الأدوات والأواني الخزفية، التي يضعها ذلك الخزاف المسكين بالطين والماء، وما قيمة تلك الأواني التي تباع بالفلسين، لكن إذا أراد أحد منكم أن يكسر آنية من الأواني التي صنعها، أو كسر جرة أو إبريقاً أو إناء، فإنه يحاول أن يصون أوانيه بأية طريقة ممكنة، وقد يهاجمك، ويعتدي عليك، أو يقبل عليك سباً أو ضرباً، ولا يدعك تفعل ذلك.

وإذا ذهبت إلى دكان آخر، وبدأت تنهب ما يُجمع في ذلك المكان من المصنوعات والأمتعة، فلا يستطيع صاحب الدكان أن يحتمل ذلك، وإذا كان هناك شخص فيتصدى لك، وقد يجتمع أناس كثيرون في ذلك الحي الذي يقع فيه ذلك الدكان، ويهجمون عليك، ويخرج الناس من بيوتهم لنصرته، ويقولون - وهم يأخذون بحجزك، ويمسكون بيدك - : ما جناية صاحب الدكان، وما ذنبه، ولماذا تسيء إليه، وتُتلف ماله، أو تحرق دكانه، أو تحطم أثاثه؟.

بجوار هذا المبنى الذي أخاطبكم فيه تقع مكتبة عامة، وإني أحمل في نفسي تقديراً كبيراً واحتراماً بالغاً لهذه المكتبة، فقد استفدت منها كثيراً، وتدين كتاباتي ودراساتي لها، ولكن رغم كل

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الاحترام والتقدير أقول لكم: إنه إذا تجرأ أي شخص واقتحم مبنى تلك المكتبة، وبدأ يغير نظامها، ويحطم أثاثها، ويحرق أوراق الكتب فيها، فلا تستطيعون أن تغضوا البصر عن إتلاف هذه الثورة، وتدعوا متلفها يتلف هذه الثروة، ورغم أنها من صُنع الإنسان، ويمكن إعادة كتابتها، وإعادة طبعها عدة مرات.

فهل بقي الإنسان وحده، وبقي إخواننا وحدهم، وبقي الجنس البشري وحده الذي يعمر بلادنا، والذي يقوم به بناء هذه البلاد وعمرانه، والذي يؤهل بلادنا أن توصف بأنها مواطن، وليست بغابة موحشة، أو أجمة من الأجمات، أو دغل من الأدغال التي يتوجه إليها الصيادون للصيد.. فإذا كان أحدٌ لا يُسمَح له بكسر أواني الطين، وبكسر الزجاج، وبتدمير مصنوعات التصدير، فكيف يخطر بالبال أن يُعتدى على الإنسان، الذي خلقه خالق هذا الكون بالحب والحنان، إظهاراً لقدرته وإبداء لصنعه، وشرفه بالإنسانية، ومكّنه في الأرض، وجعله خليفة، فيصبح ذلك الإنسان صيد الإنسان بنفسه، ويُصطاد كما تُصطاد الحيوانات.

وجملة القول: إن جميع الأديان إن اتفقت على شيء، فإنما اتفقت على وخامة الظلم، فإن الظلم يؤدي إلى غضب الله، ويحل على الظالمين عقوبات وآفات، وبلايا ونكسات، لا تتصور ولا تتخيل قبل وقوعها، بل تقشعر الجلود من تصورها، ولا أريد أن أقول ذلك عن بلادي، فإني مواطن لها، وحياتي مرتبطة بها، ولكن لا يسعني إلا أن أقول: إن الظالمين لهم عقاب أليم من الله تعالى، تنزل عليهم الصواعق والآفات، ويتعرضون للزلازل والإعصارات ويُصابون ببلايا أخرى من الغلاء، والجدب، ونقص من الأموال والثمرات، وفشو الأمراض والأوبئة، وما إلى ذلك من

www.abulhasanalinadwi.org

أنواع العذاب، التي لا أريد أن أفصلها.

إني أقول لكم: إن الشيء الذي يجب أن يُخشى منه أكثر من أي شيء، هو الظلم والاعتداء، فإن جميع الأديان، وجميع الثقافات، وجميع المصلحين والصالحين والكهنة.. متفقون على أن الإنسان هو أغلى شيء على وجه هذه الأرض، فإن إنسان كل دين، وإنسان كل بلد، وإنسان كل مجتمع، وإنسان كل كفاءة، وإنسان كل جالية، وإنسان كل عنصر، وإنسان كل طبقة، وإنسان كل مهنة، مهما كان نوعها، كان صالحاً أو غير صالح، كان نافعاً أو غير نافع، هو من صنع الله، وهو عبارة عن رحمته، ولا أستطيع أن أستعمل له كلمة "القطعة الفنية الرائعة" ولكن هل يمكن أن يتصور أي قطعة فنية رائعة أروع من الإنسان؟

وأقول لكم الآن: إن الإنسان يصاب بمرض، ويتعرض لنوبة جنون، وقد يصاب بهذه النوبة فرد، وقد يصاب بها مجتمع، وقد يصاب بها قوم أو أمة، ويدل التاريخ على أن هذه النوبة للجنون أو للمرض، أو نوبة الظلم وسفك الدماء، أو تحقير الإنسان أو تذليله، وقعت، ليس على الأفراد فحسب، بل على المجتمعات وعلى البلدان وعلى العهود، وليس من البدع أن يصاب الإنسان في أي عصر بهذه النوبة، ولا يستغرب ذلك، ولكن الذي يبعث على القلق ويُنذر بالخطر هو فقدان من يعالج هذه النوبة، أو المرض.

فقد ألمت بالحضارة الإنسانية، والجنس البشري نوبات عنيفة، وكان يبدو من هذه الحضارة أو هذا الجنس البشري أنه لن يواصل سيره، ولن يبق وجوده، وأن هذه النوبات هي القاضية، ولكن تصدى رجال من أولي العزم والهمم العالية، وصمدوا في مقاومتهم لهذه الأوضاع، وغيروا مجرى الأحداث، وإني أستطيع

www.abulhasanalinadwi.org

في ضوء مطالعتي للتاريخ أن أقدم أمثلة كثيرة لهذه الفترات الحاسمة، ولكن أكتفي بمثالين:

أ - سار التتار من تركستان على حدود الصين، وزحفوا إلى العالم الخارجي، وكان زحفهم يكتسح بقوة وسعة، وينذر بأن الجنس البشري سيخر أمام هذا الزحف، وأنهم سيجتاحون كل ما يعترض سبيلهم، وكان يبدو أن العالم سيُجبر على إعادة رحلته الحضارية، لأن هذا التيار الجارف سينسف كل شيء نسفاً، ويجعل المنطقة قاعاً صفصفاً، ويصبح كل ما ازدهر من حضارة وعلوم وفنون، منشورة مُبعثرة، فلا تبقى المكتبات ولا المدارس، ولا العقلاء ولا المتعلمون، وبلغ الذعر منهم كل مبلغ، إنهم نهضوا من تركستان.. وكان الأوربيون مذعورين منهم، وفيما يلي بعض التصريحات، التي تُلقي الضوء على هذا الذعر، وهي مقتبسة من كتابات المؤرخين الأوربيين الموثوق بها.

يقول "جبلن"(Giblan) في تاريخه المعروف "تاريخ انحطاط وسقوط روما" (الإمبراطورية الرومية) لما سمع السويديون عن طريق روسيا نبأ الزحف التتاري، طرأ عليهم الذعر والهيبة الشديدة، إلى حد أنهم تركوا الخروج للصيد على سواحل إنجلترا، كما كان من عادتهم.

يقول "جيولس"(Geols) لو تكهن كاهن سياسي في أوائل القرن السادس عن مصير الإنسانية، لتكهن أنه مسألة بضعة قرون فقط، عندما تنتقل أوربا وآسيا بكاملها إلى سلطة المغول.

ويقول "هيرالد ليمب" (Herald Lamb) إن غارات جنكيز خان وتدميره، ألحق بالحضارة صدمة عنيفة، ماتت فيها الحضارة والثقافة في نصف المعمورة، واستأنفت رحلتها من جديد، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

اندثرت مملكة خوارزم وخلافة بغداد، ومملكة روسيا وحكومات بولندا (بولار)، لمدة من الزمن.

لكن ماذا حدث؟ نهض بعض أصحاب القلوب النيرة والصالحين الربانيين، وبذلوا جهودهم والتقوا بهم، وذكروا الله أمامهم، وأنذروهم بغضب الله وسخطه، ولقنوهم بأن يرحموا الإنسان، وكسبوا قلوبهم، بخُلُقهم وروحانيتهم وإخلاصهم، وعاطفتهم الإنسانية، فرقت قلوبهم ولانت كالشمع، ويزخر التاريخ بقصص لا يمكن إحصاؤها في هذا المجال، ومما يدل على استغناء هؤلاء الربانيين عن الكسب المادي، وإخلاصهم، أننا نجد أسماء أكثرهم في كتب التاريخ، باستثناء بعض المشايخ، فإنهم أخفوا أسماءهم... ولكنهم غيروا طبيعة الجيش التتاري بكامله، وحوّلوهم من الوحوش إلى أصحاب الإنسانية، فتغيرت طبائعهم وأذواقهم، وكان منهم المؤلفون ورجال القانون، وصانعو إمبراطوريات كبرى، وأصبحوا من حُماة الحضارة الإنسانية، ووجدت فيهم مؤهلات لقيادة الجنس البشري قروناً.

أيها الإخوة ! ليس بالغريب أن تصاب بلاد أو طائفة، أو تصاب جالية أو مدرسة فكرية، أو مجتمع أو دولة، أو حضارة أو عصر بكامله، بنوبة أو بمرض، أو أن يتعرض لجنون، وقد حدث ذلك مراراً، لكن أخوف ما يُخاف أن لا يوجد في البلاد من يعالج هذه النوبة، ويعيد الإنسان إلى صوابه، ويعيد إليه إنسانيته، ويمنعه من ارتكاب الظلم، ويخوفه من نتائج سفك الدماء، ويجتهد لإيجاد المحبة للإنسان في القلوب، والإخلاص للوطن والوفاء له، والوطنية الصادقة، وهذا ما يجب أن يُخاف منه.

إن الإنسان الذي يدرس فلسفة التاريخ، والذي يحمل

www.abulhasanalinadwi.org

معرفة تعاليم الأديان، والذي قام بمطالعة الكتب السماوية، والذي قرأ وطالع أقوال الحكماء والصالحين الروحانيين، يعرف أن هذه النوبات تصيب الإنسان أحياناً.. فأحياناً تصيبه نوبة حب المال، وأحياناً تصيبه نوبة حُب الشهوات، وأحياناً تصيبه نوبة كراهية الإنسان، ويوجد فيه نفور منه، فلا ينظر إليه، ويصاب بنوبة الاستمتاع بالظلم، ويجد اللذة في الظلم، التي لا يجدها في التفرج والنزهة الطبيعية، ولا في سماع أغنية أو لحن جميل.

وقد تنحط الإنسانية إلى هذا الحضيض، إلى هذا الدرك، الدرك الأسفل من الذلة والهوان، ولكن الإنسان يصاب بهذه الأمراض، وأصيب بها في الماضي مراراً، بل ألف مرة، وسُجلت في كتب التاريخ وقائع استبداد قوم بقوم، ودولة بدولة، ووقائع الاستعباد والتفنن في الظلم، ووقائع المجازر البشرية، ولكن هذه الوقائع كلها ذهبت في مجاهل التاريخ، ولا يوجد لها ذكر أو أثر إلا في بطون كتب التاريخ القديمة، ولا يعثر عليها أحد إلا بعد بحث دقيق.

وقد كان يبدو في عهد وقوعها أن هذه الأمراض لا يمكن معالجتها، وأنها مظهر لعذاب الله تعالى، وأن المجتمع الذي أصيب بها، والمنطقة التي وقعت فيها، سوف لا يبقى لها أثر، ولن تعود إليها كرامة.. وأن أطفال ذلك الجيل الجديد لا يقدرون على أن يقرؤوا، وأن نساءها سوف لا يسمح لهن بالعيش بكرامة، لكن تغير مجرى الرياح فجأة، وهبت نفحات الربيع، وحدثت عاطفة التضحية، والفداء، فلم يعبأ العاملون بأنفسهم، ولا بكرامتهم ولا بمناصبهم، ولا بصحتهم، ولا بحياتهم في سبيل معالجة هذا الوضع، وانقشعت سحب الخوف والذعر، وزال الضباب الذي كان قد طرأ على عقل الإنسان وتراكم، فأصبح الإنسان الذي كان

www.abulhasanalinadwi.org

يجد اللذة في سفك دم الإنسان، حامياً له، بفضل هذه التضحيات، وتحول من كان قاطعاً للطريق، ومن كان معتدياً على الإنسان، إلى حارس له ومدافع عنه.

حضرات السادة ! إن ما يمر به بلدنا في هذا الوقت إنما هو نوع من نوبة الجنون، نوبة العاطفية الزائدة، والعصبية الدينية، والاستغلال السياسي، والنوبات تكون مؤقتة، وستنقضي هذه النوبة، ولكن تحتاج هذه النوبة إلى مجهود يقوم به المحبون للبلاد والإنسانية، والذين يتركون بيوتهم، ويهجرون راحتهم، ولا يبالون بما يصادفهم في هذا السبيل، من مصائب وأذى، يبذلون جهودهم أفراداً وجماعات، يقومون بتعبئة الرأي العام باسم البلاد وباسم الإنسانية، وباسم العقل والعدل، وباسم خوف الخالق ومعرفته، ويوجهون إلى الناس النداء لأن يهدئوا أعصابهم، ويُقبلوا على أعمال البناء، وتطوير البلاد، يحملون الشمع لإنارة الطريق، ويجتهدون لإعادة الكرامة للبلاد، وإصلاح أوضاعها ورفع شأنها.

وقلت: إن هناك ثلاثة أركان يقوم عليها أمن البلاد، وهي التعليم، والشرطة، والصحافة، وهناك ثلاثة أمور أيضاً، وجه زعماء هذه البلاد الذين قادوا حركة التحرير، وكان في مقدمتهم غاندي ومولانا أبو الكلام آزاد، اهتمامهم الخاص إليها، واعتنوا بها، ووضعوا على أساسها صرح الهند الحرة، لتبقى البلاد في جو من الأمن والرفاهية، وتبقى موطناً للمحبة.

الأول: العلمانية

الثاني: الديمقراطية

الثالث: اللاعنف

هذه الأمور الأساسية التي يجب الاحتفاظ بها، فإذا سقط

www.abulhasanalinadwi.org

أي عمود من هذه الأعمدة الثلاثة، تزحزح أمن البلاد، فإن هذه البلاد هي موطن أتباع أديان مختلفة، منها الهندوس، والمسلمون، والجينيون، والبوذيون، والسيخ، والمسيحيون، وقد ظلت هذه البلاد موطناً للتسامح والتعايش، ولن تبقى متحدة إلا بفضل هذه المثل الثلاثة.

ب – الاستقلال الحقيقي للبلاد وجدواه:[1]

أيها السادة ! وأهالي هذه المديرية! مديرية رائي بريلي: وطني الصغير، وسكان الوطن الأكبر: الهند، إني أقول لكم بصراحة وبأدنى احتشام: إنه من بواعث الفخر أن هذا الجمع الحاشد قد اجتمع في هذا المكان في هذه البلدة الصغيرة، بنداء واحد، بل بنداء متواضع، إنه لمن بواعث فخري واعتزازي بدون شك، وإنه يليق بهذا المكان التاريخي الذي درست تاريخه، وألفت في تاريخه، فإن بلدة رائي بريلي معروفة بتاريخها المجيد، وشخصياتها الفذة ..إنكم إذا ذكرتم اسمها في تركيا وأفغانستان، وفي أوربا وأمريكا، وفي البلدان العربية، وفي الأوساط العلمية التي لها معرفة بالحركات الإصلاحية، وحركات تحرير البلدان، ويدرسون هذا الموضوع ويكتبون فيه - تجدونهم على معرفة برائي بريلي، بل تجدونهم يكرمونها، ويقدرونها، ويُبدون احترامهم لكم لانتمائكم إليها.

لماذا؟ إن هذه البلدة ليست من مدن الهند الكبرى، ولا توجد فيها آثار تاريخية، ولا آثار سياحية، ولا آثار عملية معروفة، فإن هذه السمعة والشهرة التي كسبتها هذه البلدة ترجع إلى وجود شخصيات فذة استوطنتها، الشخصيات التي كانت رائدة حركة

---

[1] – كلمة ألقيت في اجتماع حاشد في رائي بريلي

www.abulhasanalinadwi.org

تحرير البلاد، بل انطلقت حركة تحرير الهند بجهودها، ويمتاز من بين هذه الشخصيات، شخصية الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله، الذي وُلد هنا على بعد من مرمى نبل من هذا المكان، إنه هو الذي أرشد إلى الكفاح، لإجلاء الإنجليز من الهند، وأعد جماعة متحلية بالخلق النبيل، والسيرة المثالية، وخشية الله، وحب الإنسان، وعلو الهمة، وبُعد النظر، والبصيرة والفراسة الإيمانية، والفداء والتضحية، التي لا يوجد له نظير في التاريخ القريب، وفي مناطق شاسعة، وقد نادى لهذا الكفاح وُلاة الهند، وأمراء إماراتها وأعيانها ووجوهها، وأصحاب النفوذ فيها، وحاول إثارة حفيظتهم وغيرتهم، وولاءهم للوطن، وبعث فيهم الشعور بالخوف من هؤلاء الغزاة الأجانب، والصمود في وجههم، وإليكم بعض مقتطفات الرسائل التي وُجهها.

كتب إلى راجه هندو راؤ (والي إمارة جواليار) رسالة يقول فيها:

"إنكم تعرفون جيداً أن هؤلاء الأجانب القادمين من وراء البحار،[1] عباد الدنيا والتجار، ملكوا زمام الأمور، وداسوا كرامة النبلاء، والحكام، وانتهكوا حُرماتهم، وإن الذين كانوا فرسان الحكم والسياسة صاروا مقعدين، مكتوفي الأيدي، ولذلك نهض بعض الفقراء والبائسين، وشمروا عن ساقهم مجبرين للوقوف في وجه هذا الوضع".

وكتب رسالة إلى غلام حيدر خان (أحد المسئولين في إمارة جواليار):

---

[1] – المراد بهم الإنجليز، الذين سلطوا أنفسهم في ستار شركة الهند الشرقية، وتدخلوا في سياسة البلاد.

www.abulhasanalinadwi.org

"لقد انتقل جزء كبير من بلادنا الهند إلى حكم الأجانب، الذي عاثوا في البلاد، وساموا أهلها ظلماً وبطشاً، واندثر حُكام الهند، ولا يطيق أحد منهم التصدى لهم، بل خضعوا لهم وانقادوا، وقبلوا سيادتهم، وحيث أن الذين كانوا أصحاب قوة ونفوذ، قد فترت همتهم، وانخذلوا وتخلوا عن مُنازَلتهم، وتولوا زمام القيادة بعض الضعفاء، الذين لا شأن لهم ولا طاقة لهم".

إن الحرب لتحرير البلاد التي بدأت عام ١٨٥٧م، ضد سلطة الإنجليز خوفاً من أن يلتهم الإنجليز البلاد بكاملها، وتخضع الهند بأسرها لعبوديتهم، والتي ساهم فيها عامة الشعب الهندي، ووصفها الإنجليز والمقلدون لهم بالغدر **(Mustry)** ولا يزال هذا التعبير يستخدم .. إن هذه الحروب كانت كما وصف الكاتب البريطاني المعروف السر ويلم هنتر **(Willeam Hunter)** اشتعلت بالشرارة التي لم تخمد بعدُ، لحركة جهاد السيد أحمد الشهيد، يقول:

"كانت شرارة حركة جهاد السيد أحمد تعمل في ثورة عام ١٨٥٧م[١]، كسبت حركة تحرير الهند سمعة طيبة، ونال قادتها وزعماؤها بإخلاصهم وبصيرتهم النافذة احتراماً وتقديراً واعترافاً من العالم الخارجي، وكان منهجهم وخطة عملهم مثالاً للعالم، الذي كان يرضخ تحت نير العبودية، ويكافح للاستقلال، فإن هذه الحرب عرضت على العالم المعاصر أسوة جميلة للوحدة بين صفوف الهندوس والمسلمين، وعدم الموالاة للأجانب، وتقديم التضحيات، وعرض النفس للاعتقال، وتعمير السجون بالمناضلين

---

[١] - اندَين مسلمان (Andian Musalman)

www.abulhasanalinadwi.org

طوعياً، فذاع صيت الهند، واقتدت بها بلدان كثيرة في العالم، كانت تكافح الاستعمار وتحاول للحرية، والاستقلال، واهتدت بمثلها، ولا تزال الهند موضع كرامة وافتخار لدى كثير من الدول الآسيوية، والشرقية، ويُنظر إلى أبطال حرب تحرير الهند بالإجلال والتقدير البالغين.

كان من حق هذه النعمة لحرية البلاد، والمنهج الذي اختير لتحقيقها، أن يحافظ عليها، ويحتفظ بها ويقتدي بها، بأي حال من الأحوال مهما كلّف ذلك من ثمن، واقتضى ذلك من تضحية، وأن تحتفظ بكرامتها، وعز سلامتها، وأن يعبر عن الشكر والفخر والمباهاة، وتُبدي عواطف الامتنان عليها، وأن تقشعر جلودنا بتذكر عهد العبودية، وتثور فينا عاطفة الكراهية والاحتقار والنفور، والتقزز منه، ولا نتصور بأي حال من الأحوال، بل نشمئز كل الاشمئزاز بتصور عودة ذلك العهد المهين، ولا يخطر ببال أحد، بل يجب أن لا يحتمل أحد التخيل، بأن يفضل ذلك العهد على عهد الحرية التي نحن نسعد بها.

ولكني أقول بكل معذرة، وأشعر كأن كبدي يتصدع بذلك، وأقول وأتجرع المرارة، إن الوضع الذي تمر به البلاد اليوم وخاصة بعد السادس من ديسمبر، وإن المعاملة القاسية التي يتعرض لها بعض المواطنين، والإخوة الوطنيون في عدد من المدن الكبرى، وإن الوحشية والبربرية التي سفكت بها دماء ألوف من الأبرياء، ونُهبت أموالهم، وممتلكاتهم، وانتُهكت أعراض النساء، وقتل الأولاد والأطفال، كما تكسر الأواني الخزفية، ونهبت ثروات تقدر بالملايين، ودُمرت، وساد جو الوحشية، والخوف والذعر، كما يسود في حالة الحرب وفي القتال، وعم هذا الجو أسابيع في المدن

www.abulhasanalinadwi.org

الراقية والأماكن الصناعية، إن كل ذلك أوقف البلاد في مرحلة أعادت ذاكرة الكثيرين من المواطنين إلى عهد العبودية، وذكروا ذلك العهد باستحسان، وفضلوه على هذا العهد، بل تمنوا عودة ذلك العهد، الذي كان الأمن يسود البلاد بكاملها، وكانت أعراض الناس وممتلكاتهم مصونة من عبث العابثين، وكان الأطفال في نجوة من أن يمسهم سوء، أو ينظر إليهم أحد شزراً، رغم جميع المساوئ والشرور التي عُرف بها ذلك العهد.

لا شك في أن الإنجليز لم يكن لهم أي حق أن يحكموا هذه البلاد من وراء سبعة أبحر، إنه كان ـ ولا شك فيه ـ حكماً أجنبياً، كان يمتص موارد البلاد، وينقل ثرواتها إلى بلاده، ولكن الشعب بوجه عام كان يشعر بأن حياته مأمونة ولا حاجة إلى الخوف من الشرطة والجيش، فإن رجالها مرتزقة، وعبيد لحكم أجنبي، ولم يكونوا متحيزين إلى أتباع دينهم، ولا أفراد طائفتهم، وجاليتهم، ولا كانوا يرجحون على غيرهم، وإنما كانوا يعتبرون إقرار الأمن والنظام مسؤوليتهم الأولى، ولا يمكن أن يقال أكثر من ذلك في صالح ذلك العهد، وفي صالح حُكام ذلك العهد، لأنه يتنافى مع غيرة الوطن، وصوت الضمير، وكل ما قيل قيل جبراً وقهراً، وقسراً في شدة الانفعال بالأحداث المؤلمة.

وأكثر من ذلك كانت الأمم المختلفة، والأديان المختلفة، حرة في العيش حسب تعاليم أديانها وثقافتها، وحرة في نقل تراثها إلى الأجيال القادمة، وكانت حُرة في إنشاء مدارسها، ومعاهدها التعليمية، وتعليم لغاتها، فلم يكن أحد يسعى لفرض ميثالوجية غيره، وكانت المقررات الدراسية الإنجليزية تشتمل على قصص الحيوانات والكلاب والقطط، وحكايات خُرافية، وصور لها،

www.abulhasanalinadwi.org

وقصص أبطال العالم وتراجمهم، ولكنها لم تكن تشتمل على موادّ التبشير، أو قصص عيسى عليه السلام، وعقيدة التثليث، والصلب، أو الدعوة إليها، فالذين كانوا يعتزون بدينهم، لم يكونوا يواجهون أي صعوبة في مناهج التعليم، ولم يقلقهم مصير أولادهم، وأن الخوف الوحيد الذي كان يساورهم هو التغريب والأفكار الغربية، وحرية العقيدة، والفساد الخلقي[١].

ولكن الوضع اليوم قد تغير كلياً، فقد أعلنت بعض الأحزاب نواياها وبرامجها التعليمية والتربوية بكل صراحة ووضوح، وأعلنت أن اللغة الهندية هي اللغة الوطنية وحدها، وأن ميثالوجية ديانة واحدة ستدخل في المناهج الدراسية، وسيُدرس تصور خاص للتاريخ، وسوف لا يُسمح لمدارس ومعاهد حُرة لا تتقيد بهذه السياسة بالبقاء، وغير ذلك من أمور أخرى.

أيها السادة ! إني أقول لكم بكل معذرة، وأستميحكم العذر في هذا القول: إن الذين يعتزون بدينهم، ويعتزون بكرامتهم، وعائلاتهم ومُقدساتهم، وأكثر من ذلك، إن الذين يتوقون إلى إقرار الأمن وسيادة النظام في هذا البلد لتستمر فيه أعمال الإصلاح، والتعليم، والتأليف، والنشاطات الأدبية والفنية بهدوء، وطمأنينة، وفوق ذلك إن الذين يعتزون بمعابدهم، ومدارسهم ومكتباتهم قد بدأوا يذكرون ذلك العصر (مهما كان ذلك العصر غير طبيعي) العصر الذي كانت فيه جميع هذه المؤسسات والنشاطات مأمونة، وكان التدخُل فيها محظوراً.

---

[١] – يجدر بالذكر هنا ما قاله لسان العصر، الشاعر أكبر إله آبادي والعلامة إقبال، وما بذله العلماء والمصلحون، من جهود لإصلاح الآثار السيئة التي كانت تترتب من نظام التعليم، وظهرت نتائجها المرتقبة.

www.abulhasanalinadwi.org

وأنتهز هذه الفرصة لأقول لكم، إني قلت للمسز إنديرا غاندي في عهد رئاستها للوزراء في أيام الطوارئ، وقد تعرضت فيها بعض الأقليات في بعض الأماكن لإجراءات قاهرة، وواجهت صعوبات واعتداءات، قلت لها: إنه لمن المخزي للغاية، أن يذكر الشعب عهد الإنجليز، الذي كان عهد الرق والعبودية، وإني أقول لكم بثقة تامة، إن زعماء حركة حرية بلادنا، لو كانوا قدروا ذلك، أو لو خطر على بال أحد منهم، أنه سيأتي يوم بعد حرية البلاد واستقلالها، يذكر فيه الناس العهد البائد، عهد الحكم الأجنبي، لاستبداد حُكّامهم وقهرهم وبطشهم، وسوء سياستهم، لما كانوا متحمسين في نضالهم ذلك التحمس الذي ناضلوا به، ولفترت همتهم، ولخف حماسهم، ولأصيبت إرادتهم وعزمهم بصدمة عنيفة، ولخلت جهودهم وجهادهم من الحماس والعاطفة التي انطلقوا بها، ولم تكن هذه الحرب للاستقلال لتنجح بهذه السهولة التي نجحت بها، ولما تحقق ذلك الانتصار على القوى الأجنبية الذي تحقق، ولما وصلت إلى تلك الغاية التي وصلت إليها، بهذا المنهج السليم الذي كسب سمعة طيبة للبلاد.

ما قيمة الحياة وما لذتها في عصر لا يستطيع الإنسان فيه أن يشعر بالغبطة والبهجة برؤية أولاده وأحفاده، ولا يطمئن فيه بمشاهدة مدارسه، وثروته العلمية، ولا يجد في نفسه الإحساس بالعزة والكرامة، والمفاخرة بجهوده، وبنتائج ذكائه وكفاءته، بل لا يجد في نفسه عاطفة الثقة والطمأنينة، وتساوره الشكوك والشبهات، ويصيبه التردد، ويعاني من القلق في مستقبله فردياً واجتماعياً.

ما قيمة الحياة، وما متعتها، إذاً؟، فكيف يستطيع مواطن في مثل هذا البلد أن يعتبر نفسه مواطناً حراً، وكيف يتحمس وينشط

www.abulhasanalinadwi.org

في أعمال البناء والتقدم لذلك البلد، ويساهم فيها؟ إن الضمير البشري في التاريخ الإنساني كله ينادي ويصيح، إنه لا شيء أخزى وأذل من العبودية، ولا قدر الله أن تكون هناك محكمة تطالبني بتقديم بينة على هذه الدعوى، ولكن يمكن أن يقدم مئات من الناس الذين يفكرون مثل هذا التفكير، وإن كانوا لا يصرحون به، وإنما يتكلمون في دورهم مع ذويهم، ولا يقل عددهم.

لا مبرر لأي طائفة أو جالية، مهما كانت نسبتها في السكان، ودورها في الاقتصاد، وثروتها التي تملكها في بلد حر، حصل على حريته بتعاون جميع العناصر، والشعوب والطوائف، ومساعيها وتضحياتها، وتحررت البلاد بقيادتها، لا مبرر لها أن تفرض ثقافتها، وعقائدها، وتعاليم ميثالوجيتها على غيرها، وتتمتع بحرية الدعوة إليها، ونقلها إلى أجيالها القادمة، وأن تكون حرة في ترويج ثقافتها ولغتها وخطّها والاحتفاظ بها، وتُحرم هذه الحرية جالية أخرى، ورجال ديانة أخرى، وإن كان عددهم يزيد عن عدد سكان بلد آخر يتبع ديانتها، ولا تتمتع بحرية تعليم أولادها حسب دينها وتصورها، وترويج لغتها ورسمها والاحتفاظ بها، ومواصلة ثقافتها، وتقاليدها وأعرافها، وتُفرض عليها قيود جديدة كل يوم، وتُجبر على الشعور بأنها حُرة في المشي والتنقل، والأكل، والكسب، لكنها مستعبدة في اللغة والثقافة والتعليم والتربية، ومقيدة، ويعلم أهل العلم والفكر أن تغيير الخط ذاته يقطع صلة الأمة بكاملها بتراثها العلمي، وثقافتها الخاصة، وتنقطع بذلك صلتها بماضيها، ولذلك كتب المؤرخ الفيلسوف أرنولد توينبي (Arnold Toyanbe) أنه لا حاجة إلى إحراق مكتبة أو ثروة علمية وثقافية الآن، وتدميرها، فإن تغيير الخط يكفي لمحو ذلك

www.abulhasanalinadwi.org

التراث، وتنقطع بذلك صلة تلك البلاد بماضيها كلياً.

وأختم هذا الكلام بالتعبير عن هذه الحقيقة بأن تلك الحرية التي تُظِلّ جزءاً من البلد، ويحرم جزء آخر من ظلها، وتتمتع طائفة واحدة فيها بربيع الحرية، وتورق حدائقها، وتثمر، ويسود الخريف أماكن أخرى، وتوضع فيها أغلال وأطواق من القيود العلمية، والذهنية، والتعليمية، والتربوية والدينية، وتعرض عقبات جديدة، ليست تلك الحرية بالمعنى الصحيح، وقد قال في هذا المعنى شاعر أردي معروف، وأختم به هذا الكلام:

"ليست الحديقة حديقة يتمتع بعض أجزائها بالربيع، وتحرم أجزاء منها، إنه لإهانة إلى سماحة ساقي هذه الخمارة، أن ينعم أحد بالكأس ويخزى غيره، إنه لمن إخلاص وهمة أهل البستان، أن يعود العود إلى إيراقه".

بالإضافة إلى عقد اجتماعات عامة لتهدئة الأعصاب المتوترة وإعادة الأمن والسلام لم يدع سماحة الشيخ الندوي أي فرصة للقاء رئيس الوزراء فردياً، وجماعياً، ليلفت انتباهه إلى وضع الأمن والنظام في البلاد إثر حادثة هدم المسجد البابري، فقد اندلعت اضطرابات دامية في بومبائ وأماكن أخرى، فكان على اتصال دائم بالمسئولين والسلطات يذكرها بمسئوليتها في إقرار الأمن في البلاد، وقام كذلك بعدة رحلات إلى دلهي.

www.abulhasanalinadwi.org

النشيد الوثني

وموقف الشيخ الندوي منه

أصدر وزير التعليم الابتدائي لولاية أترابراديش روندر كمار شكلا في ١٩٩٨/٧/٢٥م تعليمات إلى المدارس الابتدائية التابعة للحكومة تلزم إنشاد "وندي ماترم" و"سرسوتي وندنا" لدى ابتداء التعليم، وكانت هذه الأوامر قد صدرت تحت "مشروع كلب يوجنا"، وكان هذا المشروع يشتمل على إلزامية وضع خريطة الهند وصورة لآلهة العلم "سرسوتي" حسب عقيدة الهندوس في كل مدرسة رسمية وإلزامية وقوف جميع الطلبة أمامها، وإنشاد النشيدين قبل بدء الدراسة وختامها، وكان هذا المشروع يشتمل على تقديس الشمس أيضاً، وأعمال أخرى ذات طبيعة وثنية، فأدت هذه الأوامر إلى احتجاجات واسعة قام بها المسلمون في سائر أنحاء الهند، وكان بيان سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي صريحاً وصارماً على هذه التعليمات التي وصفها بالأعمال الوثنية، وبالتالي اعتبر هذه الأوامر التدخل في الدين وإدخال العنصر الديني في التعليم، وهو أمر يتعارض مع الطبيعة العلمانية للدستور الهندي الذي تنص مادتاه الثامنة والعشرون والثلاثون على منح الأقليات الحقوق للاحتفاظ بشخصيتها الدينية وإدارة مدارسها الأقلية حسب مقتضيات دينها، وثارت العناصر المتطرفة للهندوس على معارضة سماحة الشيخ لهذه الأوامر واعتبرتها خيانة، واعتدت عصابة مسلحة على منزل سماحة الشيخ الندوي في الساعة الثانية من ليلة

www.abulhasanalinadwi.org

١٩٩٨/١١/٢٢م، فصارت موجة عارمة من الغضب ورد الفعل العنيف في الهند كلها، وفي أنحاء العالم الأخرى، وانهالت البرقيات ورسائل الاحتجاج على هذا الحادث، وأعلنت الحكومة المركزية والحكومة الإقليمية أنه لا علاقة لها بحادث الاعتداء على منزل الشيخ الندوي، وفي وجه هذه الاحتجاجات ومحاولة الاعتداء على منزل الشيخ الندوي أدلى وزير الداخلية المركزي المستر لال كرشن إيدواني إن إنشاد النشيد ليس بلازم.

وأثارت المعارضة هذه القضية في البرلمان، فوقعت الحكومة المركزية في موقف حرج، وأظهرت مؤاخذة حكومة الولاية، فقام كبير وزراء الولاية المستر كليان سنغ بسحب هذه التعليمات في ١٩٩٨/١٢/٣م، وقام بإجراء آخر وهو طرد وزير التعليم الابتدائي رويندر شكلا من الحكومة، وقال إنه أصدر الأوامر بدون موافقة الحكومة، وأنه لم يكن مؤهلاً لإصدار مثل هذه الأوامر، وأن مجلس الوزراء للولاية لم يتخذ أي قرار في هذا الصدد، وأن الحكومة الإقليمية ستتبع أوامر الحكومة المركزية.

والجدير بالذكر أن الحكومة المركزية كانت تفكر في احتضان هذا المشروع، ولكن معارضة الأحزاب المعارضة والأحزاب الحليفة لها حالت دون اتخاذ القرار في هذا الصدد، وأجلت هذه المسألة.

واتهم وزير التعليم الابتدائي كبير وزراء الولاية كليان سنغ أنه يكذب في دعواه بأنه لم يكن على معرفة بمثل هذا المشروع، وإنه كان قد أشار إليه في بيانه الذي أدلى لدى تقديمه ميزانية الولاية، وأن هذه الخطوات التي اتخذتها تتطابق مع سياسة حزب بهارتيا جانتا.

وكان ذلك هو الواقع، لكن بيان سماحة الشيخ الندوي في اعتبار هذه التعليمات مخالفة لروح العلمانية للدستور، ثم صراحته بأنه سيسحب الطلبة من المدارس الرسمية، أثار رد فعل في الأوساط السياسية، فتغير الوضع من المؤاخذة إلى الاعتذار من الحكومة.

www.abulhasanalinadwi.org

المرض الأخير
و رسالة الشيخ الندوي الأخيرة

أصيب الشيخ الندوي بمرض الفالج في ١٥/مارس /آذار سنة ١٩٩٩م، وعرضت عليه حكومة الولاية بإشارة من الحكومة المركزية بأن ينقل إلى دلهي في طائرة حكومية، ويعالج في مستشفى "دلهي" عاصمة الهند، على نفقة الحكومة، واتخذت سائر الإجراءات للنقل، وكان كبار الموظفين يتخذون الإجراءات، وفي آخر لحظة علم الشيخ الندوي، فرفض هذا العرض، وأصر على البقاء في ندوة العلماء والعلاج محلياً، وظل طريح الفراش، وأنهكه المرض، فكان يجد صعوبة في الكلام، وفي أثناء مرضه زاره رئيس وزراء الهند أتل بهاري باجبائي في ٢٨/مارس عام ١٩٩٩م، فقال له: إن البلاد في خطر، فعليكم أن تتخذوا الإجراءات لوقايتها وسلامتها.

وفي أثناء مرضه عقدت حركة الدعوة والإصلاح والتبليغ اجتماعاً كبيراً في ساحة ندوة العلماء في ١٣/يونيو عام ١٩٩٩م، فلم يرض سماحته أن يدع هذه الفرصة للتحدث إلى جمع من المسلمين، رغم أن الأطباء منعوه من التحدث، لكنه صعد المنصة، وتحدث رغم تعثر لسانه، وكانت كلمته كلمة شاملة مقتبسة من القرآن الكريم ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ و﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾، وقال: هذه نصيحتي لكم، وهذه وصيتي لكم.

وتوفي سماحة الشيخ الندوي في ٢٢/رمضان ١٤٢٠سنة هـ الموافق ٣١/ديسمبر عام ١٩٩٩م، تغمده الله برحمته، وأجزل عطاءه، وجزاه عنا خير الجزاء، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

www.abulhasanalinadwi.org

قضية ولا أبا حسن لها

لا يكون من المبالغة في شيء إذا قيل أنه لم تلق وفاة عالم ومفكر إسلامي في العصر الحديث، ذلك الاهتمام والتأثر والانفعال الذي لقيته وفاة شيخنا العلامة ومربي العصر السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا جميعاً خير الجزاء، بما هو أهله وهو أهل التقوي وأهل المغفرة.

وكفاه فخراً أن أديت صلاة الغائب عليه في الحرمين الشريفين، ولعلها هي الصلاة الأولى لعالم هندي، وذلك بأمر خادم الحرمين الشريفين، وأديت صلاة الغائب عليه في معظم مساجد العالم الكبرى، وعزاه خادم الحرمين الشريفين والحكام المسلمون الآخرون، والعلماء المسلمون، وقادة العالم، ومن بينهم عدد كبير من القادة من غير المسلمين، فلم يكن الشيخ أبو الحسن عالماً كبيراً من علماء المسلمين، ولا أديباً من الأدباء الإسلاميين، ولم تقتصر جهوده على النهوض بالمسلمين فحسب، بل كان حامل لواء الأخوة الإنسانية، ورائد الأمن والسلام في العالم كله، فكان محبوباً إلى جميع الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وقد عزاه الزعماء المسلمون وزعماء سائر الحركات السياسية والاجتماعية بمختلف مذاهبها ومدارس فكرها، وتجشم معظمهم مشاق السفر إلى رائي بريلي لتقديم العزاء، وأكدوا ثقتهم في الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الذي انتخب خلفاً له، وكان أقرب الناس إلى

www.abulhasanalinadwi.org

سماحة الشيخ، وأكثرهم ثقة واعتماداً في أمور ندوة العلماء، وأموره الشخصية، وقد رافقه في جولاته ورحلاته العالمية، وكان ينوب عنه في كثير من المناسبات التي لم يستطع سماحته الحضور فيها، ووصلت رسائل العزاء إلى فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي، وعقدت اجتماعات لذكر مناقب الشيخ الندوي، وأصدرت المجلات والصحف في لغات مختلفة أعداداً خاصة بشخصيته في "الهند"، و"باكستان" و"بنغلاديش" والبلدان الأخرى، وكما عقدت ندوات في مختلف مدن الهند، لبحث جوانب حياته، وخصصت كراسي في عدد من الجامعات الهندية كجامعة عليجراه الإسلامية، وتعنون مباني المراكز الإسلامية به، وكل ما يصدز من كتب وأعداد خاصة بحياة سماحته يستهلك سريعاً، وتنفذ نسخه في وقت قصير.

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الحب الغامر الذي ارتبط بشخصية سماحته، والقبول العام الذي كان يحظى به في جميع الأوساط، ليس لمجرد أفكاره ودعوته إلى الوسطية والاعتدال، بل كان مثالاً للخلق الإسلامي، وحياته كانت صورة لأفكاره ومثله، إنه لم يكن من المغالين ولا من المتسامحين في أمور الدين، كان متسامحاً في خلقه مع الناس، وكان شعاره كما كان يعلنه في خطبه وكتاباته﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[١]، وكان هم المسلمين بل الإنسانية يشغل فكره كل وقت، وكان في دعوته وتربيته وسلوكه مع الناس وحياته الخاصة يتمسك بالتواضع والإيثار والعطف،

---

[١] - النحل: ١٢٥

www.abulhasanalinadwi.org

والحب ولين الجانب، إنه كان يدعو إلى الإسلام، ولكن أسلوبه الذي كان يدعو به كان أسلوباً معتدلاً بين الأصالة والمعاصرة، كما كان موقفه إزاء الحضارة الغربية، فلم يكن يدعو إلى الرفض الكامل ولا إلى القبول الكامل، كان منهجه في الحياة، كما كان يدعو إليه منهجاً وسطياً، وهو الجمع بين القديم والجديد، كان دائم الفحص، والاختبار، والدراسة والتفكير، وقد أوضح مسلكه في كتابه " الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية " إنه كان يخاطب طلاب المدارس الدينية ويطالبهم بتجديد المناهج، ويخاطب طلاب المدارس العصرية، ويطالبهم بالرجوع إلى منابع الإيمان، واليقين، وتربية النفس، والخلق الحسن، فكان مجاله مجالاً واسعاً، ومن أجل ذلك كان شخصية عالمية مثالية.

لقد منح في عام ١٩٩٩م، رمضان سنة ١٤١٩ هـ جائزة الشخصية الإسلامية، لكن وفاته في رمضان ١٤٢٠هـ ورد الفعل لها أثبت أنه شخصية عالمية.

وصفه بعض الكتاب الإسلاميين بأنه عميد الأدب الإسلامي، لكنه كان صاحب مدرسة خاصة في الأدب المعاصر، فقد قال الدكتور تقي الدين الهلالي بعد إحدى محاضراته: "إن لك لأسلوباً يا أبا الحسن"وذلك خير شهادة من أستاذ لتلميذه، وكتب الدكتور خورشيد أحمد في مقاله على الشيخ الندوي بعد وفاته أن كلامه كان يصل إلى القلب مباشرة، وأما العلامة المودودي فكان يصل إلى القلب عن طريق الفكر، وقد وجه الشيخ الندوي الأدب إلى طبيعته الأصيلة، ووظيفته البناءة، والإصلاح، وانطلاقاً من فكره نشأت حركة قوية للأدب الإسلامي العالمية، التي أقامت

www.abulhasanalinadwi.org

جسراً بين الأدباء الإسلاميين وغير الإسلاميين، وكان محدثاً جليلاً يحرص على الفوز بإجازته في الحديث كبار المشايخ في العالم، عرباً وعجماً، أما تذوقه للأدب القرآني فكان غالباً على كتاباته، وذلك لأنه ظل مدة طويلة شيخ الأدب والتفسير في جامعة ندوة العلماء، وكان مفكراً إسلامياً، طبقت مؤلفاته الآفاق، ونقلت إلى مختلف لغات العالم.

وكان زعيماً يخوض معركة الحياة، ويحل مشاكل المسلمين في الهند، وله منهج خاص لمعالجة القضايا السياسية، وكان مصلحاً ربانياً يعيش حياة الزهد والورع، يقول الحق، ولا يخاف لومة لائم، وكان مصلحاً اجتماعياً، ومربياً دينياً في وقت واحد، فكانت حياته ذات جوانب متعددة، ولذلك شعر بتأثير وفاته رجال جميع الطبقات والفئات في العالم، وقد وصفه الدكتور يوسف القرضاوي الذي عرفه شخصياً ودرس فكره علمياً، برباني الأمة، والرجل القرآني، والمحمدي، الذي جعل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها، واتخذ سيرته نبراساً له، وعالمي العطاء، فتحدث إلى العرب، وإلى أمريكا، وأوربا، وأنشأ منبراً عالمياً للأدب الإسلامي، وكان عضواً لعدد من المؤسسات العالمية.

كانت هذه العالمية باعثاً على الشعور العالمي بالخسران بوفاته، فاعتبر كثير من قادة العالم وفاته خسارة عالمية، وكتب أحد الكتاب أنه ألف كتاباً سماه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ولكن وفاته أحدثت سؤالاً جديداً، وهو ماذا خسر العالم بوفاة الشيخ الندوي؟. وقد شارك في التعبير عن الحزن حتى الناقدون لبعض أفكاره ومنهجه في حياته، واعتبروا وفاته فراغاً ليس من

www.abulhasanalinadwi.org

السهل أن يملأ قريباً، وتجد كثير من المنظمات التي كان يرأسها صعوبة في البحث عن خلف له، له وزنه وقدرته وصلاحه.

إن هناك سؤالاً ينشأ في الأذهان عند دراسة شخصية الشيخ الندوي، وهو كيف التقت فيه هذه الصلاحيات والقدرات المتنوعة التي إذا وجدت صلاحية واحدة منها في زعيم كان من الفحول، وقد يرد على السؤال ما كتبه الشيخ ـ رحمة الله عليه ـ بنفسه في مقدمة له لكتاب الأمير سيد صديق حسن خان القنوجي، بقلم الدكتور محمد اجتباء الندوي فكتب يقول:

"لقد ولدت في بيت كان موضوعه الحبيب بل هوايته التأليف في سير الرجال وطبقاتهم وتراجم العلماء وأهل الفضل وخاصة الذين أنجبتهم أرض الهند، ونبغوا في شبه القارة الهندية منذ دخول الإسلام في هذه البلاد إلى هذا القرن، ونشأت في بيئة كان الحديث الدائر المتكرر في أوساطها ومجالسها، وتكأة المتحدثين فيها، الإشادة بالمثل والقيم الإنسانية والعلمية، والتنويه بسمات العلماء الكبار ومجالات اختصاصهم وتبريزهم، والشعائر الغالبة عليهم، والتغني بنبوغ أصحاب النبوغ، وعبقرية أصحاب العبقريات في مختلف العصور والأمصار في إكبار وإعظام بل في شيء من الهيام، فثارت في نفسي ملكة الإعجاب بمواضع العظمة والنبالة ومكارم الأخلاق وعلو الهمة وسمو النفس، من بين أفراد البشر في سن مبكرة لا تنبعث هذه الملكة في غالب الأحيان، والملكات البشرية المودعة في طبائع الأطفال قد يثيرها باعث خاص من بيئة وتربية وحوادث مخصوصة، فتنقدح وتتفتق قبل أدائها الطبعي المعتاد.

قد نشأت بصفة خاصة على حب التفنن في الفضائل والجمع بين الأشتات، بل الأضداد من الفضائل الإنسانية وأنواع

www.abulhasanalinadwi.org

العلوم والمعارف، والآداب والثقافات وعلو الهمة، والقدرة الفائقة على التنسيق بينها وتسخيرها للوصول إلى غاية مثلى وخدمة العلم والدين، حتى لو أدى ذلك إلى المشاركة في علوم وآداب يتحاشى عنها كثير من علماء الدين، ويعدونها من حثالة العلوم وبراية الآداب.

ونشأت كذلك على حب من يوفقه الله ويقويه على الجمع بين الرياستين العلمية والعملية والحسنيين الدنيا والآخرة، والنقيضين(في عرف الناس) من إمارة أو وزارة في جانب، والاشتغال بالتأليف والتدريس، أو التربية والإرشاد، والإصلاح وإزالة الفساد في جانب آخر".

إن عبقرية سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي وهو بتعبير أفضل أبو الحسنات، تنبع من هذه النشأة الجامعة والتوفيق الإلهي الذي لا يوفق له كل من يحمل هذه الكفاءات، والدموع الحارة والدعوات القلبية الصادرة من قلب الأم الحنون، التي قامت بتربيته من المهد إلى شبابه، وتربية ورعاية شقيقه الأكبر الذي كان جامعاً بين العلوم العصرية والدينية، والصلاح والورع، والحمية الدينية، والذهن الدعوي.

لقد خلف سماحته مكتبة قيمة في موضوعات الفكر الإسلامي، والتربية الإسلامية، والأخوة الإنسانية للأجيال القادمة، وسجل معالم نشأته وحياته في كتابه" مسيرة الحياة" وستستفيد الأجيال القادمة بهذه الكتب، ولكننا نفقد رعايته الشخصية، وتوجيهاته لدى نشوب قضايا سياسية وفكرية، والثورة الاشتراكية والعلمانية السلبية في العالم الإسلامي، كما قام بالتوجيه لدى استعار قضية القومية العربية، والقومية البنغالية، والقومية

www.abulhasanalinadwi.org

الهندوسية، والصراع الطائفي في شبه القارة الهندية، والأخطار المحدقة بالحرم الشريف، وحرب الخليج، والأحوال الشخصية الإسلامية، والمسجد البابري، ونشيد "وندي ماترم"، والتعليم الوثني في آخر أيام حياته، وقد لمس هذا الفراغ عندما وافقت الجمعية التشريعية في أترابراديش على مشروع القانون الذي يفرض الحظر على المراكز الدينية بعد وفاته فقال الناس: " قضية ولا أبا حسن لها " و"سنفقد وجهه الوضاء المنير كالبدر" وقد قال الشاعر:

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ولا بقاء إلا لله، وندعو الله أن يهدينا إلى سواء السبيل، والرشاد ويجزيه خير الجزاء، ورفع درجاته، وأن يجمعنا في الجنة.

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الموضوعات	الصفحة
كلمة الناشر	٣
بين يدي الكتاب	٥
المقدمة	٩
تقديم الكتاب	١٢
تمهيد	١٩
المسلمون في الهند بين الدستور والواقع	٣٣
الهند مهد الديانات المختلفة	٣٣
الوحدة في التنوع	٣٤
مجتمع ذو رفاهية	٣٤
نشوء الطائفية	٣٥
منظمات هندوسية وموقفها	٣٦
جنوح الحكومة إلى الفكر الطائفي	٣٧
قضية المسجد البابري	٣٨
تزوير التاريخ	٣٩
استغلال وسائل الإعلام والتعليم	٤٠
حاجة إلى تطبيق دستور البلاد العلماني	٤١
الشيخ الندوي وموقفه إزاء الحركة القومية الهندية	٤٣
محاولة لمحو الشخصية الإسلامية	٤٣
سمة الهند التنوع والتآلف	٤٤
طابع الثقافة الهندية وثني	٤٥
الشيخ الندوي ومنهجه في مكافحة حركات الطائفية	٤٥
الشيخ الندوي ومنهجه في مواجهة الاضطرابات الطائفية	٤٩
إنشاء المجلس الاستشاري الإسلامي	٥٠
الشيخ الندوي كرئيس للمجلس	٥١
الشيخ الندوي: منهجه في مكافحة الكراهية	

www.abulhasanalinadwi.org

والعداء في قلوب غير المسلمين	٥٣
دور الشيخ الندوي في حل قضايا التعليم والإعلام في الهند	٥٧
تهنيد التعليم والإعلام	٥٨
الدعوة إلى إحياء الثقافة الهندية	٥٩
اتجاه الدولة العلمانية	٥٩
هيئة التعليم الديني	٦٢
الشيخ الندوي في مجال الإعلام	٦٤
حركة رسالة الإنسانية و دورها في مكافحة الطائفية والعنف	٦٧
دواعي إنشاء حركة رسالة الإنسانية	٦٧
إقامة اتصالات وروابط بالقادة والزعماء	٦٨
تنظيم الاجتماعات المشتركة والتحدث فيها	٦٩
التجاوب الكبير من غير المسلمين	٦٩
فكرة الشيخ الندوي عن رسالة الإنسانية	٧٠
الحوار لإزالة سوء التفاهم	٧١
لكل إنسان داران	٧٢
فساد مجتمع لا يقتصر على أفراده فحسب	٧٣
وباء العصر	٧٤
شيوع الفساد	٧٥
مسئولية المسلمين	٧٦
تأثير الحركة	٧٦
كسب الود والعطف خير من العداء لحل المشاكل	٧٨
طريقان لحل المشاكل	٧٨
طريق العنف والمسلمون	٨٠
منهج الشيخ الندوي لحل القضايا	٨٢
رسائل الشيخ الندوي إلى الرؤساء والزعماء لمعالجة القضايا	٨٥
هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية	٩٨
الاجتماع العام بكلكته	١٠٠
حكم محكمة الاستئناف تدخل سافر في الشريعة الإسلامية	١٠١

www.abulhasanalinadwi.org

حكم محكمة الاستئناف وموازنته بالقانون الشرعي	١٠٣
موقف خطير	١٠٤
حركة شاملة للهند ضد حكم محكمة الاستئناف	١٠٦
موقف الصحافة الإنكليزية والهندية المتهور	
وموجة المعارضة الطاغية	١٠٩
لقاءات مع رئيس الوزراء ومحاولة إفهامه وإقناعه	١١١
تصريحات راجيف غاندي في الدفاع عن المذكرة وتأييدها	١١٦
الموافقة على المذكرة في البرلمان	١١٧
رسالة شكر إلى راجيف غاندي	١٢٠
خطر القانون المدني الموحد	١٢٢
طريق الحفاظ على الحقوق في بلد ديمقراطي	١٢٤
المسجد البابري وحركة مسقط رأس راما	
وجهود الشيخ الندوي لحل القضية	١٢٧
نصيحة إلى المسلمين في ظروف البلاد فوق العادة	١٣١
جهود الشيخ الندوي لحل القضية في عهد	
حكم نرسمهاراؤ رئيس وزراء الهند	١٣٥
اللقاءات والمراسلات مع رئيس الوزراء وأخيراً	
هدم المسجد البابري وعواقبه الوخيمة	١٤٦
رسالة نرسمها راؤ ورده على الرسالة	١٤٧
جهود الشيخ الندوي لتهدئة الأعصاب المتوترة ومواجهة	
ردود الفعل لهدم المسجد البابري	١٥٣
الظلم وسفك الدماء أخطر الأمراض في البلدان والمجتمعات	١٥٤
الاستقلال الحقيقي للبلاد وجدواه	١٦٣
النشيد الوثني وموقف الشيخ الندوي منه	١٧٢
المرض الأخير ورسالة الشيخ الندوي الأخيرة	١٧٤
قضية ولا أبا حسن لها	١٧٥
فهرس الموضوعات	١٨٢

www.abulhasanalinadwi.org